التسهيل لتأويل التنزيل

تفسير

سورة يوسف

في سؤال وجواب

تأليف

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

الناشر

مكتبة مكة

طنطا - جمهورية مصر العربية

ت: ٠٤٠٣٣٤٥٧٤٥ - ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣

التَّسهيل لتأويل التَّنزيل

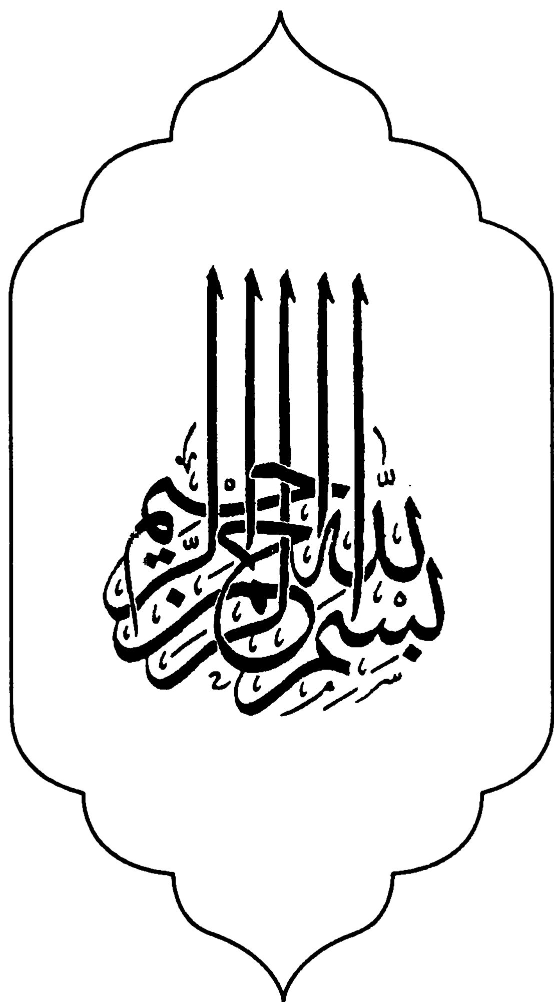
تفسير سورة يوسف عليه السلام

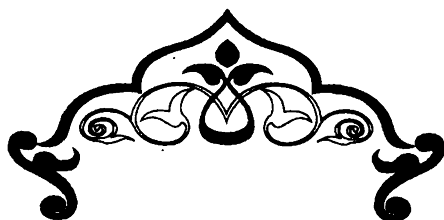
في سؤال وجواب

تأليف

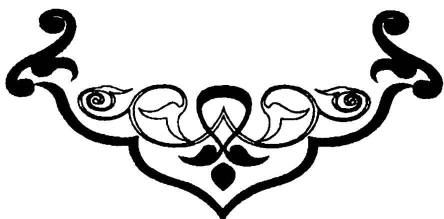
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

مكتبة مكة


بسم الله الرحمن الرحيم



تفسير سورة يوسف



الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠٢ / ١٠٣٦

الناشر

مكتبة مكة

طنطا ت: ٠٤٠٣٣٤٥٧٤٥ - ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

«اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، لك ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد ، أنت ملك السموات والأرض، ولك الحمد ،أنت الحق ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت و لا إله غيرك»(١) .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

وبعد:

فبين أيدينا قصة قصها الله علينا في كتابه الكريم هي أحسن القصص على الإطلاق، ألا وهي قصة نبي الله الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم

---

(١) هذا لفظ حديث أخرجه البخاري (مع الفتح ٣/ ٣) ومسلم (٦/ ٥٤ ـ مع النووي) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال . . .

يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم وعلى نبينا محمد صلوات الله وسلامه أجمعين، ويوسف عليه السلام ممن أمرنا الله بالاقتداء بهم.

إذ قال تعالى في ذرية إبراهيم: ﴿ **وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ** ... ﴾ إلى قوله: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾.

* قصة من أعظم القصص التي يثبت الله بها الفؤاد كما قال تعالى: ﴿ **وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ** ﴾ فلا يمل الشخص ولا يضجر ولا يستوحش الطريق.

* قصة من أعظم القصص التي بها يتسلى الشخص المصاب ويتعزى بأهل الفضل والصلاح الذين كان مصابهم أعظم من مصابه وآلامهم أعظم من آلامه.

* قصة تحمل عبراً ومواعظ وفوائد وأحكاماً.

* قصة تدل على نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وتؤكدها فهو نبي أُمي لم يرها ولم يشاهدها، ومع ذلك يقصها بأحداثها على أفضل نحو، ويسردها أجمل سرد كما أوحاها إليه ربه، فهذا دليل على نبوة نبينا محمد ﷺ، وتدفع الشك عن المتشكك في نبوته، قال تعالى: ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾.

وكما قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ** ﴾.

ونحوه في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾.

ونحوه: ﴿وما كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾.

فسبحان من علم نبيه ما لم يكن يعلم، بل وعلم الإنسان ما لم يكن يعلم.

والقارئ الكريم المتأمل في هذه السورة المباركة: يرىٰ وعودًا تُخلف من البشر، ولكن الله لا يخلف الميعاد!!

يرىٰ مؤامرات تُحاك ولكن الله غالب علىٰ أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

يرىٰ مكائد تُدبر وتُهمًا تلقىٰ الأبرياء يتهمون، ولكن ينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون.

فكم من بريءٍ يُتهم، وكم من عفيفٍ يُقذف، وكم من كريم يُفترىٰ عليه، فليتعزىٰ هؤلاء بأنبياء الله و أوليائه ولينتظروا فرج الله، فالفرج برأ يوسف عليه السلام وحمل المرأة علىٰ قولها: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

والذي حمل النسوة علىٰ قولهن: ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾.

والذي برأ موسىٰ عليه ا لسلام من الذين آذوه.

والذي برأ مريم عليها السلام من البهتان العظيم الذي قالوه عنها.

والذي برأ عائشة رضي الله عنها من الإفك المبين.

إنه الله عز وجل لا يغفل ولا ينام ولا ينسىٰ ولا يموت

إنه سبحانه يُبَرِّئ البرآء وينجي الأتقياء.

فليصبر كل مُتهم وليحتسب كل مقذوف بريء وليتأس أولئك بأنبياء الله ولينتظروا فرج الله في الحياة الدنيا أو يوم يقوم الأشهاد.

يرىٰ القارئ أن بصر الأتقياء نافذٌ بإذن الله وبعون الله وتوفيق الله.

فها هو يوسف عليه السلام دخل عليه إخوته ﴿**فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ**﴾.

ويعقوب عليه السلام يأتيه بنوه بدمٍ كذب فيقول: ﴿ **بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا** ﴾.

أما بصرُ الغواة فضعيفٌ قاصر، فانظر إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ **... وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ**﴾!

وانظر إليهم وقد أتوا بقميص يوسف ملطخًا بالدماء غير مشقوق ولا ممزق ولا مقطوع، وهم يقولون: ﴿**وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ**﴾؟؟

حملت هذه السورة مفاجآت، مفاجأة تلو الأخرىٰ وأهل الصلاح ثابتون محتسبون أمام البلايا والأحداث.

إنها مشاهد تقشعر لها الجلود وتتحرك لها المشاعر ويُثار لها الوجدان.

*يعقوب عليه السلام يفجأه أبناؤه بقولهم: ﴿**يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ**﴾.

أكل الذئب يوسف عليه السلام؟! أكل حبيب القلب وفلذة الكبد؟!!

فبم يجيب يعقوب عليه السلام؟ وكيف يواجه الحدث؟

﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

نعم فخير معين هو الله، ونعم بالله.

* ثم يبتلىٰ ابتلاء آخر عليه الصلاة والسلام، فيأتيه أبناؤه بعد سفرٍ طويل قائلين: ﴿يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾.

مفاجأة تلو المفاجأة، ابني سرق؟!

ابني الذي ربيته ونشأته علىٰ طاعة الله والمرسلين سرق؟!

ثم القرية علمت بذلك؟! والقوافل علمت بذلك؟!!

علمت القرية والقوافل أن ابن يعقوب سرق وأنه أُخذ بجريرته كعبدٍ مسترق، وهو حرٌ بريءٍ فالله المستعان، والله وحده المستعان!!

* ثم مفاجأة أُخرىٰ لغير يعقوب عليه السلام، مفاجأة لأبنائه وهم يشكون ما بهم من الضر والفقر والفاقة ويطلبون الصدقة ويلتمسون الزاد من عزيز مصر.

﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾.

فتأتيهم المفاجأة، وأي مفاجأة يقول لهم الصديق يوسف عليه السلام: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ فيقولون: ﴿أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي﴾!!

هكذا يرفع الله المتقين والمظلومين درجات.

* ثم مشهد مهيب ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ .

بيَّن الله عزَّ وجل في هذه السورة الكريمة أنه سبحانه يرفع أقوامًا درجات فضلاً منه ونعمة ثم لتقواهم وبرهم وطاعتهم، ثم كيف يُخفض آخرين وكيف تتبدل الأحوال .

* فها هم الذين كانوا بالأمس يقولون : ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾ ها هم يقولون : ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ .

* ها هم الذين كانوا يقولون : ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ . ها هم يقولون : ﴿ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ . ها هي المرأة التي كانت تقول : ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

* ها هي تقول : ﴿ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

وهكذا يرفع الله الدرجات ويُعز من يشاء ويذل من يشاء .

يوسف عليه السلام يُساق إلى السجن، ثم تمر الأيام والسنون ويقول الملك : ﴿ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ﴾ ! ! ففي هذا كله مُدكر، وفي هذا كله معتبر ولَلآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً .

فتنٌ عظمى مرَّ بها نبي الله يوسف عليه السلام، وهكذا الحياة الدنيا دار ابتلاء، وفيها النصب والتعب، كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ .

وقد خلقنا الله أطوارًا .

يخرج نبي الله من ابتلاء إلىٰ ابتلاء، ومن محنة إلىٰ محنة، ثم إلىٰ منحٍ ومنحٍ والعاقبة للتقوىٰ.

يُبتلىٰ يوسف عليه السلام بحسد الحاسدين وكيد الكائدين ومكر الماكرين، ومَنْ هؤلاء الحُساد الذين يحسدونه بلا ذنب اقترف، ولا جُرم ارتكب؟ إنهم إخوته، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

إخوته يحسدونه، فبماذا يرد؟ وبماذا يجيب؟ وهو طفل صغير ثم كما قال القائل:

قومي هُمُ قَتَلوا أُميم أخي فإذا رميت يصيبني سهمي

يؤول أمر حسدهم إلىٰ إلقائه في غيابة الجب وبيعه بثمن بخس دراهم معدودة، فيباع بيع الرقيق في الأسواق وهو الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم، نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله !!!.

* يمكث عليه السلام في قصور الملوك والوزراء فيبلغ أشده ويؤتيه الله العلم والحكمة، ثم يبتلىٰ بأشد فتنة وأضر فتنة علىٰ الرجال، وهي: فتنة النساء، تلك الفتنة التي تعصف بالعقول وتذهب بالألباب، فتراوده امرأة العزيز عن نفسها، وتلاحقه وتطارده وتهدده وتتوعده ثم تلصق التهمة به وهو البار الراشد الكريم.

ثم يدخل السجن وهو البريء العفيف. يسجن مع الأشرار والعربيدين والمفسدين.

ولكن لا يضيعه الله في سجنه، بل هو محسن محبوب إلىٰ السجناء!

يمكث في السجن بضع سنين ولا يغفل عن الدعوة إلى الله مع ما هو فيه من ابتلاء!

ثم يُقدر الله المقادير ويخرج عليه السلام من السجن بسبب علمه، لا بسبب جماله، يخرج بريئًا تقيًا و قد ارتفع درجات فتأتيه فتنة السراء، فتنة الملك وهي فتنة عظمى أيضًا لا يصبر عليها ولا يُعطي حقها ولا يقدم شكرها إلا الصابرون الشاكرون، فيقضيها محسنًا عاملاً بطاعة الله، مشهودًا له بالإحسان: ﴿**إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾.

*ثم لما اجتمع عليه شمله وأقر الله عينه بأبويه وإخوته يشتاق إلى لقاء الصالحين فيسأل الوفاة على الإسلام ﴿**تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾.

وفي ثنايا هذا كله، في خضم هذه الابتلاءات لا يغفل عن ذكر الله، ولا ينساه، بل هو دائم الذكر والتذكير بالله ودائم الاعتراف بالفضل لله، لا يمل، ولا يغتر ولا يفتر فتراه يقول: ﴿**وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ**﴾.

وتراه يقول: ﴿**ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي**﴾.

وتراه يقول: ﴿**ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ**﴾.

وتراه يقول: ﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**﴾.

فصلوات الله وسلامه على هذا النبي الكريم، وعلى نبينا محمد أفضل صلاة وأتم تسليم.

وفي ثنايا هذه السورة المباركة طائفة من الأحكام الفقهية منها ما يتعلق

بالرؤيا وتعبيرها، ومنها ما يتعلق بالحيل المشروعة المباحة والحيل التي لا تشرع ولا تجوز.

وما يتعلق بأحكام تزكية النفس وسؤال الإمارة، والمصالح والمفاسد والأخلاق التي ينبغي أن يتحلىٰ بها ذوو الرئاسات وأصحاب السلطات.

* من هذه السورة الكريمة نرىٰ أنه لا تزر وازرة وزر أخرىٰ، وذلك من قوله: ﴿ **قَالَ معَاذَ اللَّه أن نَّأْخُذَ إلاَّ من وجدْنَا متَاعَنَا عندَهُ إنَّا إذًا لَّظَالمُونَ** ﴾.

نرىٰ أن الشهادة يجب أن تكون بعلم، وذلك من قولهم: ﴿ **وما شهدْنا إلا بمَا علمْنَا** ﴾.

نرىٰ كيف أن علامات الإحسان تبدو علىٰ وجوه المحسنين، وذلك من قولهم: ﴿ **إنَّا نَراكَ منَ الْمُحْسنينَ** ﴾.

نرىٰ كيف نتعلم كظم الغيظ والعفو عن الناس لما ر أىٰ إخوته ولأول مرة، ضبط نفسه حتىٰ يتوصل إلىٰ ما يريده الله بإذن الله.

نرىٰ من هذه السورة المباركة أن شأن الدعوة إلىٰ الله عظيم فبدئت السورة بالإشارة إليه وتوسطها أمر دعوة يوسف عليه السلام للسجينين واهتمامه الزائد ببيان أمر التوحيد الذي هو أجل الأمور وأعظمها علىٰ الإطلاق فلا ينفع مع الشرك بالله عمل، فأكد يوسف عليه السلام علىٰ ذلك تأكيداً شديدًا، وبيَّن فضل الله عليه وعلىٰ آبائه في كونهم من أهل التوحيد وأئمته.

ثم أيضًا فالسورة الكريمة ذكرت في ختامها بالدعوة إلىٰ الله وأنها سبيل النبي ﷺ هو ومن تبعه، وأن هذه الدعوة يجب أن تكون علىٰ علم، فقال تعالىٰ: ﴿ **قُلْ هَذه سَبيلي أَدْعُو إلَى اللَّه عَلَىٰ بَصيرَةٍ أَنَا ومَنِ اتَّبَعَني وسُبْحانَ اللَّه**

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ .

برز وظهر في هذه السورة الكريمة كمٌّ هائل من مكارم الأخلاق .

*فها هي العفة تتألق بكل معانيها حينما تدعو المرأة يوسف إلىٰ نفسها فيقول : ﴿**قَالَ معاذَ اللَّه إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ**﴾ وها هو العفو يتجلىٰ في أسمىٰ معانيه ، بعد أن ظلمه أخوته وفرَّقوا بينه وبين أبيه ، وذهب بصر أبيهم من البكاء .

*ها هو يقول : ﴿**لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ .

فنعم ما صنع من إقالة العثرات والمغفرة للمذنبين في حقه ﴿**وما يُلَقَّاها إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ .

*ها هو حسن الخلق في الحديث عن النساء مع ما فيه الشخص من تهمة ، وما قُذف به من الشر ، وهو يقول : ﴿**هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي**﴾ مستعملاً ضمير الغائب في الخطاب .

*وها هو إكرام العشيرة يتجلىٰ ويظهر : ﴿**ادْخُلُوا مصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ** ۝٩٩ **وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ**﴾ .

*ثم صبرٌ جميل مستفادٌ من القصة بعمومها .

*يظهر من يوسف عليه السلام علم متدفق في تعبير الرؤيا ، فحسن تعبير مع حسن تدبير في نبل أخلاقه عليه الصلاة والسلام .

*ثم دفع تهمة وبراءة ساحة وسلامة عِرض .

نرىٰ من يوسف عليه السلام لطف تدبير مع جميل احتيال مع حسن

تعريض في قوله: ﴿جعل السقاية في رحل أخيه﴾... وقوله: ﴿فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه﴾ ... وقوله: ﴿أيتها العير إنكم لسارقون﴾.

* تبين من هذه السورة الكريمة أن أمر الله نافذٌ في خلقه، لا يحول بينه وبين مراده شيءٌ، فالله غالب علىٰ أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

فكيف وإخوة يوسف أرادوا به ما أرادوا، ولكن كيف اجتباه الله واصطفاه وأنعم عليه وأنجاه.

إخوته يقولون: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾.

وعزيز مصر يقول لامرأته: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾.

فسبحان الله، فالعباد يكيدون كيدًا والله يكيد كيدًا.

العباد يمكرون والله خير الماكرين.

وكما قال الله تعالىٰ في شأن خليله إبراهيم عليه السلام: (جد يوسف عليه السلام): ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ﴾.

* تعلمنا من هذه السورة الكريمة أن الشخص لا ييأس أبدًا من روح ا لله ولا يقنط من رحمته ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾، ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾

* ترىٰ في هذه السورة الكريمة كيف تجبر الخواطر المنكسرة.

فيوسف عليه السلام، وهو في غيابة الجب، وفي وسط الكرب وخضم البلاء يُوحي الله إليه ما يؤنسه ويزيل الوحشة عنه، يوحي إليه ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾ أي: لتخبرن أخوانك ﴿بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾

فسبحان الله ؛ ما أجملها من مواساة !وما أحسنها من مؤانسة! وما أطيبه من جبران خاطر!

وكذلك جبران الخواطر في قوله تعالىٰ : ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

فكل معروف يثيب الله أصحابه، وكل بر يجازي الله أهله خيراً، وكل فتنة وبلاءٍ، وكل هم وحَزَن وكل دمعة للعين وحزن من القلب يثيب الله أهله إذا هم صبروا واحتسبوا، ثم ﴿ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ .

* نرىٰ من هذه السورة الكريمة أن الصلاح لا يتوصل إليه بقتل الأنفس البريئة، ولا تلتمس الرفعة في الدنيا والآخرة بالحسد والغل والأحقاد.

* نرىٰ من هذه السورة الكريمة أن المهتدي من هداه الله، والمحفوظ من حفظ الله، فنرىٰ أن هذه القصص رغم حسنها وجمالها وروعتها لا تؤثر في الأشقياء ولا في الفجرة الأشرار، ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وكما قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ .

وتختم هذه السورة الكريمة ببيان ما يفيد أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً.

وبيان هداية هذا الكتاب العزيز لأهل الإيمان جعلنا الله منهم وألحقنا الله بالنبيين والصديقين والشهداء و الصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

وأخيرًا؛ فأقدم هذه السورة المباركة على طريقة : السؤال والجواب .

كجزء في عملنا في التفسير، وهو تفسير القرآن في سؤال وجواب ذلكم العمل الذي وسمناه بـ :

«التسهيل لتأويل التنزيل»

وقد صدر منه ما يقارب عشرة مجلدات، أسأل الله أن ينفعني به والمسلمين، وأن يتقبل منا هذا العمل بقبول حسن وأن يتجاوز عن زلاتنا وأخطائنا و أن يجعله في موازيننا يوم نلقاه.

هذا، وما كان في هذا العمل من صواب فمن الله وحده هو صاحب الفضل، له النعمة والفضل والثناء الحسن.

وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي

منية سمنود - أجا - دقهلية

سُورَةُ يُوسُفَ

آياتها ١١١ — ترتيبها ١٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا
لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ
بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ
لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ
أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤
قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ
إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ
رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ
وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ
إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦

س: اذكر معنى ما يلي: الر ـ المبين ـ لعلكم تعقلون ـ نقص ـ بما أوحينا ـ فيكيدوا لك كيدًا ـ عدو مبين ـ يجتبيك ـ تأويل الأحاديث.

ج:

الكلمة	معناها
الر	(ألف لام راء): من الأحرف المقطعة التي بُدئت بها عدة سور من كتاب الله، وقد قال بعض العلماء إن معناها يعلمه الله وقد سيقت للتحدي، فكأن المعنى: ألف، ولام، وراء: أحرف تعرفونها ـ تقرؤنها وتكتبونها ولكن لا تستطيعون أن تؤلفوا منها قرآنًا. وثمَّ معان أُخر(١).
المبين	الموضِّح، المظهر للحق في جميع الأمور كالاعتقاد والعبادات والشرائع والحلال والحرام والهدىٰ والرشاد والقصص والمواعظ، وغير ذلك. وأيضًا فمن معناه: الظاهر الواضح أمره وإعجازه، والواضحة معانيه بحيث لا يلتبس على القارئ أو السامع.

(١) انظر ما قدمناه في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿الم﴾.

لعلكم تعقلون	لكي تعلموا معانيه، وتفهموا ما فيه.
نقصُّ	نتتبع أثر الحديث(١) فنذكره لك.
بما أوحينا	بوحينا الذي أوحيناه إليك.
فيكيدوا لك كيدًا	يحتالوا لإهلاكك.
عدوٌ مبين	عدوٌ ظاهر العداوة.
يجتبيك	يختارك - يصطفيك للنبوة.
تأويل الأحاديث	ما تؤول إليه (ما تصير إليه) الأحاديث - تعبير الرؤيا.

❋ ❋ ❋

س: سورة يوسف عليه السلام هل هي مكية أو مدنية؟

ج: مكيةٌ على رأي الأكثرين.

❋ ❋ ❋

(١) ومنه قوله تعالى: ﴿فارتدا على آثارهما قصصا﴾.

بعض الوارد في
فضل نبي الله يوسف عليه السلام

س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل نبي الله يوسف ﷺ.

ج : من ذلك ما يلي:

* ما أخرجه البخاري ومسلم(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سُئِلَ رسولُ الله ﷺ : أيُّ الناس أكرمُ؟ قال: «**أكرمُهم عند الله أتقاهم**». قالوا : ليس عن هذا نسألك، قال : «**فأكرمُ الناس يوسفُ نبي الله، ابن نبيِّ الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله**». قالوا : ليس عن هذا نسألك. قال: «**فعن مَعادِنِ العرب تسألوني؟**» قالوا : نعم. قال: «**فخيارُكم في الجاهلية خِيارُكم في الإسلام إذا فقهوا**».

* ومنها: ما أخرجه البخاري(٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : «**الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام**».

* ومنها: ما أخرجه البخاري ومسلم(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «... **ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي**».

* * *

(١) البخاري (حديث ٤٦٨٩) ومسلم (حديث ٢٣٧٨).
(٢) البخاري (حديث ٣٣٨٢).
(٣) البخاري (حديث ٣٣٧٢) ومسلم (حديث ١٥١).

توقير لغة العرب

س: لغة العرب ينبغي أن توقَّر وأن تعظم وأن تغلَّب على سائر اللغات دلِّل على ذلك مع مزيد بيان لفضلها.

ج: نعم ينبغي أن توقر لغة العرب، وينبغي أن تسود وأن تعلو، إذ هي لغة القرآن الكريم خير كتاب أنزل على أفضل رسول، لقول الله سبحانه: ﴿ **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

* وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [يوسف: ٢].

* وقوله سبحانه: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا** ﴾ [الرعد: ٣٧].

* وقال سبحانه: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا** ﴾ [طه: ١١٣].

* وقال سبحانه: ﴿ **قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** ﴾ [الزمر: ٢٨].

* وقال عز وجل: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا** ﴾ [الشورى: ٧].

* وقال عز وجل: ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [الزخرف: ٣].

* وقال سبحانه: ﴿ **وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا** ﴾ [الأحقاف: ١٢].

* فهل يليق بنا بعد هذه النصوص أن نغلِّب لغةً على لغة الكتاب العزيز؟! هل يليق بمسلم غيور على كتاب ربه أن يستعمل كلمة (ماما)، و(بابا) مكان أبي، وأمي، وأبتاه، وأماه؟!

* وهل قال الخليل: يا بابا إني قد جاءني من العلم؟!! أم أنه قال: ﴿ **يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ** ﴾ [مريم: ٤٣].

فكيف نغلب لغة الكفار على لغة الإسلام والمسلمين؟! إن النبي ﷺ لم يرض أن تُغلَّب لغة الأعراب على لغة أهل المدينة فقال النبي ﷺ: «**لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم**».

*إنها كلمة قالها رسول الله ﷺ يؤخذ منها أدب وفقه لإصلاح ألسنتنا. إنها كلمة تنم عن معانٍ أصيلة في التربية.

*أما مناسبتها، فكما لا يخفى أن صلاة العشاء لها اسمان، أحدهما و أشهرهما: (العشاء) كما قال سبحانه: ﴿**وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ**﴾ [النور: ٥٨].

والآخر: هو (العتمة) كما قال رسول الله ﷺ: «**ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً**»(١).

فلصلاة العشاء إذن اسمان «العشاء»، و«العتمة».

ولكن الاسم الأكثر استعمالاً والأحب إلى رسول الله ﷺ هو (العشاء)، وهو الذي جاء في كتاب الله:

أما «العتمة»: فهي لغة الأعراب، وإن كان النبي ﷺ تكلّم بها أحيانًا، بل وذكرها في حديث، لكنه لم يحب أن تغلَّب هذه اللغة على اللغة الأصح والأفضل والأشهر في أهل المدينة، فحينئذ قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: «**لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم ألا إنها العشاء، وهم يعتمون بالإبل**»(٢).

---

(١) البخاري (حديث ومسلم (حديث ٤٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) لمسلم (حديث ٦٤٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنه مرفوعًا. وقوله: «وهم يعتمون بالإبل» أي: يدخلون في العتمة، وهي ظلمة الليل. بالإبل أي: بسبب الإبل وحلبها.

فالذي ينبغي أن يسود ويعلو وينتشر هي تلك الكلمة التي جاءت في كتاب الله، والتي هي لغة قريش وأهل المدينة وكذلك فليكن الأمر في سائر الكلمات وفي سائر الألفاظ.

*أما ما هو المستفاد من هذه الكلمة في بحثنا ها هنا؟

المستفاد في بحثنا في هذا كثير؛ فإذا كان النبي ﷺ لم يحب أن تغلب لغة الأعراب وهم عرب على لغة قريش وأهل المدينة، فهل يحب رسول الله ﷺ أن تغلب لغة الفرنسيين والإنجليز على لغة المسلمين؟!

*هل يحب أن تُغلَّب (بابا)، و(ماما) على (أبي) و(أمي) و(أبت) و(أماه) و(أمتاه)؟!!

*هل يحب أن تغلَّب (أُنكل) على (عمي) و(خالي)؟!

أو تغلب (تانت) على (عمتي) و(خالتي)؟!

*هل يحب أن تسود وتطغى هذه الكلمات على لغة القرآن وعلى لغة المسلمين؟!

*إن الخليل إبراهيم عليه السلام يقول لأبيه: ﴿**يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ**﴾ [مريم: ٤٣].

﴿**يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا**﴾ [مريم: ٤٤].

ويقول: ﴿**وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ**﴾ [الشعراء: ٨٦].

ويوسف يقول: ﴿**يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾ [يوسف: ٤].

ويقول: ﴿**يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ**﴾ [يوسف: ١٠٠].

ويقول الرسول ﷺ: «**استأذنت ربي أن أزور قبر أمي**».

فهل يليق أن تقول: واغفر (لبابا)؟! أو استأذنت ربي أن أزور قبر (ماما)؟! والرسول ﷺ يقول لأبي طالب «**يا عم قل: لا إله إلا الله**» فهل يليق أن يقال: (يا أُنكل) قل لا إله إلا الله؟!

أظن، بل أوقن أن هذا لا يليق.

وللأسف فمن يتقلد هذه الألفاظ الآن (أبي وأمي وأبتاه وأمتاه وأختاه) يُعدُّ في هذا الزمان غريبًا، ومن حاز المناصب في الدنيا يتفنن في استبدال (أبي و أمي و . . .) بألفاظ جديدة (بابا ـ ماما)!

فلينتبه الآباء لمثل هذه الألفاظ، ولْيُحيي الآباء والأمهات لغة القرآن ولغة النبي ﷺ.

وكذلك فلتكثر من الألفاظ العربية التي كان رسول الله ﷺ يكثر من استعمالها ككلمة: أبشر، ومرحبًا، وأبي وأمي، ونحو ذلك من الألفاظ.

وابتعد قدر الإمكان عن الألفاظ الأجنبية الدخيلة ككلمة (أوكي)، وتانت، أُنكل. . . و(أفندم) و(أبلة) ونحو هذه الكلمات.

ويطيب لي في هذا المقام أن أورد كلمة للأخ الفاضل الكريم فتحي جمعة[1] قال حفظه الله:

* * *

---

(١) وفي اصطلاح المعاصرين فهو الأستاذ الدكتور فتحي جمعة هو أستاذ العلوم اللغوية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة وخبير بمجمع اللغة العربية، ومن ذوي الخلق الحسن، ومن الدعاة إلى الله على بصيرة بمدينة بلقاس وهو صاحب كتاب «اللغة الباسلة» ذلك الكتاب القيِّم النافع.

العربية لغة الإسلام

تلك حقيقة ثابتة راسخة، يدركها كل ذي بَصرَ بوقائع التاريخ، منذ ظهر الإسلام ونزل كتابه العظيم باللسان العربي المبين.

لقد خلعت اللغة العربية رداء «المحلية» وفارقت انتماءها القومي والعنصري، إذ كانت تقبع خلف الحدود الضيقة لشبه الجزيرة العربية - فارقت هذا وصارت لسانًا عامًا للمسلمين أينما يكونوا ومتىٰ يكونوا، فكان الإسلام سبيلها إلىٰ الناس، كما كانت - بحق - سبيل الناس إليه به عرفوها، وبها عرفوه.

ومن أجل ذلك كان حقًا علىٰ المسلمين مهما كانت أصولهم أو أجناسهم - أن يُبوِّئوا لغة القرآن «مبوأ صدق»، فينزلوها في مكانتها اللائقة بها، من حيث هي لغة القرآن ولسان الإسلام، فلا يقدّموا عليها لغة أخرىٰ في أي مجال من المجالات التي تحتاج اللغة أو تعتمد عليها.

ذلك أمر يبلغ في رأينا مبلغ الفريضة، لأن تقريره ليس اجتهاداً منا، أو دعوىٰ يدعيها أمثالنا حبًا للعربية أو حماسة لها واعتزازًا بها، مع أن الحب والحماسة و الاعتزاز لبعض حقّ هذه اللغة علينا وعلىٰ الأمة جميعًا.

وإنما يرجع الأمر هنا إلىٰ آيات تتلىٰ في كتاب الله تعالىٰ ما دامت السموات والأرض، وإنها كلسان صدق ينطق بالحق، بيانًا لأن العربية - لغة القرآن - هي اللغة التي اجتباها ربنا تبارك وتعالىٰ، واصطفاها علىٰ لغات العالمين.

قال تعالىٰ في مفتتح سورة يوسف: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٣]. ثم ذكر الآيات التي قدمناها وقال:

هذه الآيات البينات العظيمات، تدل ـ في رأينا ـ علىٰ أمرين ظاهرين:

أحدهما: أن العربية هي اللسان المختار للقرآن.

والآخر: أن ذلك الاختيار من عند الله تعالىٰ، إنه وحي يوحىٰ، قرآنًا يتلىٰ إلىٰ آخر الزمان.

ومعنى ذلك: أنها لغة الإسلام ولسانه المبين الذي ينبغي أن يكون لسانًا عامًا لجميع المسلمين.

فإن تقررت هذه الحقيقة ـ وهي ثابتة لا تحتمل مراءً ولا جدلاً ـ فلن يستطيع المرجفون الذين في قلوبهم مرض أن يردوا شأن العربية ومنزلتها في الإسلام إلىٰ تعصب النبي ﷺ ـ حاشا لله ـ للغة قومه ولسان عشيرته، أو يدَّعُوه علىٰ خلفائه الراشدين وأصحابه المهديين رضوان الله عليهم أجمعين.

فها هي آيات القرآن تقول: إن أمر الله تعالىٰ ومشيئته جلت حكمته أن يكون اللسان العربي المبين هو لسان القرآن فهو إذًا لسان الإسلام.

ضرورة العربية لوجود الأمة:

من الحقائق الثابتة أن اللغة من أهمّ عوامل التوحد والتلاقي بين الأمم والشعوب.

ذلك، والأمة الإسلامية اليوم أشد ما تكون حاجةً إلىٰ جمع كلمتها وتوحيد صفوفها في مواجهة قوىٰ عاتية باغية، خبيثة ماكرة، تتربص بها،

وتتظاهر عليها، وتسعىٰ إلىٰ محوها واستئصال شأفتها واجتثاث شجرتها، فلا سبيل أمامها إلا أن تكون أمة واحدة متماسكة، ولن تكون لها هذه الوحدة كاملة قوية بغير وحدة اللسان.

ولكن لغات المسلمين كثيرة، فعلىٰ أيها تجتمع؟!

إن الجواب بيّن لا يحتاج إلىٰ بيان، فأحقُّ اللغات بذلك الاجتماع هي اللغة التي لا يُعرفُ الإسلام حق المعرفة بغير معرفتها، وهي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم الذي شاءت إرادة رب العالمين أن يكون عربيًا يُتلىٰ بالعربية في كل مكان إلىٰ آخر الزمان.

وقد أدرك السلف الصالح العظيم من الأمة هذه الحقيقة، فأقبل جميعهم علىٰ لغة القرآن حبًا ورغبًا، دراسة وبحثًا وتأملاً.

وتسابق عجم الأمة وعربها في ذلك الميدان، وكان العجم في أحيان كثيرة من السابقين.

وحسبنا أن نتذكر أسماء سيبويه، وأبي علي الفارسي، والمبرد والفراء، والكسائي، وابن جني، وعبد القادر الجرجاني، هؤلاء أئمة الأئمة في علوم العربية، وكلهم من أصول أعجمية لا عربية، ولكنهم نظروا إلىٰ لغة الضاد لا علىٰ أنها لغة العرب، بل علىٰ أنها لغة الإسلام والمسلمين أجمعين، لأنها لغة القرآن الكريم بأمر الله رب العالمين.

وحين أدركوا هذه الحقيقة بنوا أمّةً عزيزة منيعة وأسسوا حضارة شامخة باسقة، امتدت لها السيادة الحضارية عدة قرون.

❊ ❊ ❊

س: كمل الشرف لهذا القرآن الكريم من عدة وجوه، اذكر بعضها.

ج: من هذه الوجوه ما يلي:

١ -إنه مهيمنٌ علىٰ سائر الكتب التي قبله كما قال تعالىٰ: ﴿ **مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** ﴾.

٢ -كونه نزل علىٰ أشرف رسل الله ﷺ.

٣ -كونه نزل بواسطة وسفارة أشرف ملك، وهو جبريل عليه السلام.

٤ -ونزل أيضًا في أشرف شهر، وهو رمضان.

٥ -كونه نزل في أشرف البقاع وهي مكة.

٦ -كونه نزل بأشرف اللغات، وهي لغة العرب.

❊ ❊ ❊

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿ **نحن نقص عليك أحسن القصص** ﴾ سبب نزول؟

ج: نعم صح للآية الكريمة سبب نزول، وهو ما أخرجه الحاكم[1] وغيره بسند صحيح عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في قول الله عز وجل: ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ...** ﴾ الآية قال: نزل القرآن علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم فتلا عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا؟ فأنزل الله عز وجل ﴿ **الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ** ﴾

---

(١) الحاكم (٢/ ٣٤٥) وابن حبان (موارد الظمآن ـ ٤٣٢).

تلا إلىٰ قوله : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ الآية، فتلا عليهم زمانًا . فقالوا : يا رسول الله لو حدثتنا ؟ فأنزل الله عزَّ وجل : ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا ﴾ الآية كل ذلك يؤمر بالقرآن .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وقال الذهبي : صحيح .

* * *

س: وضح المراد بـ ﴿القصص﴾ .

ج: أصل القصص تتبع الشيء، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ وقالت لأخته قصيه ﴾ أي تتبعي أثره ومنه : ﴿ فارتدا على آثارهما قصصًا ﴾ يقصان الآثار .

ومن العلماء من قال : والحُسن في قوله تعالىٰ : ﴿ أحسن ﴾ يعود إلىٰ القصص لا إلىٰ القصة .

قلت: وعَودُ الحُسنِ إليهما معًا أولىٰ .

وقولهم فلان حسن الاقتصاص أي : جيد السياقة له .

وقيل : إن «القصص» في معنىٰ الاسم، فالمعنىٰ : نحن نخبرك بأحسن الأخبار .

* * *

س: بمَ تمتاز قصة يوسف على غيرها من قصص النبيين عليهم الصلاة والسلام؟

ج: امتيازها لكونها سيقت كلها بتمامها وكمالها في سورة واحدةٍ من

كتاب الله عز وجل ولم تتفرَّق في جملة مواطن وسور.

وبكونها تضمنت عبرًا وحِكمًا و مواعظ أكثر من غيرها ولذلك بدئت بقوله تعالىٰ: ﴿نحنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ وختمت بقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾.

وانظر إلىٰ جواب السؤال الآتي.

* * *

س: لماذا أطلق على هذه السورة الكريمة (أحسن القصص)؟

ج: ذكر العلماء في ذلك وجوهًا:

منها ما يلي:

قال بعض العلماء: إن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين والإنس والأنعام والطير وسير الملوك والمماليك والتجار والعلماء والجهال والرجال والنساء وحيلهن ومكرهن وذكر الحبيب والمحبوب، وحسن المحاورة والأدب في الخطاب.

وقال آخرون: إن فيها بيان العاقبة الحسنة للصبر والصابرين، ورفعة درجات المتقين، وتبرئة الله للمتهمين المظلومين.

وقال آخرون: إن السورة الكريمة حوت عبرًا ومواعظ وحِكمًا لم تحوها سورة غيرها.

وفيها أيضًا: كيفية التعامل مع الناس جاهلهم وعالمهم وملكهم ومملوكهم ورجالهم ونسائهم.

وفيها أيضًا: معجزات باهرات ودلالات للنبوة واضحات، ودعوة للتوحيد ونبذ الشرك والخرافات، والتذكير باليوم الآخر.

وبالجملة؛ فقد اجتمع فيها ما لم يجتمع في غيرها، وإن كان في غيرها بعض ما فيها هذا، ومن أهل العلم من قال: إن ﴿أَحْسَنَ﴾ هنا بمعنى: أعجب.

فالمعنى: أعجب القصص.



مراعاة نفوس الناس عند الخطاب

س: نفوس الناس ينبغي أن تُراعى، وقدراتهم ينبغي أن تلاحظ، وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أن الصحابة طلبوا من رسول الله ﷺ أن يحدثهم، وطلبوا منه أن يقص عليهم، كما سلف في سبب نزول الآية الكريمة، فأنزل الله ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**﴾.

وقد قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾.

وقال: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾.

وأخرج البخاري[١] من حديث علي رضي الله عنه قال: «**حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يُكذَّب الله ورسوله؟!**».

وفي «صحيح مسلم» من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**ما أنت بمحدثٍ قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة**»[٢].

وها هو رسولنا ﷺ يخبر بعض أصحابه ببعض أنواع العلوم دون الآخرين؛ ففي «الصحيحين»[٣] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ، ـ ومعاذٌ رديفه على الرَّحل ـ قال: «**يا معاذ**» قال: لبيك يا رسول

---

(١) البخاري (حديث ١٢٧).

(٢) رواه مسلم في «المقدمة» من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن مسعود قال فذكره. (ترتيب محمد فؤاد ص ١١).

قلت: وإسناده منقطع، ومقدمة مسلم ليست على شرط الصحيح.

(٣) البخاري (حديث ١٢٨)، ومسلم (حديث ٣٢).

الله وسعديك (ثلاثًا) قال: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرَّمه الله على النار**» قال: يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: «**إذًا يتكلوا**». وأخبر بها معاذٌ عند موته تأثمًا[١].

فانظر إلىٰ قوله: «**إذًا يتكلوا**» وفي الرواية الأخرىٰ[٢] «ألا أبشر الناس؟ قال: «**لا، إني أخاف أن يتكلوا**»؟.

ونحوه في «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ أمر أبا هريرة أن يبشر بذلك الناس فلقيه عمر فدفعه، وقال: ارجع يا أبا هريرة. ودخل علىٰ إثره، فقال: يا رسول الله لا تفعل فإني أخشىٰ أن يتكل الناس فخلِّهم يعملون فقال: «**فخلِّهم**»[٣].

* * *

س: قوله تعالى: ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ قصص ماذا؟

ج: قصص الأنبياء السابقين، وأخبار من مضىٰ من الأمم، وأنباء ما قد سلف والكتب التي نزلت، إلىٰ غير ذلك مما ذكره الله في كتابه.

وقصة يوسف عليه السلام داخلة في المقام الأول في هذه القصص.

* * *

(١) أي: خشية أن يقع في إثم كتمان العلم، والله أعلم.
(٢) البخاري (حديث ١٢٩)، ومسلم (حديث ٣٢).
(٣) مسلم (حديث ٣١/ ٦١).

س: قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ غافلين عن ماذا؟

ج: من الغافلين عما أخبر الله به في كتابه الكريم، من الغافلين عن قصص السابقين، وأحوال المتقدمين، ومن الغافلين أيضًا عن أحكام الدين كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ ﴾.

* * *

س: ما تأويل قوله تعالى: ﴿ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾؟

ج: أما الكواكب فقد آلت إلى إخوة يوسف (الأحد عشر)، والشمس والقمر فقد آلت إلى (أبيه وأمه).

وهذا هو المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾.

* * *

س: لماذا أُعيد ذكر الرؤيا في قوله: ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ وقد قال في أول الآية ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾؟

ج: كُرر قوله: ﴿ رَأَيْتُهُمْ ﴾ للتأكيد.

ومن العلماء من قال مستأنفة لبيان الحالة التي رآهم عليها، فكأن سائلاً سأل فقال: كيف رأيتهم؟ فأجاب بقوله: ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ والله تعالى أعلم.

* * *

س: لماذا قال: ﴿رأيتهم﴾ مُجريًا لهم مجرى العقلاء، ولم يقل: رأيتها؟

ج: قال القرطبي رحمه الله: القول عند الخليل وسيبويه أنه لما أخبر عن هذه الأشياء بالطاعة والسجود، وهما من أفعال من يعقل أخبر عنها كما يخبر عمن يعقل، ثم قال: والعرب تجمع ما لا يعقل جمع من يعقل إذا أنزلوه منزلته، وإن كان خارجًا عن الأصل.

قال القاسمي في «محاسن التأويل»: وإنما أُجريت مجرىٰ العقلاء في ضميرهم وجمع صفتهم جمعًا سالمًا لوصفها بوصفهم وهو السجود.

* * *

س: ما وجه السجود في قوله: ﴿والشَّمْس وَالْقَمر رأيتُهم لي ساجدين﴾؟

ج: هذا سجود تحية، وقد كان سائغًا في شرع من قبلنا، ولكنه نسخ في شريعتنا.

أما كونه كان سائغًا في شرع من قبلنا، فقد قال تعالىٰ للملائكة: ﴿**اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ**﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً**﴾.

* أما نسخُهُ في شريعتنا: فلقول رسول الله ﷺ: «**لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**[1] **من عظم حقه عليها**»[2].

---

(١) صحيح بمجموع طرقه، وقد أخرجه الترمذي (١١٥٩) وابن حبان (موارد الظمآن ـ ١٢٩١)، والبيهقي (٧/ ٢٩١).

(٢) هذه الزيادة عند ابن حبان والبيهقي، وهي صحيحة أيضًا.

بحث مختصر في الرؤيا وأحكامها

س: اذكر أقسام الرؤيا.

ج: الرؤيا ثلاثة أقسام:

فمنها: رؤيا من الله عز وجل.

ومنها: حُلم من الشيطان.

ومنها: حديث للنفس، ينشغل الشخص بأمرٍ فينام فيراه في نومه.

وقد ورد في هذا الباب حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ[1] : «**إذا اقتربَ الزَّمان لم تكد رؤيا المُسلمِ تَكذِبُ. وأصدقكُم رُؤيا أصدقُكُم حديثًا. ورؤيا المسلم جُزءٌ من خمسٍ وأربعين جُزءًا من النبوة، والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصَّالحة بُشرى من الله. ورؤيا تحزينٌ من الشَّيطان. ورُؤيا ممَّا يُحدث المرءُ نفسهُ، فإن رأى أحدُكُم ما يكرَهُ فليَقُم فليُصَلِّ، ولا يُحدث بِها النَّاس**».

❊ ❊ ❊

س: اذكر ما يفعله من رأى رؤيا حسنة، وما يفعله من رأى رؤيا مزعجة.

ج: الذي يرىٰ رؤيا حسنة يحمدُ الله عليها ويُحدث بها من يُحب.

أما الذي يرىٰ غير ذلك مما يكره فعليه خمسة أمور:

١ ـ أن يتعوذ بالله من شرها، ومن شر الشيطان.

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٢٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

٢ ـ أن يتفل عن يساره ثلاثًا .

٣ ـ أن لا يحدث بها أحدًا .

٤ ـ أن يتحول عن جنبه الذي كان عليه .

٥ ـ أن يفزع إلىٰ الصلاة .

وهذا للآتي ذكره:

* **أولاً**: ما أخرجه البخاري[١] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا رأى أحدكم رؤيا يُحبها فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها، وليحدِّث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكرَه فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرِّها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضرُّه**».

* **ومنها**: ما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من طريق أبي سلمة قال: لقد كنت أرىٰ الرؤيا فتمرضني حتىٰ سمعت أبا قتادة يقول: وأنا كنت أرىٰ الرؤيا تمرضني حتىٰ سمعت النبي ﷺ يقول: «**الرؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان، وليتفل ثلاثًا ولا يحدث بها أحدًا، فإنها لا تضره**».

* **وأيضًا**، فقد تقدم حديث أبي هريرة في ذلك .

* **وعند مسلم**: من حديث جابر رضي الله عنه[٣] عن رسول الله ﷺ أنه

---

(١) البخاري (حديث ٦٩٨٥) .

(٢) البخاري (حديث ٧٠٤٤)، ومسلم (١٧٧٢) .

(٣) مسلم (١٧٧٦) .

قال لأعرابي جاءه فقال: إني حلمت أن رأسي قُطعَ فأنا أتبعه، فزجره النبي ﷺ وقال: «**لا تُخبر بتلعُّبِ الشَّيطان بك في المنام**».

* **وعند مسلم**: في رواية أخرىٰ عن جابر أيضًا قال: جاء أعرابي إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! رأيت في المنام كأن رأسي ضُرب فتدحرجَ فاشتددت علىٰ أثرِهِ؟ فقال رسول الله ﷺ للأعرابي: «**لا تُحدِّث النَّاس بتلعُّبِ الشَّيطان بكَ في مَنَامكَ**»، وقال: سمعت النبي ﷺ بَعدُ يخطُبُ فقال: «**لا يُحدثنَّ أحدُكم بِتَلَعُّبِ الشيطانِ به في مَنَامِه**».

* * *

س: اذكر حديثًا يُحذِّر من الكذب في ادعاء الرؤيا.

ج: ذلك ما أخرجه البخاري[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين، ولن يفعل. ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو يفرون منه صب في أذنه الآنك يوم القيامة. ومن صور صورة عذب وكلف أن ينفخ فيها، وليس بنافخ**».

وعند البخاري[2] أيضًا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**من أفرى الفرى أن يري عينه ما لم تر**».

* * *

(١) البخاري (حديث٧٠٤٢) وقد ورد في سند هذا الحديث خلاف لا أرىٰ له كبير تأثير علىٰ المتن، والله أعلم.

(٢) البخاري (٧٠٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
وقوله: (من أفْرَىٰ الفِرىٰ) أي: من أعظم الكذب.

س: ما مدى صحة حديث: «الرؤيا على رِجل طائر ما لم تعبر فإذا عُبِّرت وقعت»؟

ج: لم أقف لهذا الحديث على طريق صحيح، وكل الطرق التي وقفت عليها لهذا الحديث لم يصح منها طريق.

من هذا: ما أخرجه أحمد[١] وأبو داود والترمذي وابن ماجه والدارمي وغيرهم من طريق يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدس عن عمه أبي رزين قال: قال رسول الله ﷺ: **«الرؤيا على رجل طائر ما لم تُعبرَّ فإذا عُبِّرت وقعت»** قال وأحسبه قال: **«ولا تقصها إلا على وادٍّ أو ذي رأي»**.

وفي هذا السند وكيع بن عدس وهو مجهول.

وللحديث طرق لا تخلو من مقال، منها: ما أخرجه الحاكم في «المستدرك»[٢] من طريق معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس مرفوعًا بنحوه. ورواية معمر عن أيوب فيها كلام.

وأخرج ابن ماجه الحديث مختصرًا أيضًا من طريق يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعًا.

ويزيد الرقاشي ضعيف.

وثمَّ طرق أُخر لهذا الحديث أوردها الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح

---

(١) الحديث أخرجه أحمد «المسند» (٤/ ١٠) وأبو داود (٥٠٢٠) واللفظ له والترمذي (٢٢٧٨، و٢٢٧٩)، وقال: هذا حديث صحيح، وابن ماجه (٣٩١٤)، والدارمي (٢/ ١٢٦).

(٢) الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٩١) وقال الحاكم: هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

الباري»[١] وفي كل منها مقال، إلا أن الحافظ حسن بعضها، ولا أراها ترتقي للحسن. والله تعالىٰ أعلم.

ومن ثمَّ فقد بوَّب البخاري علىٰ عادته في مثل هذه الأحوال (معلقًا الترجمة) فقال: باب من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يُصب، وأورد حديثًا في هذا الباب:

وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما[٢] أنه كان يحدث: أن رجلاً أتىٰ رسول الله ﷺ فقال: إني رأيت الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل، فأرىٰ الناس يتكففون منها: فالمستكثر والمستقل، وإذا سبب واصل من الأرض إلىٰ السماء، فأراك أخذت به فعلوت. ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع ثم وصل. فقال أبو بكر: يا رسول الله - بأبي أنت - والله لتدعني فأعبرها، فقال ﷺ له: «**اعبرها**». قال: أما الظلة فالإسلام، وأما الذي ينطف من العسل والسمن فالقرآن حلاوته تنطِفُ، فالمستكثر من القرآن والمستقل. وأما السبب الواصل من السماء إلىٰ الأرض الحقُّ الذي أنت عليه تأخذُ به فيُعليكَ الله. ثم يأخذ به رجلٌ فيعلو به، ثم يأخذُ به رجلٌ آخر فيعلو به، ثم يأخذ به رجلٌ فينقطع به، ثم يوَصل له فيعلو به. فأخبرني يا رسول الله - بأبي أنت - أصبتُ أم أخطأت؟ قال النبي ﷺ: «**أصبتَ بعضًا وأخطأتَ بعضًا**»، قال: فوالله يا رسولَ الله لتحدّثني بالذي أخطأت. قال: «**لا تقسم**».

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: «فتح الباري» (١٢/ ٤٣٢) شرح حديث (٧٠٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧٠٤٦)، ومسلم (حديث ٢٢٦٩).

س: الرؤيا لا ينبغي أن تقص إلا على عالمٍ مشفق عليك أو ناصح لك، دلل على ذلك.

ج: ورد في هذا الباب بأسانيد تصح بمجموعها ما أخرجه الترمذي والدارمي[(١)] وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: «**لا تقصوا الرؤيا إلا على عالمٍ أو ناصح**».

وقد ورد هذا الحديث أيضًا في ثنايا الحديث السابق أيضًا.

ويشهد لمعناه قول يعقوب عليه السلام: ﴿**يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا**﴾.

* * *

س: وردت عدة أحاديث في الرؤيا الصالحة وأنها جزء من سبعين جزءً من النبوة، وأحاديث في أنها جزء من ستة وأربعين جزء، إلى غير ذلك. فكيف تجمع بين ذلك كله؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

الصحيح منها حديث الستة والأربعين، ويتلوه في الصحة حديث السبعين؛ ولم يخرج مسلم في« صحيحه »غير هذين الحديثين، أما سائرها فمن أحاديث الشيوخ؛ قاله ابن بطال. قال أبو عبد الله المازري: والأكثر والأصح عند أهل الحديث (من ستة وأربعين).

(١)الترمذي (حديث ٢٢٨٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح. والدارمي (٢/ ١٢٦).

قلت: وأخشى أن يكون هذا الحديث أدرج على متن حديث آخر؛ فقد أخرج الترمذي هذا اللفظ عقب حديث الرؤيا ثلاث وقال عقبه: (وكان يقول: «لا تقص الرؤيا إلا على عالم أو =

قال الطبري: والصواب أن يقال: إن عامة هذه الأحاديث أو أكثرها صحاح، و لكل حديث منها مخرج معقول؛ فأما قوله: «**إنها جزء من سبعين جزءًا من النبوة**» فإن ذلك قول عام في كل رؤيا صالحة صادقة، ولكل مسلم رآها في منامه على أي أحواله كان؛ وأما قوله: «**إنها من أربعين - أو: ستة وأربعين**» فإنه يريد بذلك من كان صاحبها بالحال التي ذكرت عن الصديق رضي الله عنه أنه كان بها؛ فمن كان من أهل إسباغ الوضوء في السَّبَرات، والصبر في الله على المكروهات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فرؤياه الصالحة - إن شاء الله - جزء من أربعين جزءًا من النبوة، ومن كانت حاله في ذاته بين ذلك فرؤيا ه الصادقة بين جزءين؛ ما بين الأربعين إلى الستين، لا تنقص عن سبعين، وتزيد على الأربعين؛ وإلى هذا المعنى أشار أبو عمر ابن عبد البر فقال: اختلاف الآثار في هذا الباب في عدد أجزاء الرؤيا ليس ذلك عندي اختلاف متضاد متدافع - والله أعلم - لأنه يحتمل أن تكون الرؤيا الصالحة من بعض من يراها على حسب ما يكون من صدق الحديث، وأداء الأمانة، والدِّين المتين، وحسن اليقين؛ فعلى قدر اختلاف الناس فيما وصفنا تكون الرؤيا منهم على الأجزاء المختلفة العدد؛ فمن خلصت نيته في عبادة ربه ويقينه وصدق حديثه كانت رؤياه أصدق، وإلى النبوة أقرب: كما أن الأنبياء يتفاضلون؛ قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا**

= ناصح». لكن أخرج الدارمي الحديث مستقلاً مقتصرًا على: «لا تقص الرؤيا إلا على عالم أو ناصح» مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ. فهذا قد يطمئن إلى حدٍ ما لكن الذي يُعكر أن مُسلمًا رحمه الله أخرج أصل الحديث بدون زيادة «لا تقصوا الرؤيا إلا على عالمٍ أو ناصحٍ» فيبدو مما أورده مسلم أن هذه اللفظة مدرجة أما الذي عوّلنا عليه في تصحيحنا لمعنى الحديث كثرة طرقه وشواهده مع ما أشارت إليه الآية الكريمة، والله أعلم.

بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥] اهـ.

* * *

س: هل رؤيا الكفار التي تتحقق تُعدُّ من النبوة؟

ج: ليس كل ما يتحقق من رؤيا الكفار يُعد من النبوة، إذ ليس كل من صدق في خبرٍ يكون خبره هذا من النبوة.

* * *

س: قد يتأخر تحقق الرؤيا عدة سنوات، وضح ما يدل على ذلك؟

ج: إيضاحه أن يوسف عليه السلام رأىٰ رؤياه وهو صغير وتحققت بعد سنوات طويلة مكثها في بيت العزيز وهو عبد مسترق، وسنوات مكثها في السجن، ثم سبع سنوات سمان مكثها وهو عزيز لمصر، ثم دخلت عليه السنون العجاف فأتاه أبوه وإخوته فيها.

ورؤيا رسول الله ﷺ التي ذكرها الله في كتابه الكريم بقوله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ﴾ قد تحققت بعد زمنٍ من رؤية النبي ﷺ لها[1]

* * *

(١) فعند البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢) من حديث المسور بن مخرمة ومروان في قصة صلح الحديبية أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: فأتيت النبي ﷺ فقلتُ: ألست نبي الله حقًا؟ قال: «بلىٰ» قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: «بلىٰ».. فذكر الحديث وفيه: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلىٰ، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟» قال: قلت: لا، قال: «فإنك آتيه ومطوِّف به».

س: اذكر بعض ما يتعلق بإظهار النعم وإخفائها من الفقه.

ج: إذا كان الشخص لا يخشى حسد الحاسدين وكيد الكائدين فينبغي حينئذٍ أن يحدث بنعم الله عليه لقوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ وأما إذا خشي حسد الحادسين وكيد الكائدين فلا يحدثهم بنعم الله عليه، لقوله تعالى: ﴿**يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا**﴾ [يوسف: ٥].

وينبغي ـ و الحالة هذه ـ أن يحدث فقط من يحبهم ويحبونه، لقول النبي ﷺ: «**إذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب**»[١].

* * *

س: هل يجوز التحذير من شخص بعينه؟ دلل على ذلك.

ج: نعم يجوز التحذير من شخص بعينه، فـ: «**الدين النصيحة**»[٢] كما قال النبي ﷺ، وأيضًا قد حذر يعقوبُ ولده يوسف عليهما السلام فقال: ﴿**يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا**﴾.

وكذلك قال النبي ﷺ لعائشة في شأن رجلٍ مقبلٍ عليه: «**بئس أخو العشير**»[٣]. وكذلك ففي صلح الحديبية قال النبي ﷺ ـ لما أشرف عليهم رجل يُقال له: مِكْرَزٌ بن حفص ـ فقال عليه الصلاة والسلام: «**هذا مكرزٌ وهو رجل فاجر...**»[٤] الحديث.

---

(١) البخاري (حديث ٧٠٤٤)، ومسلم (١٧٧٢). (٢) أخرجه مسلم (حديث ٥٥).

(٣) البخاري (٦١٣١)، ومسلم (٢٥٩١) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

(٤) البخاري (حديث ٢٧٣١، ٢٧٣٢).

س: المختار والمصطفى من اختاره الله واصطفاه، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾.

* * *

س: المعلَّم من علَّمه الله، دلل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

* ودعا النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما فقال له: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»[1].

* وقال موسى للخضر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾.

* وقال تعالى في شأن داود عليه السلام: ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ وقال أيضًا: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ﴾.

---

(١) الحديث بهذا اللفظ عند الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٣٢٨) وفي «فضائل الصحابة» له (١٨٥٨) ولمزيد من التخريج، ومراجعة الألفاظ، انظر كتابي «الصحيح المسند من فضائل الصحابة».

س: ما المراد بـ ﴿تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد بتأويل الأحاديث تعبير الرؤيا، ويدل على هذا الوجه ما يلي:

قوله: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾.

وقوله: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا..﴾.

الثاني: معرفة معاني كتب الله وسنن الأنبياء، وما غمض وما اشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها، وسميت «أحاديث» لأنها يُحدَّث بها عن الله ورسله فيقال: قال الله كذا وقال رسول الله كذا.

* * *

س: ما المراد بإتمام النعمة في قوله تعالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾، وما أعظم نعمة أنعم الله بها على إبراهيم وإسحاق؟

ج: المراد بإتمام النعمة إتمامها بجعله رسولاً وبالإيحاء إليه وبإنجائه من المكروه. أما أعظم نعمة أنعم الله بها على إبراهيم وإسحاق فنعمة النبوة والرسالة.

* * *

س: لماذا عبَّر عن إبراهيم وإسحاق بقوله: ﴿أَبَوَيْكَ﴾؟

ج: **أولاً:** يجوز إطلاق الأب على الجد، وحتى الجد البعيد قال تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾.

وقال النبي ﷺ: «**أنا ابن عبد المطلب**»(١).

ثانيًا: عُبر عن إبراهيم وإسحاق بالأبوين للإشعار بكمال ارتباطه بالأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام.

* * *

س: ما وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿إنَّ ربَّك عليمٌ حكيمٌ﴾؟

ج: وجه ذلك: طمأنة قلوب المؤمنين والإجابة على سؤال السائلين فإن سألت لماذا اختار الله يوسف واجتباه؟

فالجواب: إن ربك عليم أي بمن يستحق الاجتباء والاختيار. وكما قال تعالى: ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾.

أما قوله ﴿**حَكِيمٌ**﴾ فيفعل كل شيء بحكمه، وهو حكيم أيضًا سبحانه وتعالى في تدبيره، فيضع كل شيء في موضعه فيكرم من هو أهل للإكرام ويحرم من هو أهل للحرمان، وكثير من الآيات المتعلقة بالرزق تختم بنحو هذا الختام، فقد قال تعالى: ﴿**يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُور (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**﴾.

فإن سألت لماذا رزق هذا بالبنين، ورزق هذا بالبنات؟

فجوابك: ﴿**إِنَّهُ عَلِيمٌ**﴾ أي: بمن خلقه؛ إذ رزقهم وأعطاهم.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣١٥) ومسلم (حديث ١٧٧٦) من حديث البراء رضي الله عنه مرفوعًا.

لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ
ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ
أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾

س: وضح معنى ما يلي:

آياتٌ - عصبةٌ - ضلال مبين - اطرحوه أرضًا - يخل لكم وجه أبيكم - غيابة الجُبِّ - السيارة - إِن كنتم فاعلين - ناصحون - يرتع - حافظون - ليحزنني - أجمعوا - لتنبئنهم - عشاءً - متاعنا - بمؤمنٍ لنا - دم كذب - سولَت - صبرٌ جميل - المستعان:

ج:

الكلمة	معناها
آيات	عبرٌ وعظاتٌ ودلالات.
عصبةٌ	جماعة (قيل من الواحد إلىٰ العشرة، وقيل غير ذلك)، الجماعة الذين أمرهم واحد، يتابع بعضهم بعضًا، ويتعصب بعضهم لبعض.
ضلال مبين	خطأ بيِّنٍ واضحٍ (لإيثاره يوسف علينا).
اطرحوهً أرضًا	ألقوه في أرض من الأراضي (البعيدة).
يخل لكم وجه أبيكم	يتفرغ لكم أبوكم، ويقبل عليكم بوجهه فيحبكم وتحبونه (فإن حب يوسف قد شغله عنكم)، يخلص ويصفو لكم وجه أبيكم.
غيابة الجب	الغيابة كلُّ شيءٍ غيَّب عنك شيئًا، ولذا

	قيل للقبر غيابة، فالغيابة موضع يغيِّب الشخص عن الأبصار. وغيابة الجب: أسفل البئر، وما غاب من الجبِّ.
	وقيل أيضًا: إن الجب هي البئر التي لم تطو، أي التي لم تُبطن حافتها بالأحجار.
السيارة	الرفقة من الناس الذي يسيرون مع بعضهم (مسافرين).
إن كنتم فاعلين	إن كنتم عاملين بما أشرت عليكم به.
ناصحون	نحب الخير له وندله عليه، ونكره له الشر ونحذره منه
يرتع	يرتعْ (بالتسكين): يتحرك كيف يشاء، و يتسع في الخصب، ويسعى ويأكل ويشرب.
	ويرتعِ (بالكسر): من الرعي، أن يتدرب على رعي الغنم.
حافظون	نحفظه ونرعاه ونحوطه ونمنعه من السوء.
ليحزنني	ليوقعني في الحزن، الذي هو ألم النفس.
أجمعوا	اتفقت كلمتهم.
لتنبئنهم	لتخبرنهم.
عشاءًا	بعد غروب الشمس.
متاعنا	ثيابنا وأمتعتنا.

بمؤمن لنا	بمصدقٍ لنا .
دم كذب	دم مكذوب مفترىٰ (قال البعض : إنهم عمدو إلىٰ شاةٍ فذبحوها ولطخوا بدمها قميص يوسف عليه السلام) .
سوَّلت	حسّنتْ ـ زيَّنت .
صبرٌ جميل	صبرٌ لا شكوىٰ معه ـ صبرٌ سالم من التسخط والشكوىٰ للخلق .
المستعان	الذي يُطلب منه العون .



س: هل إخوة يوسف كانوا أنبياء؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلىٰ أنهم أنبياء مستدلين بقوله تعالىٰ: ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ** ﴾.

فقالوا إن أبناء يعقوب هم الأسباط، فلما ذكر الله أنه أوحىٰ إليهم دلَّ ذلك علىٰ نبوتهم.

بينما ذهب آخرون من العلماء إلىٰ أنهم ليسوا بأنبياء.

فقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

واعلم أنه لم يقم دليل علىٰ نبوة إخوة يوسف، وظاهر هذا السياق يدل علىٰ خلاف ذلك، ومن الناس من يزعم أنهم أوحي إليهم بعد ذلك، وفي هذا نظر، ويحتاج مدعي ذلك إلىٰ دليل، ولم يذكروا سوىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ** ﴾. وهذا فيه احتمال؛ لأن بطون بني إسرائيل يقال لهم: الأسباط، كما يقال للعرب قبائل، وللعجم شعوب، يذكر تعالىٰ أنه أوحىٰ إلىٰ الأنبياء من أسباط بني إسرائيل، فذكرهم إجمالاً؛ لأنهم كثيرون، ولكن كل سبط من نسل رجل من إخوة يوسف، ولم يقم دليل علىٰ أعيان هؤلاء أنهم أوحي إليهم، والله أعلم.

وقال القرطبي رحمه الله:

وفي هذا ما يدلّ علىٰ أن إخوة يوسف ما كانوا أنبياء لا أوّلاً ولا آخراً؛ لأن الأنبياء لا يدبرون في قتل مسلم، بل كانوا مسلمين، فارتكبوا معصية

ثم تابوا. وقيل: كانوا أنبياء، ولا يستحيل في العقل زلّة نبي، فكانت هذه زلّة منهم؛ وهذا يرده أن الأنبياء معصومون من الكبائر على ما قدّمناه. وقيل: ما كانوا في ذلك الوقت أنبياء ثم نبّأهم الله؛ وهذا أشبه، والله أعلم.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ سائلون عن ماذا؟

ج: سائلون عن خبر يوسف ﷺ، وسائلون عن القصص بصفةٍ عامةٍ.

* * *

س: ما موقع اللام في قولهم: (ليوسف)؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

إن اللام هنا للتأكيد، وهي التي يتلقىٰ بها القسم، فالمعنىٰ: و الله ليوسف.

* * *

س: من أخو يوسف؟

ج: لم يرد اسمه في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ فيما اطلعت عليه ولكن ذهب جمهور المفسرين إلىٰ أنه «بنيامين».

* * *

س: هل يَحسد المؤمن؟

ج: نعم قد يحسد المؤمن، فها هم إخوة يوسف ﴿**قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ**﴾[1] فحسدوا يوسف وأخاه علىٰ محبة أبيهما

(١) ولمزيد انظر: «تفسير سورة الفلق» من كتابنا «التسهيل» جزء عم.

لهما . وألفت النظر هنا إلىٰ هذا الكلام الطيب النافع الذي ذكره القاسمي في «محاسن التأويل» لعل متعظًا أن يتعظ ومعتبرًا أن يعتبر وحاسدًا أن يقلع عن حسده، ونفسًا أمارة بالسوء تتحول إلىٰ نفسٍ لوامة، بل إلىٰ نفس مطمئنة راضية بقضاء الله وقانعةٍ بعطاء الله .

قال القاسمي رحمه الله:

ثم تأمل في قصة الإخوة وحديث القميص والجبّ والذئب والدم، لتعلم ما نشاهده كل يومٍ من معاداة الأقران لمن ظهرت مبادئ الجمال النفسي، والخلق المرضي، والجلال الظاهر علىٰ ملامحه، فيعيبونه بما يشينه في نفسه أو عرضه أو خلقه، دلالة علىٰ أن هذه سنّة في الكون لا تغادر نبيًا ولا حكيمًا ولا عالمًا مهما حسنت أخلاقه، وجمل ظاهره وباطنه . . . !

كل العداوات قد تُرجى إزالتها إلاّ عداوة من عاداك من حسد

جرت تلك السنة في الأناسي : فإذا صبر الصالح فاز بالولاية عليهم، وأحبوه بعد العداوة ولو بعد حين، وعادوا من آذاه ثم انظر في حديث قصة امرأة العزيز، وكيف عفّ مع الشباب؟! وكيف ساس نفسه و صدق ظن مولاه في الأمانة؛ وأرضىٰ إلهه، واتسم بالفضيلة، فَتَوَازَىٰ جماله الباطنيّ والظاهريّ . . !

* * *

س: هل يُلام الشخص على محبته لبعض أبنائه دون بعض أو بعض الناس دون بعض؟

ج: لا يُلام الشخص علىٰ ذلك، إذ المحبة من الله سبحانه وتعالىٰ فهو

الذي يلقيها في قلوب العباد.

أخرج البخاري[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم قال: «**إذا أحبَّ الله عبدًا نادى جبريل: إن الله يحب فلانًا فأحبَّه. فيُحبُّه جبريل، فينادي جبريلُ في أهل السماء: إن الله يحبُّ فلانًا فأحبوه. فيحبه أهل السماء، ثم يوضعُ له القبول في الأرض**».

وفي لفظ لمسلم[٢]: «**إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال: إني أحبُّ فلانًا فأحبه**» قال: «**فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه. فيحبه أهل السماء**» قال: «**ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلانًا فأبغضه**» قال: «**فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه**» قال: «**فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض**».

ولفظ الترمذي[٣]: «**إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل أني قد أحببت فلانًا فأحبه**» قال: «**فينادي في السماء ،ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض فذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾، وإذا أبغض الله عبدًا نادى جبريل: إني أبغضت فلانًا. فينادي في السماء، ثم تُنزل له البغضاء في الأرض**».

هذا وقد أخرج مسلم ـ عقب هذا الحديث ـ بإسناده إلىٰ سهيل بن أبي صالح قال: كنا بعرفة فمرَّ عمر بن عبد العزيز وهو علىٰ الموسم فقام الناس

---

(١) البخاري (حديث ٦٠٤٠).

(٢) مسلم (٢٦٣٧).

(٣) الترمذي (حديث ٣١٦١) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ينظرون إليه فقلت لأبي: يا أبت إني أرى الله يحب عمر بن عبد العزيز، قال: وما ذاك؟ قلت: لما له من الحب في قلوب الناس، فقال: بأبيك! أنت سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم... ثم ذكر بمثل حديث جرير عن سهيل.

هذا، وقد قال الله تبارك وتعالى لنبيه موسى ﷺ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾.

وقال نبينا محمد ﷺ في شأن أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها: «**إني قد رزقت حبَّها**»[1].

وفي «الصحيحين»[2] من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: «**عائشة**» فقلت: مِن الرجال؟ قال: «**أبوها**». قلت: ثمَّ من؟ قال: «**عمر بن الخطاب**» فعدَّ رجالاً.

وقد أخرج[3] أبو داود - بإسناد فيه علةٌ - من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل ويقول: «**اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**» قال أبو داود: يعني القلب.

* * *

(١) مسلم ص (١٨٨٨).

(٢) البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

(٣) أبو داود (٢١٣٤) وقد أشرت إلى إعلاله وبيان سبب الإعلال في كتابي «جامع أحكام النساء» (٣/ ٥٠٣-٥٠٤).

س: ما مرادهم بالضلال إذ قالوا: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾؟

ج: مرادهم بالضلال هنا هو الذهاب عن العلم بحقيقة الأمر، وليس المراد الضلال في الدين إذ لو أرادوا أن أباهم في ضلال في دينه لكفروا بذلك.

وبنحو هذا قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»؛ فقال رحمه الله:

الظاهر أن مراد أولاد يعقوب بهذا الضلال الذي وصفوا به أباهم - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام في هذه الآية الكريمة - إنما هو الذهاب عن علم حقيقة الأمر كما ينبغي.

ويدل لهذا ورود الضلال بهذا المعنى في القرآن وفي كلام العرب، فمنه بهذا المعنى قوله تعالى عنهم مخاطبين أباهم: **﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ﴾** وقوله تعالى في نبينا ﷺ: **﴿وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى﴾** أي لست عالمًا بهذه العلوم التي لا تعرف إلا بالوحي، فهداك إليها وعلمكها بما أوحى إليك من هذا القرآن العظيم. ومنه بهذا المعنى قول الشاعر:

وتظن سلمى أنني أبغي بها   بدلاً أراها في الضلال تهيم

يعني: أنها غير عالمة بالحقيقة في ظنها أنه يبغي بها بدلاً وهو لا يبغي بها بدلاً.

وليس مراد أولاد يعقوب الضلال في الدين، إذ لو أراد ذلك لكانوا كفارًا، وإنما مرادهم أن أباهم في زعمهم في ذهاب عن إدراك الحقيقة وإنزال الأمر منزلته اللائقة به، حيث آثر اثنين على عشرة، مع أن العشرة أكثر نفعًا

له وأقدر على القيام بشئونه وتدبير أموره.

س: اذكر بعض المعاني الأُخر التي يطلق عليها الضلال.

ج: قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»(١) بعد ذكره ما تقدم من الكلام الذي نقلناه عنه:

واعلم أن الضلال أطلق في القرآن إطلاقين آخرين:

أحدهما: الضلال في الدين، أي الذهاب عن طريق الحق التي جاءت بها الرسل صلوات الله عليهم وسلامه، وهذا أشهر معانيه في القرآن؛ ومنه بهذا المعنى ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. وقوله: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ﴾وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

الثاني: إطلاق الضلال بمعنى الهلاك والغيبة، من قول العرب: ضل السمن في الطعام، إذ غاب فيه وهلك فيه، ولذلك تسمي العرب الدفن إضلالاً، لأنه تغييب في الأرض يؤول إلى استهلاك عظام الميت فيها، لأنها تصير رميمًا وتمتزج بالأرض، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ﴾ الآية.

ومن إطلاق الضلال على الغيبة: قوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: غاب واضمحل.

ومن إطلاق الضلال على الدفن: قول نابغة ذبيان:

فآب مضلوه بعين جلية وغودر بالجولان حزم ونائل

---

(١) «أضواء» (٣/ ٤٦).

فقوله: مضلوه، يعني دافنيه، وقوله: بعين جلية، أي: بخبر يقين. والجولان: جبل دفن عنده المذكور.

ومن الضلال بمعنى الغيبة والاضمحلال قول الأخطل:

كنت القذي في موج أكدر مزبد قذف الأتي به فضل ضلالا

وقول الآخر:

ألم تسأل فتخبرك الديارُ عن الحي المضلل أين ساروا

❊ ❊ ❊

س: تفضيل بعض الأبناء على بعض يجلب التحاسد والعداوات بينهم، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك: قول إخوة يوسف: ﴿**لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ فوصفوا أباهم بالضلال لذلك، ثم اتجهوا إلى التفكير في قتله وإلى إلقائه في غيابة الجب.

ولذلك حث النبي ﷺ على العدل بين الأولاد في الهبات، فعند البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عهنما قال: أعطاني أبي عطيةً فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تُشهد رسولَ الله ﷺ: فأتى رسول الله ﷺ فقال: إني أعطيت ابني من عمرةَ بنت رواحة عطية فأمرتني أن أُشهدك يا رسول الله. قال: «**أعطيت سائرَ ولَدكَ مثل هذا**»؟ قال: لا، قال: «**فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**»[1] قال: فرجع فردَّ عطيته.

❊ ❊ ❊

---

(١) البخاري (٢٥٨٧)، ومسلم (٤/ ١٤٨-١٤٩).

س: من المعلوم أن تفضيل بعض الأولاد على بعض يورث الحقد والحسد فيما بينهم، وقد كان نبي الله يعقوب عليه السلام يعلم ذلك بدليل قوله: ﴿لا تقصص رؤياك على إخوتك﴾ فلماذا إذن أقدم على هذا التفضيل؟

ج: التفضيل الذي أقدم عليه يعقوب عليه السلام إنما هو تفضيل في المحبة فقط، والمحبة لا يستطيع الشخص أن يتحكم فيها فأصلها من الله، وقد قدمنا الأدلة على ذلك، ثم إن المحبة في القلب، والله يحول بين المرء وقلبه، فمن ثمَّ فيعقوب عليه السلام معذورٌ فيما أقدم عليه من التفضيل.

* * *

س: لقد اجتمع إخوة يوسف على أمرٍ ذي خطرٍ عظيم، بيِّن ما في هذا الأمر من خطر.

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

قال محمد بن إسحاق بن يسار: لقد اجتمعوا على أمر عظيم من قطيعة الرحم، وعقوق الوالد، وقلة الرأفة بالصغير الضرع الذي لا ذنب له، وبالكبير الفاني ذي الحق والحرمة والفضل، وخطره عند الله، مع حق الوالد على ولده؛ ليفرقوا بينه وبين أبيه وحبيبه، على كبر سنه، ورقة عظمه، مع مكانه من الله فيمن أحبه طفلاً صغيراً، وبين ابنه على ضعف قوته وصغر سنه، وحاجته إلى لطف والده وسكونه إليه، يغفر اللّه لهم وهو أرحم الراحمين، فقد احتملوا أمراً عظيماً.

رواه ابن أبي حاتم من طريق سلمة بن الفضل عنه.

* * *

س: الحسد سبب لكثير من البلايا والحوادث والكوارث، دلِّل على ذلك.

ج: نعم، الحسد سببٌ لكل ذلك بل لأشد من ذلك، فالحسد سبب في الكفر، وما امتنع إبليس من السجود لآدم إذ أمره الله بذلك إلا حسداً منه له.

وكان من أسباب امتناع القرشيين من الإيمان والتصديق برسول الله ﷺ ما ذكره الله في كتابه إذ قال: ﴿**وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾.

وقال الله تبارك وتعالىٰ عن اليهود والنصارىٰ: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم**﴾.

وصدر من عبد الله بن أُبي ابن سلول الذي صدر بسبب حسده رسول الله ﷺ. والحسد سبب للقتل كذلك، فالذي حمل ابن آدم الأول علىٰ قتل أخيه حسدُه له، إذا قربا قربانًا فتقبِّل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال: لأقتلنك.

وها هم إخوة يوسف عليه السلام، حملهم حسدهم له علىٰ تقطيع الأرحام وعقوق الوالدين والكذب والافتراء، بل وحملهم علىٰ التفكير الجاد في قتله والتخلص منه.

فجدير بكل شخص مسلم تسرب إليه هذا الداء العضال أن يبادر بالتخلص منه و لا يترك نفسه يحسد من يشاء وكيف يشاء.

❊ ❊ ❊

س: ما المراد بقولهم: ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾؟

ج: قال السعدي رحمه الله تعالى في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي من بعد هذا الصنيع ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ أي تتوبوا إلى الله وتستغفرونه من بعد ذنبكم، فقدموا العزم على التوبة قبل صدور الذنب منهم تسهيلاً لفعله وإزالة لشناعته، وتنشيطًا من بعضهم لبعض. اهـ.

هذا وثمَّ وجه آخر غير الذي ذكره السعدي رحمه الله، حاصله ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي من بعد زوال يوسف وذهابه وابتعاده عنكم ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ لتفرغكم للعبادة والتوبة وإقبال أبيكم عليكم بوجهه، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

س: هل الغاية تُبرر الوسيلة؟ دلِّل على ما تقول.

ج: الغاية لا تُبرر الوسيلة في كل الأحوال، بل الأصل أن الغايات لا تبرر الوسائل فإخوة يوسف عليه السلام أرادوا الصلاح؛ إذ قالوا: ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ ولكنهم سلكوا سبيلاً مذمومًا وأرادوا أمرًا كبيرًا محرمًا، إذ قالوا: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ فأرادوا إقبال أبيهم عليهم وأرادوا الصلاح فهذه غايتهم، ولكن وسيلتهم إلى ذلك قتل أخيهم أو طرحه أرضًا، وقد اعترفوا بخطئهم إذ قالوا فيما بعد: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾.

فالغاية هنا لم تبرر الوسيلة، بل لزامًا أن تكون الغاية صالحة والوسيلة صحيحة كذلك.

فلا تسرق وتتصدق بمالٍ مسروق، ولا تُرابِ وتتصدق بمال الربا.

ولا تأكل أموال اليتامىٰ ظُلمًا وتتصدق بهذه الأموال، وأيضًا فكما قال الشاعر:

أَمُنفقة اليتامى من كَدِّ فرجها لكِ الويلُ لا تزني ولا تتصدقي

وهناك بعض المواطن التي قد تُبرر فيها بعض الغايات بعض الوسائل.

كالكذب للإصلاح، وإباحة الميتة والدم والخنزير عند الاضطرار، وكالتلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه، واختيار أخف الأضرار عند تزاحم المفاسد، ونحو ذلك، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

س: دلِّل على أن يوسف كان صغيرًا عند قذفه في غيابة الجب.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

❊ قول يعقوب عليه السلام: ﴿**وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ**﴾ فالذئب يأكل الصغير في الغالب.

❊ قول الوارد: ﴿**يَا بُشْرَىٰ هَذَا غُلامٌ**﴾.

❊ قول إخوة يوسف: ﴿**أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ**﴾.

❊ قولهم: ﴿**يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ**﴾ والملتقط يكون صغيرًا.

❊ ❊ ❊

مبحثٌ مختصر في أحكام اللقطة

س: إذا وجد شخص لقطةً هل الأولى أن يأخذها أم يتركها؟

ج: للشخص أن يلتقط اللقطة إذا وجدها ثم يُعرفها إذا كانت تحتاج إلىٰ تعريف «أي إذا كانت لقطة لها شأن فيسير اللقطة معفوٌ عنه».

ولكن هل الأولىٰ أن يلتقط اللقطة أم أن يتركها أفضل؟

فهذا يختلف باختلاف نوع اللقطة ومكان العثور عليها وكذلك الشخص المُلتقط، فإذا كانت اللقطة ستتلف إذا تركت في مكانها، أو ستقع في يد شخصٍ غير أمين، فالتقاطها ـ حينئذ ـ ثم تعريفها أولىٰ، ومن ثم قال النبي ﷺ في ضالة الغنم: **«هي لك أو لأخيك أو للذئب»**[(١)] .

أما إذا كانت اللقطة لن تتلف، وهي أيضًا في مكان أمين ويغلب علىٰ الظن أن صاحبها سيأتي لأخذها فتركها في هذه الحال أفضل.

وقد قال النبي ﷺ في ضالة الإبل: **«ما لك ولها؟ معها حذاؤها وسقاؤها**

---

(١) البخاري (حديث ٢٤٢٧) ومسلم (١٧٢٢) من حديث زيد بن خالد رضي الله عنه قال: «جاء أعرابي النبي ﷺ فسأله عما يلتقطه فقال: عرِّفْها سنة، ثم اعرف عفاصها ووكاءها، فإن جاء أحد يخبرك بها وإلا فاستنفقها. قال: يا رسول الله فضالّة الغنم؟ قال: «لك أو لأخيك أو للذئب». قال: ضالة الإبل؟ فتمعَّر وجْه النبيِّ ﷺ فقال: «ما لكَ ولَهَا؟ معها حِذَاؤها وسِقَاؤها، تَرِدُ الماءَ وتأكل الشَّجَرَ» .

والعفاص: هو الوعاء الذي تكون فيه النفقة جلدًا كان أو غيره.

والعفاص أيضًا الجلد الذي يكون علىٰ رأس القارورة، ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٥/ ٩٨).

والوكاء: الخيط الذي تشد به الصرة وغيرها، قاله الحافظ.

حتى يأتيها ربُّها».

هذا، ومما يدل على جواز الالتقاط في الجملة ما يلي:

* ما ذكره أخو يوسف لإخوته إذ قال في شأن يوسف عليه السلام: ﴿ **يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ** ﴾.

* حديث زيد بن خالد(١) رضي الله عنه قال: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فسأله عن اللقطة فقال: «**اعرف عفاصها ووكاءها ثم عرِّفها سنة فإن جاء صاحبها وإلا فشأنك بها**» قال فضالة الغنم؟ قال: «**هي لك أو لأخيك أو للذئب...**» الحديث، وتقدم تخريجه.

* ما أخرجه البخاري ومسلم(٢) من طريق سويد بن غفلة قال لقيت أُبي بن كعب رضي الله عنه فقال: «أصبتُ صُرَّةً فيها مائة دينار، فأتيت النبي ﷺ فقال: «**عرفها حولاً**» فعرفتها حولاً، فلم أجد من يعرفها، ثم أتيته فقال:« **عَرِّفها حولاً**» فعرفتها فلم أجد، ثم أتيته ثلاثًا فقال: «**احفظ وعاءَها وعددها ووكاءها، فإن جاء صاحبها وإلاَّ فاستمتع بها**»، فاستمتعت. فلقيتهُ بعدُ بِمكَّة فقال: لا أدري ثلاثة أحوال أو حولاً واحدًا.

* وأيضًا في الباب نصوصٌ عامة منها قوله تعالىٰ: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى** ﴾.

أما في باب التحذير من التقاطها وعدم تعريفها فقد ورد فيه ما أخرجه مسلم في «صحيحه»: «**من آوى ضالة فهو ضال ما لم يُعرفها**»(٣).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) البخاري (٢٤٣٦)، ومسلم (١٧٢٢).

(٣) أخرجه مسلم (حديث ١٧٢٥).

ونصوص عامة أيضًا ؛ منها: قوله عليه الصلاة والسلام: «**إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام**»[١] .

* * *

س: هل يسير اللقطة كعظيمها في التعريف؟

ج: يسير اللقطة ليس كعظيمها في التعريف، بل يسير اللقطة يُعفىٰ عنه فمن وجد شيئًا تافهًا فعرَّفه سخر الناس منه وقد قال النبي ﷺ في شأن تمرةٍ وجدها: «**لولا أني أخاف أن تكون من تمر الصدقة لأكلتها**»[٢] ، فالشاهد أن الرسول لم يُعرف هذه التمرة ويقول: حق من هذه التمرة ؟ والله أعلم.

واستدل لذلك أيضًا بقصة[٣] الرجل الذي وجد خشبة في البحر فأخذها لأهله حطبًا.

* * *

س: كيف يعرف الشخص أن هذه اللقطة يسيرة أو عظيمة؟

ج: اللقطة يختلف الحكم عليها من ناحية يسرها أو قدرها بحسب المكان والزمان فمن وجد عشرة جنيهات في مدينة كبيرة وسوق كبير فالغالب أن صاحب هذا المبلغ لن يبحث عنه في مثل هذا الجمع الكبير ومن ثم فلا معنىٰ للتعريف، أما من وجد ذلك في قرية صغيرة ومكان محصور وقومٍ فقراء،

(١) البخاري (حديث ٦٧)، ومسلم (حديث ١٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٣١) ومسلم (حديث ١٠٧١) من حديث أنس رضي الله عنه قال: مرَّ النبي ﷺ بتمرة في الطريق قال: «لولا أني أخاف . . » الحديث.

وأخرج البخاري (٢٤٣٢) ومسلم (١٠٧٠) نحوه أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجها البخاري معلقًا (٢٤٣٠).

فالغالب أن صاحب هذا المبلغ سيبحث عنه، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

س: ما وجه الخلاف بين لقطة مكة ولقطة غيرها من البلاد؟

ج: وجه ذلك أن لقطة مكة تحرم عمومًا، لا تلتقط إلا للتعريف فقط، ولا تتملك بعد عام، أما سائر أنواع اللقطة فتُعرف لمدة عام، فإذا جاء صاحبها وإلا تملكها الشخص.

هذا ومن العلماء من سوَّىٰ بين لقطة الحرم وغيرها وقال هي سواء، والأول أولىٰ لتشديد النبي ﷺ في لقطة الحرم.

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه في «الصحيحين»[1]:

«لما فتح الله علىٰ رسوله ﷺ مكة، قام في الناس فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: «**إن الله حبس عن مكة الفيل وسلَّطَ عليها رسوله والمؤمنين، فإنها لا تَحِلُّ لأحدٍ كان قبلي، وإنها أُحلَّتَ لي ساعة من نهار، وإنها لن تحل لأحدٍ من بعدي، فلاً ينفرُ صيدها، ولا يختلى شوكها، ولا تَحِلُّ ساقطتها إلا لمنشد..**».

❊ ❊ ❊

س: ورد في بعض الطرق أن اللقطة تُعرف ثلاثة أعوام، وفي أحاديث أُخر ثابتة أنها تعرف عامًا واحدًا، فكيف الجمع بين هذه الروايات؟

ج: أكثر أهل العلم علىٰ أن اللقطة إنما تعرَّف عامًا واحدًا، وحملوا الحديث الذي ورد فيه التعريف ثلاثًا علىٰ أمورٍ:

منها: أن التعريف لم يكن وقع علىٰ الوجه الكافي، كما قال الرسول عليه

---

(١) البخاري (٢٤٣٤) ومسلم (١٣٥٥).

الصلاة والسلام لرجل: «ارجع فصل فإنك لم تصل».

ووجه ثانٍ: أن رواية التعريف ثلاثًا كانت على سبيل الاحتياط الزائد.

ووجه ثالث: أن الراوي الذي روى حديث التعريف ثلاثًا شك في ذلك، وقد تقدم الحديث من طريق سويد بن غفلة وقد أخرجه أيضًا البخاري ومسلم[١]، و فيه أن بعض الرواة قال: لا أدري ثلاثة أحوال أو حولاً واحدًا.

وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[٢]:

وجمع بعضهم بين حديث أُبي هذا وحديث زيد بن خالد الآتي في الباب الذي يليه فإنه لم يختلف عليه في الاقتصار على سنة واحدة فقال: يحمل حديث أبي بن كعب على مزيد الورع عن التصرف في اللقطة والمبالغة في التعفف عنها، وحديث زيد على ما لا بد منه، أو لاحتياج الأعرابي واستغناء أبي.

قال المنذري: لم يقل أحد من أئمة الفتوى أن اللقطة تعرف ثلاثة أعوام إلا شيء جاء عن عمر. انتهى

وقد حكاه الماوردي عن شواذ من الفقهاء. وحكى ابن المنذر عن عمر أربعة أقوال: يعرفها ثلاثة أحوال، عامًا واحدًا، ثلاثة أشهر، ثلاثة أيام، ويحمل ذلك على عظم اللقطة وحقارتها. وزاد ابن حزم عن عمر قولاً خامسًا وهو أربعة أشهر. وجزم ابن حزم وابن الجوزي بأن هذه الزيادة غلط. قال: والذي يظهر أن سلمة أخطأ فيها ثم تثبت واستذكر واستمر على

(١) البخاري (حديث ٢٤٣٧) ومسلم (١٧٢٣).

(٢) «فتح» (٥/ ٩٥-٩٦).

عام واحد، ولا يؤخذ إلا بما لم يشك فيه راويه.

وقال ابن الجوزي: يحتمل أن يكون ﷺ عرف أن تعريفها لم يقع على الوجه الذي ينبغي، فأمر أبيًا بإعادة التعريف كما قال للمسيء صلاته: «**ارجع فصل فإنك لم تصل**» انتهى.

ولا يخفى بعد هذا على مثل أُبيّ مع كونه من فقهاء الصحابة وفضلائهم. وقد حكى صاحب «الهداية» من الحنفية رواية عندهم أن الأمر في التعريف مفوض لأمر الملتقط، فعليه أن يعرفها إلى أن يغلب على ظنه أن صاحبها لا يطلبها بعد ذلك. والله أعلم.

❊ ❊ ❊

س: إذا لم يوجد صاحب اللقطة أو الضالة بعد سنة هل للملتقط أن يأخذها لنفسه؟

ج: نعم لمن التقطها أن يأخذها إذ عرفها لمدة سنة ولم يأت صاحبها؛ وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم من حديث زيد بن خالد، وقد تقدم وفيه: «**... ثم عرِّفها سنةً فإن جاء صاحبها وإلا فشأنك بها**»[1] الحديث.

وإلى هذا ذهب البخاري حيث بوَّب بباب: إذا لم يوجد صاحب اللقطة بعد سنةٍ فهي لمن وجدها.

❊ ❊ ❊

س: إذا جاء صاحبها بعد سنة هل يُعطاها أم لا؟

ج: ذهب جمهور العلماء إلى أنها تُرد إلى صاحبها إذا جاء ولو بعد عام،

---

(١) اللفظة عند البخاري أيضًا في حديث (٢٤٢٩).

وأن ذلك واجبٌ إذا كانت العين موجودة .

أما إذا كانت استهلكت فيدفع بدلها لصاحبها أيضًا . نقل ذلك الحافظ ابن حجر عنهم .

وخالف البعض فيما إذا استهلكت وقالوا لا يضمن شيئًا ، والله أعلم[١] .

* * *

س: لماذا لم يقولوا (إن شاء الله) عقب قولهم: ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾؟

ج: ذلك لأنهم أضمروا الشر ، ومريد الشر يعمىٰ عن كلمات الخير . والله أعلم .

* * *

(١) ولمزيد بحث انظر «فتح الباري» (٥/ ١٠٢ ، ١٠٩) .

لعب الصبيان

س: اذكر بعض ما يدل على جواز لعب الصبيان.

ج: من ذلك ما يلي:

* ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: قالت: كان الحبش يلعبون فسترني رسول الله ﷺ وأنا أنظر، فما زلت أنظر حتىٰ كنت أنا أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة علىٰ اللهو.

* وفي رواية بإسناد صحيح عند النسائي في «السنن الكبرىٰ»[٢] عن عائشة قالت: دخل الحبشة المسجد يلعبون فقال لي: «**يا حميراء، أتحبين أن تنظري إليهم؟**» فقلت: نعم، فقام بالباب وجئته فوضعت ذقني علىٰ عاتقه فأسندت وجهي إلىٰ خده، قالت: ومن قولهم يومئذ: أبا القاسم طَيِّبًا[٣]، فقال رسول الله ﷺ: «**حسبك؟!**»[٤] فقلت: يا رسول الله لا تعجل، فقام ثم قال: «**حسبك؟!!**» فقلت: لا تعجل يا رسول الله - قالت: وما لي حبُّ النظر إليهم، ولكني أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي ومكاني منه[٥].

---

(١) البخاري (حديث ٥١٩٠) ومسلم (حديث ٨٩٢).

(٢) النسائي في «السنن الكبرىٰ» (حديث ٨٩٥١/ ١) وقد صحح الحافظ ابن حجر رحمه الله إسناد هذه الرواية في «فتح الباري» (٢/ ٤٤٤).

(٣) أي: من الأغاني التي يغنون بها.

(٤) حسبك أي: هل يكفيك؟

(٥) أي: يعرف النساء (تعني أزواجه) منزلتي عند رسول الله ﷺ.

*وفي رواية بإسناد حسن عن عائشة رضي الله عنها عند النسائي في «السنن الكبرىٰ»: قالت: لعبت الحبشة فجئت من ورائه ﷺ فجعل يطأطيء ظهره حتىٰ أنظر[١].

*وأخرج الإمام أحمد في «المسند»[٢]، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» وغيرهما بسند صحيح، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم و لم أبدن، فقال للناس: **«تقدموا»** فتقدموا ثم قال لي: **«تعالي حتى أسابقك»** فسابقته فسبقته، فسكت عني حتىٰ إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس: **«تقدموا»** فتقدموا ثم قال: **«تعالِي حتى أسابقك»** فسابقته فسبقني فجعل يضحك وهو يقول: **«هذه بتلك»**.

*وأخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كنت ألعب بالبنات[٤] عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان

---

(١) النسائي «السنن الكبرىٰ» (٥/ ٣٠٨).

(٢) أحمد في «المسند» (٦/ ٢٦٤) والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (٥/ ٣٠٤).

(٣) البخاري «مع الفتح» (١٠/ ٥٢٦) ومسلم (مع النووي٥/ ٢٩٥).

(٤) البنات هي اللعب التي يلعب بها الفتيات الصغيرات، وتكون هذه البنات علىٰ شكل عرائس ونحوها قال النووي: قال القاضي: فيه جواز اللعب بهن، قال: وهن مخصوصات من الصور المنهي عنها لهذا الحديث، ولما فيه من تدريب النساء في صغرهن لأمر أنفسهن وبيوتهن وأولادهن، وقد أجاز العلماء بيعهن وشراءهن.. ثم قال: ومذهب جمهور العلماء جواز اللعب بهن.

وقال الحافظ ابن حجر «فتح الباري» (١٠/ ٥٢٧): واستدل بهذا الحديث علىٰ جواز اتخاذ صور البنات واللعب من أجل لعب البنات بهن، وخصَّ ذلك من عموم النهي عن اتخاذ =

رسول الله ﷺ إذا دخل ينقمعن(١) منه فيُسرّبهن(٢) إليَّ فيلعبن معي.

* وقد استدل جمهور العلماء بهذا الحديث على جواز لعب البنات الصغيرات بالبنات (أي باللعب بالصغيرة التي على شكل العرائس ونحوها).

وانظر ما قاله الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» في ذلك.

* وقد قال إخوة يوسف عليه السلام لأبيهم: ﴿**أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ**﴾ [يوسف: ١٢]، فما أنكر أبوهم لعب يوسف ﷺ، وإنما أبدى مخاوفه بقوله: ﴿**إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ**﴾ [يوسف: ١٣].

* وأخرج البخاري ومسلم(٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: «**يا أبا عمير ما فعل النُّغير؟**»(٤).

* وفي رواية لأحمد(٥) من طريق حميد بن أنس قال: كان لأبي طلحة ابنٌ يقال له أبو عمير وكان النبي ﷺ يضاحكه قال فرآه حزينًا فقال: يا أبا

= الصور، وبه جزم عياض ونقله عن الجمهور.
ونقل الحافظ ابن حجر رحمه الله جملة أقوال في ذلك.

(١) ينقمعن: أي: يختفين.

(٢) يُسربهن أي: يرسلهن.
وفي رواية للنسائي في «السنن الكبرى» (٥/ ٣٠٦) من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: كنت ألعب بالبنات فربما دخل عليّ رسول الله ﷺ وصواحباتي عندي فإذا رأين رسولَ الله ﷺ فررن فيقول رسول الله ﷺ: «كما أنت، وكما أنتن».

(٣) البخاري (حديث٦١٢٩)، ومسلم (حديث٢١٥٠).

(٤) النُّغير: طائر صغير.

(٥) أحمد «المسند» (٣/ ١١٥) وسنده صحيح.

عمير ما فعل النغير؟ ! .

* وفي رواية ثالثة عند أحمد أيضًا[١] . . . وكان يمازحه فدخل عليه فرآه حزينًا فقال ما لي أرىٰ أبا عمير حزينًا ؟ فقالوا : مات نغره الذي كان يلعب به . قال : فجعل يقول : أبا عمير ما فعل النغير .

* * *

س: اعتذر يعقوب لأبنائه بعذرين لمنع يوسف من الخروج من إخوته، وضحهما.

ج: **أما العذر الأول**: فهو قوله : ﴿**إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ**﴾ أي : يشق عليَّ فراقه ، ويحزنني ابتعاده عني .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وذلك لفرط محبته له لما يتوسم فيه من الخير العظيم وشمائل النبوة والكمال في الخلق والخُلق صلوات الله وسلامه عليه .

أما العذر الثاني: فهو خوفه من أن يأكله الذئب .

* * *

س: هل يتسرب الحزن إلى الصالحين؟

ج: نعم فالصالحون بشرٌ يحزنون كما يحزن البشر قال يعقوب عليه السلام : ﴿**إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ**﴾ .

وقال النبي ﷺ : «**وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزنون**»[٢] .

---

(١) أحمد (٣/ ١٨٨ ، ٢٠١) وهو صحيح .

(٢) أخرجه البخاري (١٣٠٣) في وفاة ولده إبراهيم عليه السلام وقد دخل عليه النبي ﷺ وهو =

ولما قتل زيد و جعفر وابن رواحة رضي الله عنهم جلس النبي ﷺ يُعرف في وجهه الحزن[١] .

* * *

س: ما موقع اللام في قولهم: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾؟

ج: اللام هي الموطئة للقسم، فالمعنىٰ: والله لئن أكله الذئب . . .

* * *

س: ما جواب (لـمَّا) في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ...﴾؟

ج:

* من العلماء من قال: جواب ذلك محذوف. فالمعنىٰ: فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب عظمت فتنتهم. وقيل: فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب جعلوه فيها.

* ومن ا لعلماء من قال: بل الجواب مذكور، وهو قولهم إنا ذهبنا نستبق فالمعنىٰ: فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب، أتوا فقالوا: يا أبانا إنا ذهبنا نستبق.

* ومن العلماء من قال: فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب أوحينا إليه، فالجواب أوحينا إليه والواو مقحمة كما في قوله تعالىٰ: ﴿فلما أسلما وتله للجبين وناديناه﴾ فالمعنىٰ: فلما أسلما وتله للجبين

= يجود بنفسه فجعلت عينا رسولِ الله ﷺ تذرفان. . ثم قال: «إن العين تدمع والقلبُ يحزن، ولا نقول إلا ما يرضىٰ ربُّنا، وإنا بِفراقك يا إبراهيم لمحزونون».
وانظر أيضًا مسلم (حديث ٢٣١٥).

(١) البخاري (حديث ١٢٩٩).

نادیناه.

وكما في قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾فالمعنىٰ فلما جاء أمرنا فار التنور.

وكما في قوله تعالىٰ: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ فالمعنىٰ: حتىٰ إذا جآءوها فتحت أبوابها. والله أعلم.

* * *

س: هل أُعطي يوسف النبوة وهو في البئر؟

ج: قال ذلك بعض أهل العلم، وذلك لقوله تعالىٰ: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ قالوا: فأوحىٰ إليه وهو في البئر، فدل ذلك علىٰ نبوته.

وقال آخرون: إن هذا الوحي كان إلهامًا كالوحي في قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ وكقوله: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ وكقوله: ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾.

فقال هذا الفريق من أهل العلم: إنه أوحىٰ إليه لما بلغ أشده فعند ذلك ﴿ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ وفسر بعضهم ذلك بالنبوة.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

وفي هذا دليل علىٰ أنه يجوز أن يوحي الله إلىٰ من كان صغيرًا ويعطيه النبوة حينئذ كما وقع في عيسىٰ ويحيىٰ بن زكريا وقيل: معنىٰ الوحي هنا الإلهام كقوله تعالىٰ: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾، ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ﴾ والأول أولىٰ، وقد قيل: إنه كان في ذلك الوقت قد بلغ مبلغ الرجال وهو بعيد جدًا، فإن من كان قد بلغ مبلغهم لا يخاف عليه أن يأكله الذئب.

وقال الرازي في «التفسير الكبير»:

في قوله: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ ﴾ قولان:

أحدهما: أن المراد منه الوحي والنبوة والرسالة وهذا قول طائفة عظيمة من المحققين، ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في أنه عليه السلام هل كان في ذلك الوقت بالغًا أو كان صبيًا؟ قال بعضهم: إنه كان في ذلك الوقت بالغًا وكان سنه سبع عشرة سنة، وقال آخرون: إنه كان صغيرًا إلا أن الله تعالىٰ أكمل عقله وجعله صالحًا لقبول الوحي والنبوة كما في عيسىٰ عليه السلام.

والقول الثاني: أن المراد من هذا الوحي الإلهام كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ﴾ وقوله: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ والأول: أولىٰ، لأن الظاهر من الوحي ذلك.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ متى كان هذا الإنباء؟

ج: للعلماء في ذلك قولان:

أحدهما: أن هذا الإنباء هو قول يوسف عليه السلام: إذ قال لإخوته: ﴿ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ.. ﴾.

الثاني: ما ذكره الطبري[1] بإسناده إلىٰ ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما دخل إخوة يوسف فعرفهم وهم له منكرون، قال: جيء بالصُّوَاع،

(١) الطبري (١٨٨٤٠) وابن أبي حاتم (١١٧٢٩). وفي إسناده من لم يُذكر فيه جرح ولا تعديل.

فوضعه علىٰ يده، ثم نقره فطنَّ، فقال: إنه ليخبرني هذا الجامُ أنه كان لكم أخٌ من أبيكم يقال له يوسف، يدنيه دونكم، وإنكم انطلقتم به فألقيتموه في غيابة الجب.

قال: ثم نقره فطنَّ فأتيتم أباكم فقلتم: إن الذئب أكله، وجئتم علىٰ قميصه بدمٍ كذب! قال: فقال بعضهم لبعض: إن هذا الجام ليخبره بخبركم. قال ابن عباس: فلا نرىٰ هذه الآيات نزلت إلا فيهم: «لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون».

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ لا يشعرون بماذا؟

ج: لا يشعرون بأنك يوسف، قاله بعض أهل العلم.

وقال آخرون: لا يشعرون بوحينا إليك.

* * *

س: يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ خلق كريم في التعامل مع المؤمنين، وضح هذا الخلق.

ج: هذا هو جبران الخواطر المنكسرة، فيوسف ﷺ كُسر خاطره بعد أن أبعد عن عين أبيه فأهانه إخوته.

وكما نقل ابن كثير عن السدي[1] وغيره.

إنه لم يكن بين إكرامهم له وبين إظهار الأذىٰ له إلا أن غابوا عن عين أبيه وتواروا عنه، ثم شرعوا يؤذونه بالقول من شتم ونحوه، والفعل من ضرب

(١) ولعله مُتلقىٰ من الإسرائيليات.

ونحوه، ثم جاءوا به إلىٰ ذلك الجب الذي اتفقوا علىٰ رميه فيه، فربطوه بحبل ودلوه فيه، فجعل إذا لجأ إلىٰ واحد منهم لطمه وشتمه، وإذا تشبث بحافات البئر ضربوا علىٰ يديه، ثم قطعوا به الحبل من نصف المسافة، فسقط في البئر فغمره، فصعد إلىٰ صخرة تكون في وسطه يقال لها: «الراغوفة» فقام فوقها.

قلت: فلما أهانوه عليه السلام، وألقوه في غيابة الجب جبر الله خاطره، بأن أوحىٰ إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون، تطييبًا لقلبه وتثبيتًا له ومؤانسة لوحشته.

وهكذا فلتجبر الخواطر المنكسرة، فالمطلقة التي كُسر خاطرها بالطلاق قال الله في شأنها: ﴿**وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ**﴾ فجُبر خاطرها بالمتاع، وكذلك أولو القربىٰ واليتامىٰ والمساكين الذين يحضرون قسمة الميراث جُبر خاطرهم بأن قال تعالىٰ: ﴿**وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا**﴾.

وهكذا ينبغي أن يُفعل مع أصحاب المصائب الذين حلت بهم أو بأموالهم وأولادهم مصائب، ينبغي أن يؤازروا وأن يُعاونوا حتىٰ تقال عثراتهم.

* * *

س: لماذا جاءوا أباهم عشاءً؟

ج: ذلك حتىٰ يدلسوا بالدم المكذوب علىٰ أبيهم.

وحتىٰ يدلسوا بالدمع المكذوب كذلك.

وقالوا أيضًا: لأن العين تستحيي من العين كذلك.

وحتىٰ يُظهروا لأبيهم أنهم أمضوا نهارهم في البحث عن يوسف عليه السلام.

* * *

س: البكاء لا يقاوم القرائن والبينات دلّل على ذلك.

ج: نعم البكاء لا يكون دليلا يقاوم القرائن والبينات لاحتمال أن يكون تصنعًا كما صنع أخوة يوسف، فقد جآءوا أباهم عشاءً يبكون، وكانوا آنذاك كاذبين.

* * *

س: استدل بعض الفقهاء بهذه الآية الكريمة لإعمال القرائن والأمارات في بعض مسائل الفقه، وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أن الاستدلال علىٰ كذب إخوة يوسف فيما ادعوا من أن الذئب قد أكله، كان (أي الاستدلال علىٰ الكذب) من سلامة القميص، فكيف يأكل الذئب غلامًا ولا يقرب القميص بشق أو بخرق؟!

* * *

بعض الوارد في أحكام السباق

س: اذكر بعض الأدلة على مشروعية السباق.

ج: من ذلك قول إخوة يوسف: ﴿يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾.

ومسابقة النبي ﷺ لعائشة مرتين(١).

ومسابقة النبي ﷺ بين الخيول(٢).

ومسابقة الأعرابي على قَعُودٍ له ناقة رسول الله(٣).

---

(١) أخرج الإمام أحمد «المسند» (٦/ ٢٦٤) بسندٍ صحيح عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت: (خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: «تقدموا»، فتقدموا، ثم قال لي: «تعالِي حتىٰ أسابقك»، فسابقتُه فسبقتُه، فسكت عني حتىٰ إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: «تقدموا»، فتقدموا، ثم قال: «تعالِي حتىٰ أسابقك»، فسابقته فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول: «هذه بتلك».

(٢) أخرج ذلك البخاري (حديث ٢٨٦٨) ومسلم (حديث ١٨٧٠) عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ سابق بالخيل التي قد أضمرت من الحفياء وكان أمدها ثنيّة الوداع وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلىٰ مسجد بني زريق، وكان ابن عمر فيمن سابق بها.
أما بالنسبة لمعاني بعض ألفاظ هذا الحديث، فقد قال النووي رحمه الله:
(أضمرت) يقال: أضمرت وضمرت وهو أن يقلل علفها مدة وتدخل بيتًا كنينًا وتجللّ فيه لتعرق ويجف عرقها، فيجف لحمها وتقوىٰ على الجري.
(من الحفياء) قال سفيان بن عيينة: بين ثنية الوداع والحفياء خمسة أميال أو ستة. وقال موسىٰ بن عقبة: ستة أو سبعة.
(ثنية الوداع هي عند المدينة: سميت بذلك لأن الخارج من المدينة يمشي معه المودعون إليها، والمعنىٰ أن مبدأ السباق كان من الحفياء ومنتهاه ثنية الوداع.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٢٨٧٢) من حديث أنس رضي الله عنه، قال: كان للنبي ﷺ ناقةٌ =

س: اذكر بعض شروط المسابقات.

ج: ذكر القرطبي رحمه ا لله بعض ذلك فقال:

وروىٰ مالك عن نافع عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ سابق بين الخيل التي قد أُضمرت من الحَفيَاء وكان أمدها ثَنيَّة الوداع، وسابق بين الخيل لم التي تُضمَّر من الثَّنِيَّة إلىٰ مسجد بني زُرَيق، وأن عبد الله بن عمر كان ممن سابق بها؛ وهذا الحديث مع صحته في هذا الباب تضمن:

ثلاثة شروط ـ فلا تجوز المسابقة بدونها ـ وهي:

أن المسافة لا بد أن تكون معلومة.

الثاني: أن تكون الخيل متساوية الأحوال.

الثالث: ألا يسابق المضمَّر مع غير المضمَّر في أمد واحد وغاية واحدة. والخيل التي يجب أن تضمَّر ويسابق عليها، و تقام هذه السنّة فيها هي الخيل المعدة لجهاد العدو لا لقتال المسلمين في الفتن.

وقال أيضًا:

وأما المسابقة بالنصال والإبل؛ فروىٰ مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: سافرنا مع رسول الله ﷺ فنزلنا منزِلاً فمِنَّا من يصلح خباءه، ومنا من ينتصل، وذكر الحديث. وخرّج النسائي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا سبَقَ إلا في نَصل أو خُفّ أو حافر**». وثبت ذكر النصل من حديث ابن أبي ذئب عن نافع بن أبي نافع عن أبي هريرة، ذكره النسائي، وبه يقول

= تسمىٰ العضباء، لا تُسبق قال حميد ـ أو لا تكاد تُسبق ـ فجاء أعرابي علىٰ قعود فسبقها فشق ذلك علىٰ المسلمين حتىٰ عرَفَهُ فقال «حق علىٰ الله أن لا يرتفع شيءٌ من الدنيا إلا وضعه».

فقهاء الحجاز والعراق. وروىٰ البخاري عن أنس قال: كان للنبي ﷺ ناقة تسمىٰ العضباء لا تُسبق. قال حُميد: أو لا تكاد تُسبق. فجاء أعرابي علىٰ قعود فسبقها، فشق علىٰ المسلمين حتىٰ عرفه؛ فقال: «**حق على الله ألاّ يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه**».

وقال كذلك: أجمع المسلمون علىٰ أن السَّبَق لا يجوز علىٰ وجه الرهان إلا في الخفّ والحافر والنّصل؛ قال الشافعي: ما عدا هذه الثلاثة فالسَّبَق فيها قِمار. وقد زاد أبو البختري القاضي في حديث الخفّ والحافر والنّصل «أو جَنَاح» وهي لفظة وضعها للرشيد، فترك العلماء حديثه لذلك ولغيره من موضوعاته؛ فلا يكتب العلماء حديثه بحال. وقد رُوي عن مالك أنه قال: لا سبق إلا في الخيل والرمي، لأنه قوة علىٰ أهل الحرب؛ قال: وسبق الخيل أحب إلينا من سبق الرمي. وظاهر الحديث يسوّي بين السبق علىٰ النُّجُب والسَّبق علىٰ الخيل. وقد منع بعض العلماء الرّهان في كل شيء إلا في الخيل؛ لأنها التي كانت عادة العرب المراهنة عليها. ورُوي عن عطاء: أن المراهنة في كل شيء جائزة؛ وقد تُؤُوِّل قوله؛ لأن حمله علىٰ العموم في كل شيء يؤدّي إلىٰ إجازة القمار، وهو محرم باتفاق.

ثم قال أيضًا:

لا يجوز السَّبَق في الخيل والإبل إلا في غاية معلومة وأمد معلوم، كما ذكرنا، وكذلك الرمي لا يجوز السبق فيه إلا بغاية معلومة ورشق معلوم، ونوع من الإصابة؛ مشترطًا خسفًا أو إصابة بغير شرط.

والأسباق ثلاثة:

سبق يعطيه الوالي أو الرجل غير الوالي من ماله متطوعًا: فيجعل للسابق

شيئًا معلومًا؛ فمن سبق أخذه.

وسَبَق يخرجه أحد المتسابقين دون صاحبه: فإن سبقه صاحبه أخذه، وإن سبق هو صاحبه أخذه، وحسن أن يمضيه في الوجه الذي أخرجه له، ولا يرجع إلىٰ ماله؛ وهذا مما لا خلاف فيه.

والسبق الثالث: اختلف فيه: وهو أن يخرج كل واحد منهما شيئًا مثل ما يخرجه صاحبه، فأيهما سَبَق أحرز سبقه وسبق صاحبه؛ وهذا الوجه لا يجوز حتىٰ يُدخِلا بينهما محلِّلاً لا يأمنا أن يسبقهما؛ فإن سبق المحلل أحرز السبقين جميعًا وأخذهما وحده.

* * *

س: ذكر بعض أهل العلم في القميص علامة تدل على رد قول إخوة يوسف إذ قالوا: ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ ما هذه العلامة؟

ج: هي التي وردت عن ابن عباس رضي الله عنهما إذ قال ـ فيما أخرجه الطبري عنه بسندٍ صحيح ـ: لو أكله الذئب لخرَّق القميص[1]. فسلامة القميص دليل علىٰ كذب إخوة يوسف إذ ادعو أن الذئب قد أكله.

* * *

س: ذُكر القميص في ثلاثة مواطن من هذه السورة وفيه آيات وضح ذلك.

ج: هذه المواطن هي:

أولاً: قوله تعالىٰ: ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ فكانت سلامة

(١) الطبري (١٨٨٥١، ١٨٨٥٢، ١٨٨٥٣).

القميص دلالة على كذبهم.

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ﴾ وقول الشاهد: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ﴾ فكان قطع القميص من الخلف دليلاً على براءة يوسف عليه السلام وصدقه.

ثالثًا: قوله: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾،

وقوله: ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾.

* * *

س: ما هي القرائن التي اعتمد عليها يعقوب عليه السلام إذ قال لبنيه: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾.

ج: من هذه القرائن ما يلي:

* رؤيا يوسف التي رآها (فلم تكن قد تحققت) ويعقوب عليه السلام يدرك أنها ستتحقق.

* سلامة قميص يوسف، فكيف يأكله الذئب دون إصابة القميص بشيء؟!

* قولهم: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾

* * *

س: في قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ مقدرٌ، وضح هذا المقدر.

ج: المقدر هو «صبري» فالمعنى: فصبري صبرٌ جميل أو فشأني صبرٌ

جميل.

ويصلح أيضًا أن يُقال فصبرٌ جميلٌ أولىٰ لي وأليق بي.

* * *

س: قول (الله المستعان) قول طيب قالته بعض أزواج النبي ﷺ في موطن من المواطن، من القائلة؟ وما مناسبة ذلك؟

ج: القائلة هي أم المؤمنين عائشة[1] رضي الله عنها، قالته في حديث الإفك حين أتاها النبي ﷺ فقال لها:

«**أما بعدُ يا عائشة؛ إنه بلغَني عنكِ كذا وكذا، فإن كنت بريئة فيسُبرِّؤك الله، وإن كنت ألممتِ بذنب فاستغفري اللهَ وتوبي إليه، فإنَّ العبد إذا اعترفَ ثم تابَ تابَ الله عليه**». قالت: فلما قضىٰ رسول الله ﷺ مقالته قَلَصَ دمعي حتىٰ ما أُحِسُّ منه قطرة، فقلت لأبي: أجِب رسول الله ﷺ عني فيما قال: فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسولِ الله ﷺ. فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال قالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلت ـ وأنا جارية حديثةُ السن لا أقرأ من القرآن كثيرًا ـ: إني والله لقد علمتُ لقد سمعتم هذا الحديث حتىٰ استقرَّ في أنفُسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة ـ لا تُصدّقونني، ولئن اعترفت لكم بأمرٍ ـ والله يعلم أني منه بريئة ـ لتُصدِّقني، فوالله لا أجدُ لي ولكم مثلاً إلاّ أبا يوسفَ حين قال: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ**﴾.

* * *

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٨/ ٤٥٢)، ومسلم (٢١٢٩).

ٱقْتُلُوا۟
يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ
بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ
وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ
فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ
لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ
لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ
أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ
أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾
فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ
إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ
أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ
وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ
بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ
بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ
وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟
وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ

دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ
أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ
أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ
أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

سيارةٌ ـ واردهم ـ فأدلى دلوه ـ يا بشرى ـ أسروه بضاعة ـ شروه بثمن بخس ـ معدودة ـ الزاهدين ـ أكرمي مثواه ـ مكَّنا ـ تأويل الأحاديث ـ غالبٌ على أمره ـ بلغ أشدَّه ـ حُكمًا.

ج:

الكلمة	معناها
سيارةٌ	رفقة من الناس يسيرون مع بعضهم.
واردهم	رسولهم الذي يبحث لهم عن الماء ويرد الماء فيأتيهم به.
أدلى دلوه	دلَّىٰ دلوه في البئر.
يا بشرى	كلمة يبشر بها نفسه ويبشر بها أصحابه أيضًا. وثمَّ قول ضعيف و هو: أن« بشرىٰ» اسم رجل من السيارة بعينه ناداه المدلي لما خرج يوسف من البئر متعلقًا بالحبل.
أسروه بضاعة	أخفوه عن غيرهم وأظهروا لهم أنه بضاعة اشتروها (عبد اشتروه) حتىٰ لا يشاركوهم فيه. (أي: أخفاه الوارد المستقي ومن معه من أصحابه عن سائر القافلة وقالوا: هو بضاعة استبضعناها). وقول آخر: « أسره إخوته» أي: كتموا شأنه وقالوا هو عبدٌ لنا قد أبق منا (أي هرب منا).

شروه	باعوه
بخس	قليل ـ ظلم ـ حرام ـ مبخوس
معدودة	يعدها العاد، ويحصرها الحاصر، وهذا يعني أنها قليلة
الزاهدين	الزاهد في الشيء هو قليل الرغبة فيه .
أكرمي مثواه	أما «المثوىٰ» فهو: موضع الإقامة، فالمعنىٰ: أكرمي منزله وموضع إقامته والمراد: أكرميه وأحسني إليه .
مكنـــا	جعلنا له مكانًا ، أعطيناه مكانةً ورتبةً عاليةً، ثبتناه .
تأويل الأحاديث	تعبير الرؤيا .
غالب على أمره	يغلب غيره ويفعل ما أراده .
بلغ أشدَّه	اكتملت قوته البدنية والعقلية، وقبل أن يأخذ في النقصان .
حُكمًا	نبوة ـ إصابةً في القول والعمل .

* * *

س: ما المراد بالنداء في قوله: ﴿يا بشرى هذا غلام﴾.

ج: قال القاسمي رحمه الله في «محاسن التأويل»:

نزلت (أي هذه الكلمة) منزلة من ينادي، ويقال: إن هذه الكلمة تستعمل للتبشير من غير قصد إلى النداء.

قال الزجاج: معنى النداء في هذه الأشياء التي لا تجيب هو تنبيه المخاطبين، وتوكيد القصة، فإذا قلت: يا عجباه. فكأنك قلت: اعجبوا.

* * *

س: من الذين أسروه بضاعة؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن الذين أسروه بضاعة هم إخوته، أخبروا الوارد أن هذا عبدٌ لهم قد اشتروه وأبق (هرب) منهم.

الآخر: أن الذين أسروه بضاعة هو الوارد ومن معه، أخفوا أمره عن سائر القافلة وقالوا إنهم اشتروه، والله أعلم.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿والله عليم بما يعملون﴾ تسليةٌ لرسول الله ﷺ، وضح ذلك.

ج: المعنى المستفاد أولاً: أن الله لا يخفى عليه أمر يوسف ﷺ وما يُصنع به، وهو سبحانه قادرٌ على دفعه ولكنه يُملي للظالمين ويرفع درجات المتقين.

ووجه التسلية لرسول ﷺ: أن الله يعلم ما يُفعل بنبيه محمد ﷺ، وهو قادر على دفعه، ولكنه يبتلي رسله وأولياءه ثم تكون العاقبة للتقوى، كما

قال تعالىٰ: ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾.

وكما قال تعالىٰ: ﴿فَلا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

وكما قال تعالىٰ: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر﴾.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾، يقول تعالىٰ ذكره: والله ذو علم بما يعمله باعةُ يوسف ومشتروه في أمره، لا يخفىٰ عليه من ذلك شيء، ولكنه ترك تغيير ذلك ليمضي فيه وفيهم حكمه السابق في علمه، وليري إخوة يوسف ويوسف وأباه قدرته فيه.

وهذا، وإن كان خبراً من الله تعالىٰ ذكره عن يوسف نبيه ﷺ، فإنه تذكير من الله نبيه محمد ﷺ، وتسليةٌ منه له عما كان يلقىٰ من أقربائه وأنسبائه المشركين من الأذىٰ فيه. يقول: فاصبر، يا محمد، علىٰ ما نالك في الله، فإني قادرٌ علىٰ تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون، كما كنت قادراً علىٰ تغيير ما لقىٰ يوسف من إخوته في حال ما كانوا يفعلون به ما فعلوا، ولم يكن تركي ذلك لهوان يوسف عليّ، ولكن لماضي علمي فيه وفي إخوته، فكذلك تركي تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون لغير هوانٍ بك عليَّ، ولكن لسابق علمي فيك وفيهم، ثم يصير أمرُك وأمرهم إلىٰ عُلوك عليهم وإذعانهم لك، كما صار أمرُ إخوة يوسف إلىٰ الإذعان ليوسف بالسؤدد عليهم، وعلوٍّ يوسف عليهم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿واللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: عليم بما يفعله إخوة يوسف

ومشتروه، وهو قادر على تغيير ذلك ودفعه، ولكن له حكمة وقدر سابق، فترك ذلك ليمضي ما قدره وقضاه ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾

وفي هذا تعريض لرسوله محمد ﷺ، وإعلام له بأني عالم بأذى قومك لك، وأنا قادر على الإنكار عليهم، ولكني سأملي لهم، ثم أجعل لك العاقبة والحكم عليهم، كما جعلت ليوسف الحكم والعاقبة على إخوته.

❊ ❊ ❊

س: من الذين شروه؟

ج: تقدم أن «شروه» بمعنى «باعوه».

أما الذين شروه فلأهل العلم فيهم قولان:

أحدهما: أنهم إخوة يوسف عليه السلام باعوه للسيارة.

الآخر: أن الذين شروه (أي باعوه) هم السيارة. والقول الأول عليه الأكثرون، والقول الثاني: يشهد له قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ**﴾ فالذي اشتراه إنما اشتراه من السيارة، والله أعلم.

وهذه بعض أقوال أهل العلم في ذلك.

وقال الطبري رحمه الله:

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: «وشرى إخوةُ يوسف يوسف بثمن بخس»، وذلك أن الله عز وجل قد أخبر عن الذين اشتروه أنهم أسرُّوا شراء يوسف من أصحابهم، خيفة أن يستشركوهم، بادّعائهم أنَّه بضاعة، ولم يقولوا ذلك إلا رغبة فيه أن يخلُص

لهم دونهم. واسترخاصًا لثمنه الذي ابتاعوه به، لأنهم ابتاعوه كما قال جل ثناؤه: ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾

ولو كان مبتاعوه من إخوته فيه من الزاهدين لم يكن لقيلهم لرفقائهم: «هو بضاعة» معنى ولا كان لشرائهم إياه وهم فيه من الزاهدين، وجهٌ، إلا أن يكونوا كانوا مغلوبًا على عقولهم، لأنه محال أن يشتري صحيحُ العقل ما هو فيه زاهدٌ من غير إكراهِ مكرِهٍ له عليه، ثم يكذب في أمرِه الناس بأن يقول: «هو بضاعة لم أشتره»، مع زهده فيه. بل هذا القول من قول من هو بسلعته ضنينٌ لنفاستها عنده، ولما يرجُو من نفيس الثَّمن لها وفضل الربح.

وقال ابن الجوزي رحمه الله في «زاد المسير»:

قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ﴾ هذا حرف من حروف الأضداد، تقول: شريت الشيء، بمعنى بعته؛ وشريته، بمعنى اشتريته.

فإن كان بمعنى باعوه، ففيهم قولان:

أحدهما: أنهم إخوته، وهو قول الأكثرين.

والثاني: أنهم السيارة، ولم يبعه إخوته، قاله الحسن وقتادة.

وإن كان بمعنى اشتروه: فإنهم السيارة.

وقال الرازي رحمه الله في «التفسير الكبير»:

أما قوله: ﴿وَشَرَوْهُ﴾ ففيه قولان:

القول الأول:

المراد من الشراء هو البيع، وعلى هذا التقدير ففي ذلك البائع قولان:

القـــول الأول: قـال ابن عبـاس رضي الله عنهـمـا : إن إخوة يوسف لما طرحوا يوسف في ا لجب ورجعوا عادوا بعد ثلاث يتعرفون خبره، فلما لم يروه في الجب ورأوا آثار السيارة طلبوهم فلما رأوا يوسف قالوا : هذا عبدنا أبق منا فقالوا لهم: فبيعوه منا فباعوه منهم، والمراد من قوله: ﴿وَشَرَوْهُ﴾ أي: باعوه، يقال: «شريت الشيء» إذا بعته وإنما وجب حمل هذا الشراء على البيع؛ لأن الضمير في قوله: ﴿وَشَرَوْهُ﴾ وفي قوله: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ عائد إلى شيء واحد لكن الضمير في قوله: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ عائدٌ إلى الأخوة فكذا في قوله: ﴿وَشَرَوْهُ﴾ يجب أن يكون عائدًا إلى الأخوة، وإذا كان كذلك فهم باعوه فوجب حمل هذا الشراء على البيع.

والقول الثاني: أن بائع يوسف هم الذين استخرجوه من البئر، وقال محمد بن إسحاق: ربك أعلم أإخوته باعوه أم السيارة؟

وههنا قول آخر:

وهو أنه يحتمل أن يقال: المراد من الشراء نفس الشراء، والمعنى: أن القوم اشتروه وكانوا فيه من الزاهدين، لأنهم علموا بقرائن الحال أن إخوة يوسف كذابون في قولهم «إنه عبدنا» وربما عرفوا أيضًا أنه ولد يعقوب فكرهوا شراءه خوفًا من الله تعالى ومن ظهور تلك الواقعة، إلا أنهم مع ذلك اشتروه بالآخرة لأنهم اشتروه بثمن قليل. مع أنهم أظهروا من أنفسهم كونهم فيه من الزاهدين، وغرضهم أن يتوصلوا بذلك إلى تقليل الثمن.

ويحتمل أيضًا أن يقال إن الإخوة لما قالوا: إنه عبدنا أبق صار المشتري عديم الرغبة فيه.

قال مجاهد: وكانوا يقولون استوثقوا منه لئلا يأبق.

وقال الجزائري حفظه الله في «أيسر التفاسير»:

وكان إخوة يوسف يترددون على البئر يتعرفون على مصير أخيهم فلما رأوه بأيدي الوارد ورفقائه قالوا لهم: «هذا عبد لنا أبق، وإن رأيتم شراءه بعناه لكم» فقالوا: ذاك الذي نريد فباعوه لهم بثمن ناقص وأسره الذين اشتروا أي: أخفوه عن رجال القافلة حتى لا يطالبوهم بالاشتراك فيه معهم، وقالوا هذه بضاعة كلفنا أصحاب الماء بإيصالها إلى صاحبها بمصر. هذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾ ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾. وكونها معدودة غير موزونة دال على قلتها ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ أي إخوته لا الذين اشتروه.

* * *

س: ما وجه زهدهم فيه؟ ومن الذين كانوا فيه من الزاهدين؟

ج: وجه زهدهم فيه: أنهم لم يعلموا كرامته على الله، ولم يعرفوا منزلته عنده، ثمَّ باعوه بثمن بخسٍ دراهم معدودة، والله أعلم.

أما الذين كانوا فيه من الزاهدين ففيه قولان:

أحدهما: أنهم إخوة يوسف.

والثاني: أنهم الذين التقطوه.

وذكر الرازي رحمه الله وجوهًا فقال:

أحدها: أن إخوة يوسف باعوه، لأنهم كانوا فيه من الزاهدين.

والثاني: أن السيارة الذين باعوه كانوا فيه من الزاهدين لأنهم التقطوه، والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بأي شيء يبيعه. أو لأنهم خافوا أن يظهر المستحق فينزعه من يدهم، فلا جرم باعوه بأوكس الأثمان.

والثالث: أن الذين اشتروه كانوا فيه من الزاهدين، وقد سبق توجيه هذه الأقوال فيما تقدم، والضمير في قوله: ﴿فيه﴾ يحتمل أن يكون عائدًا إلىٰ يوسف عليه السلام، ويحتمل أن يكون عائدًا إلىٰ الثمن البخس والله أعلم.

* * *

س: (الواو) في قوله تعالى: ﴿وكذلك مكّنّا ليُوسُف﴾ عاطفة على ماذا؟

ج: عاطفة علىٰ معنىٰ ما قبلها، فالمعنىٰ: وكما نجيناه من القتل ومن الجب، وعطّفنا عليه العزيز مكنا له أيضًا.

* * *

س: الضمير في قوله: ﴿عَلَىٰ أمْرِه﴾ عائد على ماذا؟ وضح معنى ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾.

ج: في ذلك قولان:

أحدهما: عائد علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ فالمعنىٰ والله غالب علىٰ ما يريد، أي أن الله لا يُغلب بل يفعل ما يريد فهو سبحانه غالبٌ علىٰ كلٍّ أمرٍ أراده، فلا يحول بينه وبين مراده أحد.

وقيل: عائد علىٰ يوسف عليه السلام، أي أن الله سبحانه غالبٌ علىٰ أمر

يوسف يدبر له أمره و يحوطه ويحفظه، ولا يكله إلىٰ أحدٍ، فلم يقدر إخوته علىٰ بلوغ مرادهم منه. وكلا المعنيين صحيح، فالله يفعل ما يريد ويحفظ العباد ويدبر أمرهم كذلك، والله تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

* * *

س: ما وجه الختام بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾؟

ج: وجه ذلك ـ والله أعلم ـ حث الناس علىٰ تفويض أمورهم إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ فلو علموا أن الله غالب علىٰ أمره لفوضوا أمرهم إليه وتوكلوا عليه ولم يحاولوا معصيته بالخروج عن طاعته.

وفي قوله: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ تسليةٌ لرسول الله ﷺ، فكما أن يوسف آذاه إخوته وأرادوا به المكروه والسوء فكذلك قومك يا محمد أرادوا أذيتك وإهانتك فاصبر فالله غالب علىٰ أمره وسينصرك عليهم، والله أعلم.

* * *

س: وضح المراد بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: وكما جزيت يوسف فآتيته بطاعته إيَّاي الحكم و العلمَ، ومكنته في الأرض، واستنقذته من أيدي إخوته الذين أرادوا قتله، كذلك نجزي من أحسن في عمله، فأطاعني في أمري، وانتهىٰ عما نهيته عنه من معاصيَّ.

وهذا، و إن كان مخرج ظاهره علىٰ كل محسن، فإن المراد به محمدٌ نبي الله ﷺ، يقول له عز وجل: كما فعلت هذا بيوسف من بعدما لقي من

إخوته ما لقي، وقاسي من البلاء ما قاسىٰ، فمكنته في الأرض، ووطّأت له في البلاد، فكذلك أفعل بك فأنجيك من مشركي قومك الذين يقصدونك بالعداوة، وأمكّن لك في الأرض، وأوتيك الحكم والعلم، لأن ذلك جزائي أهل الإحسان في أمري ونهيي.

* * *

س: ما وجه الختام بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾؟

ج: هذا فيه حث على الإحسان، وتعميم الجزاء والثواب لعموم المحسنين.

فكأن المعنى: وكما أننا أكرمنا يوسف عليه السلام بما ذكرناه فدائمًا نجازي أهل الإحسان، وهذا كقوله تعالىٰ في شأن ما أنعم به علىٰ نوح عليه السلام من النجاة، وإغراق عدوه قال تعالىٰ: ﴿نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾.

أي: وكما جازينا الشكور نوح عليه السلام، فكذلك نجزي كل شكور.

وكما قال تعالىٰ في شأن نبيه أيوب عليه السلام: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ أي: حتىٰ يتذكر العباد ما حدث لأيوب عليه السلام فيفعلوا فعله من الصبر والاحتساب، فنجازيهم ونعافيهم كما جازيناه وعافيناه.

ونحو هذا التعميم واردٌ أيضًا فيما يتعلق بعقاب الظالمين كما قال تعالىٰ في شأن الحجارة التي أرسلها علىٰ قوم لوط، قال تعالىٰ: ﴿مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ ثم قال: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

وكقوله تعالىٰ: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾.

وكما قال تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَائِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾.

وكقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ والله أعلم.

* * *

وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ
وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ
إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا
لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ
وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا
ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ
قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ
أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ
ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ
مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ
هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ

س: اذكر معنى ما يلي:

راودته ـ هيت لك ـ معـاذ الله ـ إنه ربي أحـسن مـثـواي ـ لا يُفلح ـ همَّت به ـ همَّ بهـا ـ برهان ربه ـ السوء والفـحشاء ـ المخلصين ـ استبـقا الباب ـ قدَّت ـ من دُبر ـ ألفـيا ـ سيدها ـ لدى البـاب ـ عذاب أليم ـ قُدّ ـ من قُـبل ـ من دُبر ـ كـيـدكن ـ أعـرض عـن هذا ـ اسـتـغـفـري لذنبك ـ الخاطئين.

ج:

الكلمة	معنـاهـا
راودته	طلبت منه برفقٍ ولينٍ أن ينزل عن إرادته لإرادتها كي يواقعها (يجامعها).
هيت لك	هلمَّ ـ أقبل ـ تعال ـ اقترب.
معاذ الله	أعوذ بالله ـ أعتصم بالله
إنه ربي	إنه (يعني زوجها) سيدي.
أحسن مثواي	أحسن إليَّ وأكرمني ـ أحسن منزلي.
لا يُفلح	لا يظفر بالمطلوب ـ لا ينجح ـ لا ينجو من المرهوب.
همت به	حدثت نفسها بفعل الفاحشة وسعت إلىٰ ذلك وجذبته إليها.
همَّ بها	حدّث نفسه بشأنها، (ولكنه ترك ذلك لله).
برهان ربه	آية ودليلٌ من ربه منعه عن الفاحشة.

السوء	مقدمات الزنا (من الأقوال والأفعال كالقبلة واللمس ونحو ذلك).
الفحشاء	الزنا.
المخلصين	المخلَصين (بالفتح): الذين أخلصناهم واخترناهم واصطفيناهم للنبوة والرسالة. وأيضًا الذين اصطفيناهم وخلصناهم من السوء ويحتمل أيضًا أن يكون المراد: إنه من ذرية عبادنا المخلصين الذين قال تعالىٰ عنهم: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ فهو منهم عليهم السلام جميعًا. والمخلِصين (بالكسر): الذي أخلصوا دينهم لله.
استبقا الباب	تسابقا إليه ـ تسارعا إليه ـ واستبقا إلىٰ الباب كقوله: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ أي واختار موسىٰ من قومه.
قـدَّت	قطعت.
من دبر	من الخلف.
ألفيا	وجدا ـ صادفا.
سيدها	زوجها.
لدا الباب	عند الباب.
عذاب أليم	عذاب مؤلم موجع (ضرب شديد موجع).
قُدَّ	قُطع.
من قُبل	من الأمام.

من دُبر	من الخلف .
كيدكن	مكركن - حيلكن .
أعرض عن هذا	أعرض عن هذا الحديث وما صدر منها معك فلا تتكلم به ولا تخبر به أحداً .
استغفري لذنبك	اطلبي العفو والمغفرة لذنبك .
الخاطئين	المذنبين - الآثمين - المرتكبين للخطايا والآثام . ويحتمل أيضًا من نسل الخاطئين ، أي : فسرىٰ هذا العرق فيك .

* * *

س: لماذا لم يُذكر اسم امرأة العزيز، وقال تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾؟

ج: **ذلك، والله أعلم**: للستر عليها، ولأنه لم يُعهد في الكتاب العزيز ذكر أسماء النساء إلا مريم عليها السلام وذلك لعلة من العلل تأتي في موطنها إن شاء الله.

وأيضًا: قال تعالىٰ: ﴿الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ للتنبيه علىٰ مكانة يوسف عليه السلام، فكونه في بيتها مما يدعوه إلىٰ فعل المحرم، وكونه امتنع دليل علىٰ نزاهته ومكانته عليه السلام.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

وإنما قال: ﴿الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ ولم يقل: امرأة العزيز أو زليخا قصداً إلىٰ زيادة التقرير، فإن كونه في بيتها مما يدعو إلىٰ ذلك، قيل: لواحدة ما حملك علىٰ ما أنت عليه مما لا خير فيه؟ قالت: قرب الوساد وطول السواد.

ولإظهار كمال نزاهته عليه الصلاة والسلام فإن عدم ميله إليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصاءه عليها مع كونه تحت ملكها ينادي بكونه في أعلىٰ معارج العفة والنزاهة، والعدول عن اسمها للمحافظة علىٰ الستر أو للاستهجان بذكرها قال قتادة: هي امرأة العزيز.

* * *

س: هل وردت قراءة بلفظ (هِئتُ لك)؟ وما مدى صحتها؟

ج: نعم قد وردت هذه القراءة بكسر الهاء وضم التاء، بمعنىٰ: تهيأت

لك، وتحسنت لك. وقد أنكر هذه القراءة بعض أهل العلم، انظر «تفسيري: الطبري والقرطبي».

* * *

س: بمَ علَّل يوسف عليه السلام الامتناع من فعل الفاحشة؟

ج: علل ذلك بعللٍ ثلاث:

أولاها: قوله: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي﴾ (أي: إنه سيدي) فكيف أخون سيدي في أهله؟!

ثانيها: قوله: ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ فكيف أقابل الإحسان بالإساءة، فقد أوصىٰ بي خيرًا وأكرم منزلي ومطعمي ومشربي ومسكني، فكيف أقابل ذلك بخيانته في أهله.

ثالثها: قوله: ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، وفعل الفاحشة من الظلم، فلا يُفلح الزناة ولا يسعد الخاطئون الظالمون.

قال الرازي رحمه الله:

ذكر يوسف عليه السلام في الجواب عن كلامه ثلاثة أشياء:

أحدها: قوله: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾.

والثاني: قوله تعالىٰ عنه ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾.

والثالث: قوله: ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

فما وجه تعلق بعض هذا الجواب ببعض؟

والجواب: هذا الترتيب في غاية الحسن، وذلك لأن الانقياد لأمر الله

تعالىٰ وتكليفه أهم الأشياء لكثرة إنعامه وألطافه في حق العبد فقوله: ﴿ **مَعَاذَ اللَّهِ** ﴾ إشارة إلىٰ أن حق الله تعالىٰ يمنع عن هذا العمل، وأيضًا حقوق الخلق واجبة الرعاية، فلما كان هذا الرجل قد أنعم في حقي يقبح مقابلة إنعامه وإحسانه بالإساءة، وأيضًا صون النفس عن الضرر واجب، وهذه اللذة لذة قليلة يتبعها خزي في الدنيا، وعذاب شديد في الآخرة، واللذة القليلة إذا لزمها ضرر شديد فالعقل يقتضي تركها والاحتراز عنها فقوله: ﴿ **إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾ إشارة إليه.

فثبت أن هذه الجوابات الثلاثة مرتبة علىٰ أحسن وجوه الترتيب.

❊ ❊ ❊

س: ارتكاب الفاحشة مع المرأة المتزوجة يُمنع لأمرين كل منهما مستقلٌ بالتحريم، وقد راعى يوسف هذين الأمرين، وضح ذلك.

ج: أما المانع الأول الذي بسببه يحظر الزنا فهو: نهي الله تبارك وتعالىٰ عنه أشد النهي.

أما المانع الثاني: فهو حق الزوج.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[١] رحمه الله في «مجموع الفتاوى»:

فالفاحشة حرام لحق الله ولو رضي الزوج، وظلم الزوج في امرأته حرام لحقه، بحيث لو سقط حق الله بالتوبة منه فحق هذا في امرأته لا يسقط، كما لو ظلمه وأخذ ماله وتاب من حق الله لم يسقط حق المظلوم بذلك، ولهذا جاز للرجل إذا زنت امرأته أن يقذفها ويلاعنها، ويسعىٰ في عقوبتها

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٥/ ١٢١).

بالرجم، بخلاف الأجنبي فإنه لا يجوز له قذفها، ولا يلاعن بل يحد إذا لم يأت بأربعة شهداء، فإفساد المرأة على زوجها من أعظم الظلم لزوجها، وهو عنده أعظم من أخذ ماله، ولهذا يجوز له قتله دفعًا عنها باتفاق العلماء إذا لم يندفع إلا بالقتل بالاتفاق، ويجوز في أظهر القولين قتله وإن اندفع بدونه، كما في قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لما أتاه رجل بيده سيف فيه دم.

وذكر أنه وجد رجلاً تفخذ امرأته فضربه بالسيف فأقره عمر على ذلك وشكره، وقبل قوله أنه قتله لذلك إذ ظهرت دلائل ذلك.

وهذا كما لو اطلع رجل في بيته فإنه يجوز له أن يفقأ عينه ابتداء، وليس عليه أن ينذره، هذا أصح القولين، كما ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**لو اطلع رجل في بيتك ففقأت عينه ما كان عليك شيء**» وكذلك قال في الذي عض يد غيره فنزع يده فانقلعت أسنان العاض.

وهذا مذهب فقهاء الحديث وأكثر السلف، وفي المسألتين نزاع ليس هذا موضعه، إذ المقصود أن الزاني بامرأة غيره ظالم للزوج وللزوج حق عنده، ولهذا ذكـ[illegible] زنى بامرأة المجاهد فإنه يمكّن يوم القيامة من حسناته يأخذ[illegible]

وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود قال: قلت: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**» قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك**» قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تزاني بحليلة جارك**» فذكر الزنا بحليلة الجار، فعلم أن للزوج حقًا في ذلك، وكان ظلم الجار أعظم؛ للحاجة إلى المجاورة.

وإن قيل: هذا قد لا يمكن زوج المرأة أن يحترز منه، والجار عليه حق زائد علىٰ حق الأجنبي، فكيف إذا ظلم في أهله والجيران يأمن بعضهم بعضًا، ففي هذا من الظلم أكثر مما في غيره، وجاره يجب عليه أن يحفظ امرأته من غيره، فكيف يفسدها هو.

فلما كان الزنا بالمرأة المزوحة له علتان كل منهما تستقل بالتحريم، مثل لحم الخنزير الميت: علل يوسف ذلك بحق الزوج، وإن كان كل من الأمرين مانعًا له، وكان في تعليله بحق الزوج فوائد:

«منها»: أن هذا مانع تعرفه المرأة وتعذره به، بخلاف حق الله تعالىٰ فإنها لا تعرف عقوبة الله في ذلك.

و«منها»: أن المرأة قد ترتدع بذلك، فترعىٰ حق زوجها، إما خوفًا وإما رعاية لحقه، فإنه إذا كان المملوك يمتنع عن هذا رعاية لحق سيده فالمرأة أولىٰ بذلك، لأنها خائنة في نفس المقصود منها، بخلاف المملوك فإن المطلوب منه الخدمة، وفاحشته بمنزلة سرقة المرأة من ماله.

و«منها»: أن هذا مانع مُؤَيِّسٌ لها، فلا تطمع فيه لا بنكاح ولا بسفاح، بخلاف الخلية من الزوج، فإنها تطمع فيه بنكاح حلال.

و«منها»: أنه لو علل بالزنا فقد تسعىٰ هي في فراق الزوج، والتزوج به، فإن هذا إنما يحرم لحق الزوج خاصة، ولهذا إذا طلقت امرأته باختياره جاز لغيره أن يتزوجها. ولو طلقها ليتزوج بها ـ كما قال سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف: إن لي امرأتين فاختر أيتهما شئت حتىٰ أطلقها وتتزوجها ـ لكنه بدون رضاه لا يحل، كما في «المسند» عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس

منا من خبب امرأة على زوجها، ولا عبدًا على مواليه» وقد حرم النبي ﷺ أن يخطب الرجل علىٰ خطبة أخيه، ويستام علىٰ سوم أخيه، فإذا كان بعد الخطبة وقبل العقد لا يحل له أن يطلب التزوج بامرأته فكيف بعد العقد، والدخول والصحبة؟!

فلو علل بأن هذا زنًا محرم ربما طمعت في أن تفارق الزوج وتتزوجه، فإن كيدهن عظيم؛ وقد جرىٰ مثل هذا، فلما علل بحق سيده وقال: ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ يئست من ذلك، وعلمت أنه يراعي حق الزوج، فلا يزاحمه في امرأته البتة، ثم لو قدر مع هذا أن الزوج رضي بالفاحشة وأباح امرأته لم يكن هذا مما يبيحها لحق الله ولحقه أيضًا، فإنه ليس كل حق للإنسان له أن يسقطه، ولا يسقط بإسقاطه، وإنما ذاك فيما يباح له بذله، وهو ما لا ضرر عليه في بذله، مثل ما يعطيه من فضل مال ونفع.

وأما ما ليس له بذله فلا يباح بإباحته، كما لو قال له: علمني السحر والكفر والكهانة: وأنت في حل من إضلالي، أو قال له: بعني رقيقًا وخذ ثمني، وأنت في حل من ذلك.

* * *

س: بيَّن الله براءة نبيه يوسف عليه السلام من الوقوع فيما لا ينبغي، وذلك في جملة من المواطن، اذكر بعض هذه المواطن.

ج: من ذلك ما يلي:

* قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾.

فصرف الله عنه السوء (الذي منه مقدمات الزنا) والفحشاء (التي هي

الزنا).

ووصفه الله بأنه من ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ وهؤلاء ينجيهم الله من الشيطان، فقد قال إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾.

* وقول يوسف عليه السلام إذا دعته المرأة إلى نفسها: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

* وكذلك قول يوسف عليه السلام: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾.

* وقوله: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾.

* اعتراف امرأة العزيز للنسوة بأنها هي المراودة له بقولها: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾.

ففي ذلك أيضًا بيان إبائه وامتناعه.

* اعتراف امرأة العزيز أمام الملك بذلك أيضًا إذ قالت: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

* اعتراف العزيز (أو الشاهد على قول من أقوال المفسرين) بنزاهة يوسف عليه السلام وذلك بقوله: ﴿إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ وبقوله لها: ﴿اسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾.

* شهادة الشاهد إذ قال: ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

* اعتراف النسوة ببراءة يوسف ونزاهته إذ ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾.

* * *

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى (الهم) وما المراد بقوله تعالى: ﴿ولقدْ همّت به وهمَّ بها﴾؟

ج: بين يديَّ الجواب، أذكر ـ وبالله التوفيق ـ بما يلي:

اعلم أولاً: أنه لم يأت نصٌّ من الكتاب أو السُّنّة بتفسير (الهم) الذي صدر من يوسف عليه السلام.

ثانيًا: صحت بعض الآثار عن الصحابة والتابعين مؤداها أن يوسف عليه السلام جلس منها مجلس الرجل من امرأته (بدون جماع)، وغالب ظننا أن هذه الآثار متلقاة من الأخبار الإسرائيلية، ولا نتقلد ـ في هذا الموطن على وجه الخصوص ـ هذه الأخبار، ولا نقول بمقتضاها، وذلك لبراءة يوسف عليه السلام الناصعة ـ (وطرف) منها في السؤال الذي تقدم ذكره.

ثالثًا: إن كلمة الهمِّ تتعدد معانيها، ويفهم معناها من السياق الذي وردت فيه بضميمة القواعد العامة للشريعة.

وعلى إثر ذلك أقول مستعينًا بالله عز وجل:

قد قال الطبري رحمه الله:

ومعنى (الهم بالشيء) في كلام العرب: حديث المرء نفسه بمواقعته ما لم يُواقع.

* أما هم المرأة بيوسف المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ فمنه ـ والله أعلم ـ حديثها نفسها بمواقعته لها ورغبتها في ذلك وطلبها ذلك منه وبذلها نفسها له وسعيها في ذلك بمحاولة جذبه إليها ومطاردتها له كي توقعه في الفاحشة.

* أما هَمُّ يوسف بها، فالظاهر، والله أعلم، أنه حديث النفس الذي حدثته به نفسه، ولكنه ترك العمل به خوفًا من الله وابتغاء وجهه سبحانه، ومن المعلوم أن الشخص إذا هم بالسيئة ولم يعملها وتركها من أجل الله فإنه يثاب على ذلك وتكتب له حسنة، ففي «الصحيحين»(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«يقول الله: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فإن عملها فاكتبوها بمثلها وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة»**.

وفي حديث الثلاثة أصحاب الغار الذين انطبقت على غارهم صخرة فقاموا يتوسلون بصالح أعمالهم، فيه... **«فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إليَّ، وإني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأتيتها بها فدفعتها إليها، فأمكنتني من نفسها فلما قعدت بين رجليها فقالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه. فقمت وتركت المائة دينار، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرِّج عنا. ففرَّج الله عنهم فخرجوا»**(٢).

فهذا هو الذي ترجح لي في أمر (الهم) الذي صدر من نبي الله الكريم يوسف عليه السلام، أنه حديث نفسٍ ترك لوجه الله فأثابه الله لهذا الترك ورفع درجته.

وهذا قول كثيرٍ من المحققين من المفسرين، وها هي بعض أقوالهم:

(١) البخاري (حديث ٧٥٠١)، ومسلم (حديث ١٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (حديث ٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

قال البغوي رحمه الله تعالى:

وقال بعض أهل الحقائق: الهم همان:

همٌّ ثابت: وهو إذا كان معه عزم وعقد ورضا، مثل هم امرأة العزيز، والعبد مأخوذ به.

وهمٌّ عارض: وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل همٍّ يوسف عليه السلام، والعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم أو يعمل.

وقال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»:

فإن قيل: قد بينتم دلالة القرآن على براءته عليه السلام مما لا ينبغي في الآيات المتقدمة، ولكن ماذا تقول في قوله تعالى: ﴿**وَهَمَّ بِهَا**﴾.

فالجواب من وجهين.

الأول أن المراد بهم يوسف بها خاطر قلبي صرفه عنه وازع التقوى. وقال بعضهم: هو الميل الطبيعي والشهوة الغريزية المزمومة بالتقوى، وهذا لا معصية فيه؛ لأنه أمر جبلي لا يتعلق به التكليف، كما في الحديث عنه ﷺ: أنه كان يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: «**اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما لا أملك**» يعني ميل القلب الطبيعي.

ومثال هذا: ميل الصائم بطبعه إلى الماء البارد، مع أن تقواه تمنعه من الشرب وهو صائم، وقد قال ﷺ: «**ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة**» لأنه ترك ما تميل إليه نفسه بالطبع خوفًا من الله، وامتثالاً لأمره، كما قال تعالى: ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ** ﴾.

وهم بني حارثة وبني سلمة بالفرار يوم أحد، كهم يوسف هذا، بدليل قوله: ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ لأن قوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ يدل على أن ذلك الهم ليس بمعصية، لأن اتباع المعصية بولاية الله لذلك العاصي إغراء على المعصية.

والعرب تطلق الهم وتريد به المحبة والشهوة، فيقول الإنسان فيما لا يحبه ولا يشتهيه: هذا ما يهمني، ويقول فيما يحبه ويشتهيه: هذا أهم الأشياء إليَّ، بخلاف هم امرأة العزيز، فإنه هم عزم وتصميم، بدليل أنها شقت قميصه من دبر وهو هارب عنها، ولم يمنعها من الوقوع فيما لا ينبغي إلا عجزها عنه.

ومثل هذا التصميم على المعصية: معصية يؤاخذ بها صاحبها، بدليل الحديث الثابت في «الصحيح» عنه ﷺ من حديث أبي بكرة: «**إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار**» قالوا: يا رسول الله قد عرفنا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «**إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**». يصرح ﷺ بأن تصميم عزمه على قتل صاحبه معصية أدخله الله بسببها النار.

وأما تأويلهم هم يوسف بأنه قارب الهم ولم يهم بالفعل، كقول العرب: قتلته لو لم أخف الله، أي قاربت أن أقتله، كما قاله الزمخشري.

وتأويل الهم بأنه هم بضربها، أو هم بدفعها عن نفسه، فكل ذلك غير ظاهر، بل بعيد من الظاهر ولا دليل عليه.

والجواب الثاني: وهو اختيار أبي حيان: أن يوسف لم يقع منه هم أصلاً، بل هو منفي عنه لوجود البرهان.

قال مقيده ـ عفا الله عنه ـ: هذا الوجه الذي اختاره أبو حيان وغيره هو

أحرىٰ الأقوال علىٰ قواعد اللغة العربية، لأن الغالب في القرآن وفي كلام العرب: أن الجواب المحذوف يذكر قبله ما يدل عليه، كقوله: ﴿ **فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ** ﴾ أي إن كنتم مسلمين فتوكلوا عليه، فالأول: دليل الجواب المحذوف لا نفس الجواب، لأن جواب الشروط وجواب «لولا» لا يتقدم، ولكن يكون المذكور قبله دليلاً عليه كالآية المذكورة، وكقوله: ﴿ **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ أي إن كنتم صادقين فهاتوا برهانكم.

وعلى هذا القول فمعنى الآية: وهم بها لولا أن رأىٰ برهان ربه، أي لولا رآه هم بها، فما قبل «لولا» هو دليل الجواب المحذوف، كما هو الغالب في القرآن واللغة.

ونظير ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ **إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا** ﴾ فما قبل «لولا» دليل الجواب، أي لولا أن ربطنا علىٰ قلبها لكادت تبدي به.

واعلم أن جماعة من علماء العربية أجازوا تقديم جواب «لولا» في قوله: ﴿ **لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ** ﴾ هو ما قبله من قوله: ﴿ **وَهَمَّ بِهَا** ﴾ وإلىٰ جواز التقديم المذكور ذهب الكوفيون، ومن أعلام البصريين: أبو العباس المبرد، وأبو زيد الأنصاري.

وقال الشيخ أبو حيان في «البحر المحيط» ما نصه:

والذي أختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها ألبتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان؛ كما تقول: لقد قارفت لولا أن عصمك الله. ولا نقول: إن جواب «لولا» متقدم عليها، وإن كان لا يقوم دليل علىٰ امتناع ذلك بل صريح أدوات الشروط العاملة مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها. وقد ذهب إلىٰ ذلك الكوفيون، ومن أعلام البصريين: أبو زيد

الأنصاري وأبو العباس المبرد.

بل نقول: إن جواب «لولا» محذوف لدلالة ما قبله عليه، كما يقول جمهور البصريين في قول العرب: أنت ظالم إن فعلت؛ فيقدرونه: إن فعلت فأنت ظالم. ولا يدل قوله أنت ظالم على ثبوت الظلم، بل هو مثبت على تقدير وجود الفعل، وكذلك هنا التقدير: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، فكان وجود الهم على تقدير انتفاء رؤية البرهان فانتفى الهم، ولا التفات إلى قول الزجاج. ولو كان الكلام: ولهم بها كان بعيداً، فكيف مع سقوط اللام؟ لأنه يوهم أن قوله: «هم بها»، هو جواب «لولا» ونحن لم نقل بذلك، وإنما هو دليل الجواب.

وعلى تقدير أن يكون نفس الجواب فاللام ليست بلازمة، لجواز أن يأتي جواب «لولا» إذا كان بصيغة الماضي باللام. وبغير لام تقول: لولا زيد لأكرمتك. ولولا زيد أكرمتك.

فمن ذهب إلى أن قوله: «هم بها» نفس الجواب لم يبعد: ولا التفات لقول ابن عطية: إن قول من قال: إن الكلام قد تم في قوله: ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ**﴾ وإن جواب «لولا» في قوله: ﴿**وَهَمَّ بِهَا**﴾ وإن المعنى: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، فلم يهم يوسف عليه السلام قال: وهذا قول يرده لسان العرب وأقوال السلف. اهـ.

أما قوله: يرده لسان العرب فليس كما ذكر، وقد استدل من ذهب إلى جواز ذلك بوجوده في لسان العرب، قال الله تعالى: ﴿**إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ فقوله: ﴿**إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ**﴾: إما أن يتخرج على أنه الجواب على ما ذهب إليه ذلك القائل، وإما أن

يتخرج على ما ذهبنا إليه من أنه دليل الجواب، والتقدير: لولا أن ربطنا على قلبها لكادت تبدي به.

وأما أقوال السلف: فنعتقد أنه لا يصح عن أحد منهم شيء من ذلك، لأنها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضًا، مع كونها قادحة في بعض فساق المسلمين فضلاً عن المقطوع لهم بالعصمة.

والذي روي عن السلف لا يساعد عليه كلام العرب؛ لأنهم قدروا جواب «لولا» محذوفًا ولا يدل عليه دليل؛ لأنهم لم يقدروا «لهمَّ بها» ولا يدل كلام العرب إلا على أن يكون المحذوف من معنى ما قبل الشرط؛ لأن ما قبل الشرط دليل عليه اهـ. محل الغرض من كلام أبي حيان بلفظه.

وقد قدمنا أن هذا القول هو أجرى الأقوال على لغة العرب، وإن زعم بعض العلماء خلاف ذلك.

فبهذين الجوابين تعلم أن يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بريء من الوقوع فيما لا ينبغي، وأنه إما أن يكون لم يقع منه هم أصلاً بناء على أن الهم معلق بأداة الامتناع التي هي «لولا» على انتفاء رؤية البرهان، وقد رأى البرهان فانتفى المعلق عليه، وبانتفائه ينتفي المعلق الذي هو همه بها كما تقدم إيضاحه في كلام أبي حيان.

وإما أن يكون همه خاطرًا قلبيًا صرف عنه وازع التقوى أو هو الشهوة والميل الغريزي المزموم بالتقوى كما أوضحناه، فبهذا يتضح لك أن قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ لا يعارض ما قدمنا من الآيات على براءة يوسف من الوقوع فيما لا ينبغي.

أمـا الرازي[١] فقد سلك مسلكًا آخر، فقال بعد أن أورد الأدلة على براءة يوسف عليه السلام مما نسب إليه :

وإذا عرفت هذا فنقول : الكلام على ظاهر هذه الآية يقع في مقامين :

المقام الأول: أن نقول: لا نسلم أن يوسف عليه السلام هم بها، والدليل عليه: أنه تعالىٰ قال: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ وجواب «لولا» ههنا مقدم، وهو كما يقال: قد كنت من الهالكين لولا أن فلانًا خلصك، وطعن الزجاج في هذا الجواب من وجهين :

الأول: أن تقديم جواب «لولا» شاذ وغير موجود في الكلام الفصيح.

الثاني: أن «لولا» يجاب جوابها باللام، فلو كان الأمر على ما ذكرتم لقال: ولقد همت ولهم بها لولا.

وذكر غير الزجاج سؤالاً ثالثًا وهو أنه: لو لم يوجد الهم لما كان لقوله: ﴿لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ فائدة.

واعلم أن ما ذكره الزجاج بعيد؛ لأنا نسلم أن تأخيرجواب «لولا» حسن جائز، إلا أن جوازه لا يمنع من جواز تقديم هذا الجواب، وكيف ونقل عن سيبويه أنه قال: إنهم يقدمون الأهم فالأهم، والذي هم بشأنه فكان الأمر في جواز التقديم والتأخير مربوطًا بشدة الاهتمام، وأما تعيين بعض الألفاظ بالمنع فذلك مما لا يليق بالحكمة، وأيضًا ذكر جواب «لولا» باللام جائز. أما هذا لا يدل على أن ذكره بغير اللام لا يجوز، ثم إنا نذكر آية أخرىٰ تدل على

---

(١) سبق وبيَّنا في جملة مواطن أن الرازي رحمه الله له آراء شاذة في عدة مسائل ولكننا ننتقي من تفسيره ما نراه قد أصاب فيه ووافق غيره، أو ما له وجه محتمل، وبالله التوفيق.

فساد قول الزجاج في هذين السؤال، وهو قوله تعالىٰ: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾.

وأما السؤال الثالث: وهو أنه لو لم يوجد الهم لم يبق لقوله: ﴿لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ فائدة.

فنقول: بل فيه أعظم الفوائد، وهو: بيان أن ترك الهم بها ما كان لعدم رغبته في النساء وعدم قدرته عليهن، بل لأجل أن دلائل دين الله منعته عن ذلك العمل، ثم نقول: إن الذي يدل علىٰ أن جواب «لولا» ما ذكرناه أن «لولا» تستدعي جوابًا، وهذا المذكور يصلح جوابًا له، فوجب الحكم بكونه جوابًا لا يقال: إنا نضمر له جوابًا، وترك الجواب كثير في القرآن، لأنا نقول: لا نزاع أنه كثير في القرآن، إلا أن الأصل أن لا يكون محذوفًا. وأيضًا فالجواب إنما يحسن تركه وحذفه إذا حصل في اللفظ ما يدل علىٰ تعينه، وههنا بتقدير أن يكون الجواب محذوفًا فليس في اللفظ ما يدل علىٰ تعين ذلك الجواب، فإن ههنا أنواعًا من الإضمارات يحسن إضمار كل واحد منها، وليس إضمار بعضها أولىٰ من إضمار الباقي فظهر الفرق. والله أعلم.

المقام الثاني: في الكلام علىٰ هذه الآية أن نقول: سلمنا أن الهم قد حصل إلا أنا نقول: إن قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ لا يمكن حمله علىٰ ظاهره لأن تعليق الهم بذات المرأة محال لأن الهم من جنس القصد، والقصد لا يتعلق بالذوات الباقية، فثبت أنه لا بد من إضمار فعل مخصوص يجعل متعلق ذلك الهم وذلك الفعل غير مذكور، فهم زعموا أن ذلك المضمر هو إيقاع الفاحشة بها، ونحن نضمر شيئًا آخر يغاير ما ذكروه، وبيانه من وجوه:

الأول: المراد أنه عليه السلام هم بدفعها عن نفسه ومنعها عن ذلك القبيح، لأن الهم هو القصد، فوجب أن يحمل في حق كل أحد علىٰ القصد الذي يليق به، فاللائق بالمرأة القصد إلىٰ تحصيل اللذة والتنعم والتمتع واللائق بالرسول المبعوث إلىٰ الخلق القصد إلىٰ زجر العاصي عن معصيته وإلىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقال: هممت بفلان أي بضربه ودفعه.

فإن قالوا: فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله: ﴿لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ فائدة.

قلنا: بل فيه أعظم الفوائد، وبيانه من وجهين:

الأول: أنه تعالىٰ أعلم يوسف عليه السلام أنه لو هم بدفعها لقتلته أو لكانت تأمر الحاضرين بقتله، فأعلمه الله تعالىٰ أن الامتناع من ضربها أولىٰ صونًا للنفس عن الهلاك.

والثاني: أنه عليه السلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه فربما تعلقت به، فكان يتمزق ثوبه من قدام، وكان في علم الله تعالىٰ أن الشاهد يشهد بأن ثوبه لو تمزق من قدام لكان يوسف هو الخائن، ولو كان ثوبه ممزقًا من خلف لكانت المرأة هي الخائنة، فالله تعالىٰ أعلمه بهذا المعنىٰ، فلا جرم لم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولىٰ هاربًا عنها، حتىٰ صارت شهادة الشاهد حجة له علىٰ براءته عن المعصية.

الوجه الثاني في الجواب: أن يفسر الهم بالشهوة، وهذا مستعمل في اللغة الشائعة. يقول القائل فيما لا يشتهيه: ما يهمني هذا، وفيما يشتهيه:

هذا أهم الأشياء إلي، فسمي الله تعالىٰ شهوة يوسف عليه السلام همًا.

فمعنى الآية: ولقد اشتهته واشتهاها لولا أن رأىٰ برهان ربه لدخل ذلك العمل في الوجود.

الثالث: أن يفسر الهم بحديث النفس، وذلك لأن المرأة الفائقة في الحسن والجمال إذا تزينت وتهيأت للرجل الشاب القوي فلا بد وأن يقع هناك بين الحكمة والشهوة الطبيعية وبين النفس والعقل مجاذبات ومنازعات، فتارة تقوىٰ داعية الطبيعة والشهوة وتارة تقوىٰ داعية العقل والحكمة. فالهم عبارة عن جواذب الطبيعة، ورؤية البرهان عبارة عن جواذب العبودية.

ومثال ذلك: أن الرجل الصالح الصائم في الصيف الصائف، إذا رأىٰ الجلاب المبرد بالثلج فإن طبيعته تحمله علىٰ شربه، إلا أن دينه وهداه يمنعه منه، فهذا لا يدل علىٰ حصول الذنب، بل كلما كانت هذه الحالة أشد كانت القوة في القيام بلوازم العبودية أكمل، فقد ظهر بحمد الله تعالىٰ صحة هذا القول الذي ذهبنا إليه ولم يبق في يد الواحدي إلا مجرد التصلف وتعديد أسماء المفسرين، ولو كان قد ذكر في تقرير ذلك القول شبهة لأجبنا عنها، إلا أنه ما زاد علىٰ الرواية عن بعض المفسرين.

وأنقل هنا قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من «مجموع الفتاوى»، قال رحمه الله:

ويوسف عليه الصلاة والسلام لم يذكر الله تعالىٰ عنه في القرآن أنه فعل مع المرأة ما يتوب منه، أو يستغفر منه أصلاً. وقد اتفق الناس علىٰ أنه لم تقع منه فاحشة، ولكن بعض الناس يذكر أنه وقع منه بعض مقدماتها، مثل ما

يذكرون أنه حل السراويل وقعد منها مقعد الخاتن، ونحو هذا، وما ينقلونه في ذلك ليس هو عن النبي ﷺ، ولا مستند لهم فيه إلا النقل عن بعض أهل الكتاب، وقد عُرف كلام اليهود في الأنبياء وغضهم منهم، كما قالوا في سليمان ما قالوا، وفي داود ما قالوا، فلو لم يكن معنا ما يرد نقلهم لم نصدقهم فيما لم نعلم صدقهم فيه، فكيف نصدقهم فيما قد دل القرآن على خلافه؟!

والقرآن قد أخبر عن يوسف من الاستعصام والتقوى والصبر في هذه القضية ما لم يذكر عن أحد نظيره، فلو كان يوسف قد أذنب لكان إما مصراً وإما تائبًا، والإصرار ممتنع، فتعين أن يكون تائبًا. والله لم يذكر عنه توبة في هذا ولا استغفاراً كما ذكر عن غيره من الأنبياء؛ فدل ذلك عن أن ما فعله يوسف كان من الحسنات المبرورة والمساعي المشكورة، كما أخبر الله عنه بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وإذا كان الأمر في يوسف كذلك؛ كان ما ذكر من قوله: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ إنما يناسب حال امرأة العزيز لا يناسب حال يوسف، فإضافة الذنوب إلى يوسف في هذه القضية فرية على الكتاب والرسول، وفيه تحريف للكلم عن مواضعه، وفيه الاغتياب لنبي كريم، وقول الباطل فيه بلا دليل، ونسبته إلى ما نزهه الله منه، وغير مستبعد أن يكون أصل هذا من اليهود أهل البهت، الذين كانوا يرمون موسى بما برأه الله منه، فكيف بغيره من الأنبياء؟!

وقد تلقى نقلهم من أحسن به الظن، وجعل تفسير القرآن تابعًا لهذا الاعتقاد.

واعلم أن المنحرفين في مسألة العصمة على طرفي نقيض، كلاهما مخالف لكتاب الله من بعض الوجوه: قوم أفرطوا في دعوى امتناع الذنوب، حتى حرفوا نصوص القرآن المخبرة بما وقع منهم من التوبة من الذنوب، ومغفرة الله لهم، ورفع درجاتهم بذلك. وقوم أفرطوا في أن ذكروا عنهم ما دل القرآن على براءتهم منه، وأضافوا إليهم ذنوبًا وعيوبًا نزههم الله عنها. وهؤلاء مخالفون للقرآن وهؤلاء مخالفون للقرآن، ومن اتبع القرآن على ما هو عليه من غير تحريف كان من الأمة الوسط، مهتديًا إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

قال النبي ﷺ: «**اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون**» وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**» قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟!**» وفي الحديث الآخر الذي في «الصحيح»: «**لتأخذن أمتي مأخذ الأمم قبلها، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع**» قالوا: يا رسول الله! فارس والروم؟ قال: «**ومن الناس إلا هؤلاء؟**».

ولا ريب أنه صار عند كثير من الناس من علم أهل الكتاب ومن فارس والروم ما أدخلوه في علم المسلمين ودينهم وهم لا يشعرون، كما دخل كثير من أقوال المشركين من أهل الهند واليونان وغيرهم، والمجوس والفرس والصابئين من اليونان وغيرهم في كثير من المتأخرين لا سيما في جنس المتفلسفة والمتكلمة.

ودخل كثير من أقوال أهل الكتاب اليهود والنصارى في طائفة هم أمثل

من هؤلاء، إذ أهل الكتاب كانوا خيراً من غيرهم.

ولما فتح المسلمون البلاد كانت الشام ومصر ونحوهما مملوءة من أهل الكتاب، النصارىٰ واليهود، فكانوا يحدثونهم عن أهل الكتاب بما بعضه حق وبعضه باطل، فكان من أكثرهم حديثًا عن أهل الكتاب كعب الأحبار. وقد قال معاوية رضي الله عنه: ما رأينا في هؤلاء الذين يحدثونا عن أهل الكتاب أصدق من كعب، وإن كنا لنبلوا عليه الكذب أحيانًا.

أما الحبر الكريم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقد ورد عنه من طرق عند الطبري[1] و غيره أنه سئل عن همِّ يوسف ما بلغ؟ قال: حلَّ الهميان وجلس منها مجلس الخاتن، «أي جلس كما يجلس الرجل من امرأته قبل الجماع».

وهذا الذي روي عن ابن عباس رضي الله عنهما غالب ظني أنه تلقاه من الإسرائيليات، والله تعالىٰ أعلم.

هذا، وقد أورد الطبري سؤالاً حول هذا الأخير فقال: وكيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا، و هو لله نبي؟

قيل: إن أهل العلم اختلفوا في ذلك:

فقال بعضهم: كان من ابتلي من الأنبياء بخطيئة، فإنما ابتلاه الله بها، ليكون من الله عز وجل علىٰ وَجَلٍ إذا ذكرها، فيجد في طاعته إشفاقًا منها، ولا يَتكل علىٰ سعة عفو الله ورحمته.

وقال آخرون: بل ابتلاهم الله بذلك، ليعرّفهم موضع نعمته عليهم،

(١) الطبري (١٦/ ٢٥-٢٦-٢٧).

بصفحه عنهم، وتركه عقوبته عليه في الآخرة.

وقال آخرون: بل ابتلاهم بذلك ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء رحمة الله، وترك الإياس من عفوه عنهم إذا تابوا.

وأما آخرون ممن خالف أقوال السلف، وتأوَّلوا القرآن بآرائهم، فإنهم قالوا في ذلك أقوالاً مختلفة.

فقال بعضهم: معناه: ولقد همت المرأة بيوسف، وهمَّ بها يوسف أن يضربها أو ينالها لهمِّها به مما أرادته من المكروه، لولا أن يوسف رأىٰ برهان ربه، وكفَّه ذلك عما همّ به من أذاها، لا أنها ارتدعت من قِبَل نفسها. قالوا: والشاهد علىٰ صحة ذلك قوله: ﴿**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ**﴾. قالوا: فالسوء هُو ما كان همَّ به من أذاها، وهو غير «الفحشاء».

وقال آخرون منهم: معنىٰ الكلام: ولقد همت به، فتناهىٰ الخبرُ عنها. ثم ابتديء الخبر عن يوسف فقيل: «وهمَّ بها يوسف لولا أن رأىٰ برهان ربه»، كأنهم وجهوا معنىٰ الكلام إلىٰ أن يوسف لم يهمّ بها، وأن الله إنما أخبر أنَّ يوسف لولا رؤيته برهان ربه لهمّ بها، ولكنه رأىٰ برهان ربه فلم يهمَّ بها، كما قيل: ﴿**وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [النساء: ٨٣].

قال أبو جعفر: ويفسد هذين القولين: أن العرب لا تقدم جواب «لولا» قبلها، لا تقول: «لقد قمت لولا زيد»، وهي تريد: «لولا زيد لقد قمت»، هذا مع خلافهما جميع أهل العلم بتأويل القرآن، الذين عنهم يؤخذ تأويله.

وقال آخرون منهم: بل قد همَّت المرأة بيوسف، وهم يوسف بالمرأة، غير أن همَّهما كان تمييلاً منهما بين الفعل والترك، لا عزمًا ولا إرادة، قالوا: ولا حرج في حديث النفس، ولا في ذكر القلب، إذا لم يكن معهما عزمٌ ولا فعلٌ.

* * *

س: ما هذا البرهان الذي رآه يوسف عليه السلام فانكف بسببه عن المعصية وترك من أجله مواقعة الخطيئة؟

ج: ابتداءً: لم يصح في تفسير هذا البرهان خبرٌ عن رسول الله ﷺ وإنما هي أقوال غير مرفوعة إليه صلوات الله وسلامه عليه، نذكر منها ما يلي:

١ ـ إنه نداءٌ نودي به يوسف ﷺ.

فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما عند الطبري[1]، أنه قال: ﴿لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ قال نودي يا يوسف، أتزني فتكون كالطير وقع ريشه فذهب يطير فلا ريش له؟!!

٢ ـ إن البرهان هو صورة يعقوب عليه السلام تراءت ليوسف عليه السلام:

فقد صح عن ابن عباس من طرق عند الطبري أنه تمثلت له صورة أبيه يعقوب عاضًا على أصابعه (وفي رواية: أنامله) فخرجت شهوته من أنامله.

٣ ـ إن البرهان هو آية من آيات ربه حجزه اللهُ بها عن معصيته.

ومن العلماء من قال: إن هذه الآية هي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ

---

(١) الطبري (١٩٠٣٢).

إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾.

روى ذلك الطبري بإسناده إلى محمد بن كعب.

ومنهم من قال: إنه رأى ثلاث آيات من كتاب الله عز وجل، وهي: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ وقوله: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ﴾ [يونس: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾.

٤ ـ وذكر آخرون أن البرهان هو تمثال الملك، وقال آخرون: هو خياله.

وثمَّ أقوال أُخر.

وهذه الأقوال كما قدمت لا يصح فيها شيءٌ عن رسول الله ﷺ، ومن ثمَّ قال أبو جعفر الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبرهم عن همِّ يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه، لولا أن رأى يوسف برهان ربه، وذلك آيةٌ من الله زجرته عن ركوب ما همّ به يوسف من الفاحشة وجائزٌ أن تكون تلك الآية صورة يعقوب، وجائزٌ أن تكون صورة الملك، وجائزٌ أن يكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن على الزنا، ولا حجة للعذر قاطعة بأيِّ ذلك كان من أيٍّ. والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى، والإيمان به، وترك ما عدا ذلك إلى عالمه.

* * *

س: ما جواب قوله: ﴿ لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾؟

ج: جوابه والله أعلم: لأمضى ما همَّ به وفَعَلَهُ، فالمعنى: فلولا أن رأى برهان ربه لأمضى ما همَّ به ونفَّذهُ.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم: كما أننا أرينا يوسف عليه السلام برهانًا فصُرف به عن الفاحشة، فكذلك نريه عند كل أمرٍ فيه سوء يعرض له نريه من البراهين والآيات ما يدفعه ويصرفه عن ارتكاب المحرمات.

* * *

س: لماذا استبقا الباب؟ واذكر معنى الآية بمزيد من الإيضاح.

ج: يوسف ﷺ يريد الخروج، والمرأة تريد منعه من ذلك وتتشبث به.

قال الطبري رحمه الله:

يقول جل ثناؤه: واستبق يوسف وامرأة العزيز باب البيت، أما يوسف ففرارًا من ركوب الفاحشة لما رأىٰ برهان ربه فزجره عنها، وأما المرأة فطلبها ليوسف لتقضي حاجتها منه التي راودته عليها، فأدركته فتعلقت بقميصه فجذبته إليها، مانعةً له من الخروج من الباب، فقدته من دبر، يعني: شقته من خلف لا من قدام، لأن يوسف كان هو الهارب، وكانت هي الطالبة.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالىٰ عن حالهما حين خرجا يستبقان إلىٰ الباب، يوسف هارب، والمرأة تطلبه ليرجع إلىٰ البيت فلحقته في أثناء ذلك فأمسكت بقميصه من ورائه، فقدَّته قدًا فظيعًا، يُقال إنه سقط عنه، واستمر يوسف هاربًا ذاهبًا وهي في إثره فألفيا سيدها، وهو زوجها عند الباب فعند ذلك خرجت مما هي فيه بمكرها وكيدها، وقالت لزوجها متنصلة وقاذفةً يوسف بدائها ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا...﴾.

* * *

س: قوله: ﴿هي رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ فيه أدب من أداب التخاطب، وضح هذا الأدب.

ج: في هذا القول من الأدب: الإيجاز في الحديث مع النساء وعدم الاسترسال معهن .

وفيه أيضًا: الإيجاز في الحديث عن السوء والشر .

فيوسف ﷺ لم يفصل ولم يوضح كيفية المراودة، بل أوجز إيجازًا، وهكذا ينبغي أن يكون الحديث عن الشر، لا يفصل فيها، أما أمور الخير فيفصل فيها للترغيب فيها، وفي فعل الخير .

ولذلك فإن الوعاظ والخطباء لا ينبغي أن يُفصلوا في الجرائم أو أمور الشر وكيف حدثت، بل يُجملوا في ذلك إجمالاً حتىٰ لا تستقر الجرائم وطريقة ارتكابها في النفوس والأذهان .

هذ، و ثمَّ أدب آخر في قول يوسف عليه السلام ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي﴾ مخاطبًا بضمير الغائب، ولم يقل لها: أنتِ راودتيني، وإنما قال ﴿هِيَ﴾ حتىٰ لا يتردىٰ إلىٰ مرحلة المهاترات إلىٰ النساء، فصلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ نبينا محمد وسائر الأنبياء والمرسلين .

* * *

س: ما صفة هذا الشاهد الذي شهد في قضية امرأة العزيز؟

ج: ابتداءً: لم يرد في صفته خبر ثابت عن رسول الله ﷺ، ومن ثمَّ فقد قال بعض العلماء كان رجلاً ذا لحيةٍ، آتاه الله بعض الحكمة .

وقال آخرون: كان صبيًا في المهد .

وثمَّ أقوال أُخر شاذةٌ في هذا الباب.

* * *

س: ما وجه قوله: ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادقين﴾؟

ج: ذلك، والله تعالى أعلم: أن القميص إذا قدَّ من دُبر فيستفاد من ذلك أنه كان هاربًا وهي تلاحقه وتجذبه من الخلف، فلذا تمزق من الخلف، و إن كان قدَّ من قُبل فمعناه أنه كان يهجم عليها ويطلبها وهي تدافع عن نفسها وترده.

* * *

س: لماذا قدَّم الشاهد قول: ﴿إن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾ وهو يرى أن القميص قدَّ من دبر؟

ج: ذلك، والله أعلم: لنفي التهمة عن نفسه حتىٰ لا يُظن أنه متحاملٌ علىٰ امرأة العزيز، وهذا كقول مؤمن آل فرعون في شأن موسىٰ عليه السلام: ﴿وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾. وكذلك كما في آية أخرىٰ: ﴿قُل لاَّ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

ووجه آخر في الجواب: أن يُقال: لعله أدلىٰ بهذه الشهادة قبل أن يرىٰ القميص، والله أعلم.

س: إلام أُشير بقوله: ﴿إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ﴾؟

ج: هذا، والله أعلم: إشارة إلىٰ الصنيع الذي صدر من المرأة من

مراودتها يوسف عليه السلام عن نفسه ثم إلصاقها التهمة به بقولها: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

* * *

س: من القائل ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾؟

ج: في ذلك قولان:

أحدهما: أن القائل هو الشاهد.

والثاني: إنه الزوج.

* * *

س: هل كانت امرأة العزيز مؤمنةً حتى يُقال لها ﴿اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾؟

ج: لا يظهر أنها كانت مسلمة، وذلك لقول يوسف عليه السلام وهو في السجن ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.

وعليه: فقوله لها: ﴿اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾ أي اطلبي مغفرة زوجك وعدم مؤاخذته لك على ما بدر منك، والله أعلم.

* * *

س: لماذا قال ﴿مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ ولم يقل «من الخاطئات»؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

و قيل: ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ ولم يقل «من الخاطئات» لأنه لم يقصد بذلك قصد الخبر عن النساء، وإنما قصد به الخبر عمَّن يفعل ذلك فيخطئ.

وقال القرطبي رحمه الله:

ولم يقل من الخاطئات لأنه قصد الإخبار عن المذكر والمؤنث فغلَّب المذكر.

والمعنى من الناس الخاطئين، أو من القوم الخاطئين، مثل: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [النمل: ٤٣]، و﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾.

* * *

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا
عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾
فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ
كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ
وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ
كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن
نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا
مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ
إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ
﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ
حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

فتاها ـ شغفها حبا ـ ضلال مبين ـ مكرهن ـ أرسلت إليهن ـ أعتدت ـ متكئًا ـ آتت ـ أكبرنه ـ حاش لله ـ استعصم ـ الصاغرين ـ أصبُ إليهن ـ بدا لهم.

ج:

الكلمة	معناها
فتاها	عبدها.
شغفها حبًا	دخل حبه تحت شغاف قلبها ـ وصل حبه إلىٰ شغاف قلبها، وهو غلافه المحيط به ـ أهلكها حبًا.
ضلال مبين	خطأٍ بين واضح، وبعد عن الصواب شديد.
مكرهن	حديثهن الذي يكدنها به ـ كيدهن.
أرسلت إليهن	دعتهن إلىٰ منزلها.
أعتدت	أعدت.
متكئًا	مجلسًا للطعام ـ ما يتكأ عليه من الوسائد والنمارق للطعام والشراب.
آتت	أعطت.
أكبرنه	أعظمنه (أعظمن قدره ومنزلته). أجللنه (أجللن شأنه). وثم قول ضعيف وهو: (حِضْن).
حاش لله	تنزيهًا لله (أي: نُنزه الله عن العجز أن يخلق

	بشراً كهذا، (أي: فالله قادر على خلق بَشَرٍ كهذا الجميل المتعفف، بل وأفضل من هذا).
	معاذ الله ـ براءة لله ـ امتناع يوسف عن هذا لخوفه من الله.
استعصم	امتنع مستمسكًا بعصمته.
الصاغرين	الأذلاء الحقيرين.
أصبُ	أميل بقلبي إليهن حبًا.
بدا لهم	ظهر لهم ـ ترجَّح عندهم ـ استبان لهم.

* * *

س: من الذي أشاع الخبر حتى قال نسوة في المدينة ﴿امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾؟

ج: في الغالب أن بيوت الأمراء والوزراء والملوك والكبراء تكون مراقبةً، ثم إن الخدم الذين بها يتحدثون عما يدور فيها في كثير من الأحيان، فلعل أحد الخدم قد تحدث بذلك أو الشاهد قد تحدث بذلك، أو امرأة العزيز أو العزيز نفسه. فالله أعلم.

* * *

س: لماذا قيل: ﴿تُرَاوِدُ﴾ ولم يقل راودت؟

ج: ذلك، والله أعلم: كما قال بعض العلماء: للتنبيه على أن المراودة صارت مهنةً لها وديدنًا.

* * *

س: كيف قيل: ﴿تُرَاوِدُ فَتَاهَا﴾ وإنما هو عبدٌ لزوجها؟

ج: قال بعض أهل العلم إنه وهبه لها.

وقال آخرون: بل نُسب إليها لكونه يخدمها، وإن كانت خدمته لها بأمر زوجها.

* * *

س: لماذا وُصف حديثهن بأنه مكر؟

ج: قال بعض العلماء: وإنما سمى حديثهن مكرًا لكونهن أردن من ورائه رؤية يوسف عليه السلام، فقلن الذي قلن كي تريهن امرأةُ العزيز يوسفَ عليه السلام.

وقال بعض العلماء: إنما قيل ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾ لغيبتهن لها سميت الغيبة مكرًا لاشتراكهما في الإخفاء.

* * *

س: قول النسوة في المدينة: ﴿امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ متضمنٌ للمكر من وجوه، اذكر بعض هذه الوجوه؟

ج: ذكر ذلك ابن القيم[1] رحمه الله فقال:

قول الله تعالى ذكره: **﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾**.

هذا الكلام متضمن لوجوه من المكر.

أحدها: قولهن: «امرأة العزيز تراود فتاها» ولم يسموها باسمها، بل ذكروها بالوصف الذي ينادِي عليها بقبيح فعلها بكونها ذات بعل، فصدور الفاحشة من ذات الزوج أقبح من صدورها ممن لا زوج لها.

الثاني: أن زوجها عزيز مصر، ورئيسها، و كبيرها. وذلك أقبح لوقوع الفاحشة منها.

الثالث: أن الذي تراوده مملوك لا حرٌ. وذلك أبلغ في القبح.

الرابع: أنه فتاها الذي هو في بيتها، وتحت كنفها، فحكمه حكم أهل البيت. بخلاف من تطلب ذلك من الأجنبي البعيد.

والخامس: أنها هي المراودة الطالبة.

---

(١) انظر: «التفسير القيِّم» (ص ٣١٤ـ٣١٥)، و«إغاثة اللهفان» (ص ٣٨٣).

الســادس: أنها قد بلغ بها عشقها له كل مبلغ، حتى وصل حبها له إلى شغاف قلبها.

السابع: أن في ضمن هذا: أنه أعفُّ منها وأبر، وأوفى، حيث كانت هي المراودة الطالبة، وهو الممتنع، عفافًا وكرمًا وحياء، وهذا غاية الذم لها.

الثـامن: أنهن أتين بفعل المراودة بصيغة المستقبل الدالة على الاستمرار والوقوع حالاً واستقبالاً، وأن هذا شأنها، ولم يقلن: راودت فتاها، وفرق بين قولك: فلان أضاف ضيفًا وفلان يقري الضيف ويطعم الطعام، ويحمل الكَلَّ فإن هذا يدل على أن هذا شأنه وعادته.

التـاسع: قولهن: «إنا لنراها في ضلال مبين» أي إنا لنستقبح منها ذلك غاية الاستقباح، فنسبن الاستقباح إليهن ومن شأنهن مساعدة بعضهن بعضًا على الهوى ولا يكدن يرين ذلك قبيحًا، كما يساعد الرجال بعضهم بعضًا على ذلك، فحيث استقبحن منها ذلك كان هذا دليلاً على أنه من أقبح الأمور، وأنه مما لا ينبغي أن تساعد عليه، ولا يحسن معاونتها عليه.

العاشر: أنهن جمعن لها في هذا الكلام واللوم بين العشق المفرط والطلب المفرط، فلم تقتصد في حبها، ولا في طلبها.

أما العشق فقولهن: (قد شغفها حبًا) أي وصل حبه إلى شغاف قلبها.

وأما الطلب المفرط فقولهن: (تراود فتاها) والمراودة: الطلب مرة بعد مرة فنسبوها إلى شدة العشق، وشدة الحرص على الفاحشة.

فلما سمعت بهذا المكر منهن هيأت لهن مكرًا أبلغ منه، فهيأت لهن متكأ، ثم أرسلت إليهن، فجمعتهن، وخبأت يوسف عليه السلام عنهن،

وقيل: إنها جملته، وألبسته أحسن ما تقدر عليه، وأخرجته عليهن فجأة. فلم يَرُعْهُنَّ إلا وأحسن خلق الله وأجمله قد طلع عليهن بغتة، فراعهن ذلك المنظر البهي، وفي أيديهن مُدىٰ يقطعن بها ما يأكلن، فدهشن حتىٰ قطعن أيديهن، وهن لا يشعرن».

* * *

س: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ فلماذا أكبرنه؟

ج: أكبرنه لجماله الفائق وحُسنه الباهر وأدبه الوفير وعفته ووقاره وفرط حيائه ﷺ.

* * *

س: كيف وصفنه بأنه ملك، وهن لم يرين الملائكة؟

ج: لأنه قد استقر في النفوس حسن صورة الملائكة وأنهم فوق البشر، وأن لا شيء أحسن من الملك.

كما أنه قد استقر في النفوس أن لا شيء أقبح من الشياطين، فلذا قال تعالىٰ في شجرة الزقوم: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾.

وقال بعض العلماء: ذلك لأن الملائكة مطهرون من المعاصي، فقد قال تعالىٰ: ﴿لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ويوسف ﷺ لما لم يلتفت إلىٰ النسوة شبهنه بالمَلَك لعفته وطهارته، والله أعلم.

* * *

س: إذا أكره رجل بالسجن أو بالضرب على الزنا هل يزني؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

ولو أكره رجل بالسجن علىٰ الزنا ما جاز له إجماعًا، فإن أكره بالضرب

فقد اختلف فيه العلماء، والصحيح: أنه إذا كان فادحًا فإنه يسقط عنه إثم الزنىٰ وحدُّه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[١]:

لكن تنازع العلماء هل يمكن الإكراه على الفاحشة؟

علىٰ قولين:

قيل: لا يمكن، كقول أحمد بن حنبل وأبي حنيفة وغيرهما. قالوا: لأن الإكراه يمنع الانتشار.

والثاني: يمكن، وهو قول مالك والشافعي، وابن عقيل وغيره من أصحاب أحمد؛ لأن الإكراه لا ينافي الانتشار، فإن الإكراه لا ينافي كون الفعل اختياراً، بل المكره يختار دفع أعظم الشرين بالتزام أدناهما.

وأيضًا: فالانتشار بلا فعل منه؛ بل قد يقيد ويضجع فتباشره المرأة فتنتشر شهوته فتستدخل ذكرَه.

فعلىٰ قول الأولين لم يكن يحل له ما طلبت منه بحال.

وعلىٰ القول الثاني فقد يقال: الحبس ليس بإكراه يبيح الزنا؛ بخلاف ما لو غلب علىٰ ظنه أنهم يقتلونه أو يتلفون بعض أعضائه، فالنزاع إنما هو في هذا، وهم لم يبلغوا به إلىٰ هذا الحد، وإن قيل: كان يجوز له ذلك لأجل الإكراه لكن يفوته الأفضل.

وأيضًا: فالإكراه إنما يحصل أول مرة ثم يباشر، وتبقىٰ له شهوة وإرادة في الفاحشة.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٥/ ١١٥-١١٦).

ومن قال: الزنا لا يتصور فيه الإكراه. يقول: فرق بين ما لا فعل له ـ كالمقيد ـ وبين من له فعل، كما أن المرأة إذا أضجعت وقيدت حتىٰ فعل بها الفاحشة لم تأثم بالاتفاق، وإن أكرهت حتىٰ زنت ففيه قولان؛ هما روايتان عن أحمد؛ لكن الجمهور يقولون: لا تأثم وقد دل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وهؤلاء يقولون: فعل المرأة لا يحتاج إلىٰ انتشار، فإنما هو كالإكراه علىٰ شرب الخمر؛ بخلاف فعل الرجل، وبسْط هذا له موضع آخر.

* * *

س: في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ مقدرٌ محذوف، وضح هذا المقدر.

ج: هذا المقدر هو قوله «دخول»، المعنىٰ: يا رب، دخول السجن أحب إليَّ.

* * *

س: ما الذي دعا به يوسف عليه السلام فأجيب بقوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾؟

ج: دعا عليه السلام بقوله: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ففي هذا معنىٰ الدعاء والمسألة، وفيه إظهار حاله وما به، وهذا نوع دعاء، كما قال أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، وكما قال موسىٰ عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، والله تعالىٰ أعلم.

* * *

س: في قول يوسف عليه السلام: ﴿ربّ السّجنُ أحبُّ إليّ ممّا يدعُونني إليْه﴾ فوائد وعبرٌ، وضح هذه الفوائد والعبر.

ج: أوضح بعض ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[1] فقال:

وفي قول يوسف: ﴿رَبّ السّجْنُ أَحبُّ إلَيّ ممَّا يَدْعُونَني إلَيْه وَإلاَّ تَصْرفْ عَنّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إلَيْهنَّ وَأَكُن مّنَ الْجَاهلينَ﴾ عبرتان:

إحداهما: اختيار السجن والبلاء على الذنوب والمعاصي.

والثانية: طلب سؤال الله ودعائه أن يثبت القلب على دينه ويصرفه إلى طاعته، وإلا فإذا لم يثبت القلب، وإلا صبا إلى الآمرين بالذنوب، وصار من الجاهلين.

ففي هذا توكل على الله واستعانة به أن يثبت القلب على الإيمان والطاعة، وفيه صبر على المحنة والبلاء والأذى الحاصل إذا ثبت على الإيمان والطاعة.

وهذا كقول موسى عليه السلام لقومه: ﴿اسْتَعينُوا باللَّه وَاصْبرُوا إنَّ الأَرْضَ للَّه يُورثُهَا مَن يَشَاءُ منْ عبَاده وَالْعَاقبَةُ للْمُتَّقينَ﴾ لما قال فرعون: ﴿سَنُقَتّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيي نسَاءَهُمْ وَإنَّا فَوْقَهُمْ قَاهرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لقَوْمه اسْتَعينُوا باللَّه وَاصْبرُوا إنَّ الأَرْضَ للَّه يُورثُهَا مَن يَشَاءُ منْ عبَاده وَالْعَاقبَةُ للْمُتَّقينَ﴾.

وكذلك قوله: ﴿وَالَّذينَ هَاجَرُوا في اللَّه منْ بَعْد مَا ظُلمُوا لَنُبَوّئَنَّهُمْ في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخرَة أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبّهمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

(١) «مجموع الفتاوى» (١٥/ ١٣٠-١٣١-١٣٢).

ومنه قول يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وهو نظير قوله: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ وقوله: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ وقوله: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾.

فلا بد من التقوىٰ بفعل المأمور والصبر علىٰ المقدور، كما فعل يوسف عليه السلام: اتقىٰ الله بالعفة عن الفاحشة، وصبر علىٰ أذاهم له بالمراودة والحبس، واستعان الله ودعاه، حتىٰ يثبته علىٰ العفة فتوكل عليه أن يصرف عنه كيدهن، وصبر علىٰ الحبس.

وهذا كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١) يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ (١٢) يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ فإنه لا بد من أذىٰ لكل من كان في الدنيا، فإن لم يصبر علىٰ الأذىٰ في طاعة الله، بل اختار المعصية، كان ما يحصل له من الشر أعظم مما فر منه بكثير ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾.

ومن احتمل الهوان والأذىٰ في طاعة الله علىٰ الكرامة والعز في معصية الله ـ كما فعل يوسف عليه السلام وغيره من الأنبياء والصالحين ـ كانت العاقبة له في الدنيا والآخرة، وكان ما حصل له من الأذىٰ قد انقلب نعيمًا وسرورًا، كما أن ما يحصل لأرباب الذنوب من التنعم بالذنوب ينقلب حزنًا

وثبوراً.

فيوسف ﷺ خاف الله من الذنوب، ولم يخف من أذىٰ الخلق وحبسهم إذ أطاع الله، بل آثر الحبس والأذىٰ مع الطاعة علىٰ الكرامة والعز وقضاء الشهوات ونيل الرياسة والمال مع المعصية، فإنه لو وافق امرأة العزيز نال الشهوة، وأكرمته المرأة بالمال والرياسة، وزوجها في طاعتها، فاختار يوسف الذل و الحبس، وترك الشهوة والخروج عن المال والرياسة، مع الطاعة علىٰ والرياسة والمال وقضاء الشهوة مع المعصية.

بل قدم الخوف من الخالق علىٰ الخوف من المخلوق، وإن آذاه بالحبس والكذب فإنها كذبت عليه؛ فزعمت أنه راودها ثم حبسته بعد ذلك».

* * *

س: اذكر طرفًا من كيد امرأة العزيز.

ج: من ذلك قولها وقد راودت يوسف عن نفسه: ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا.

وكونها أعتدت لهن متكئًا وقالت اخرج عليهن.

* * *

س: كيد امرأة العزيز قد عُرف، فما الكيد الذي كادته به النساء؟

ج: من ذلك: ترغيبهن ليوسف عليه السلام في المطاوعة (مطاوعة امرأة العزيز) والنزول عند الرغبة، والتخويف من مخالفة أمر امرأة العزيز، وذكر بعض العلماء أيضًا أن كل واحدةٍ منهم كانت تريده لنفسها وتقول له: يا يوسف اقضِ لي حاجتي فأنا خيرٌ لك من امرأة العزيز.

وقـيل: إنه خاطب امرأة العزيز بما يصلح لخطاب جماعة النساء سترًا عليها. والله أعلم.

* * *

س: لماذا ختمت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾؟

ج: قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ تعليلٌ لما قبلها من صرف الكيد، أي إنه هو السميع لدعوات الداعين له العليم بأحوال الملتجئين إليه.

قلت (مصطفى): وفي هذا تعميم أيضًا لإجابة الدعوات وحثٌ لجميع المبتلين على الدعاء والله أعلم.

* * *

س: هذه المحنة التي تعرض لها نبي الله يوسف عليه السلام محنةٌ عظيمةٌ، بيِّن بعض ما فيها من صعوبة.

ج: قال السعدي رحمه الله في «تفسيره»[1]:

هذه المحنة العظيمة أعظم على يوسف من محنة إخوته، وصبره عليها أعظم أجرًا، لأنه صبر اختيار، مع وجود الدواعي الكثيرة لوقوع الفعل، فقدم محبة الله عليها.

وأما محنته بإخوته، فصبره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد بغير اختياره وليس له ملجأ إلا الصبر عليها، طائعًا أو كارهًا. وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام، بقي مكرَّمًا في بيت العزيز، وكان

(١) «تيسير الكريم الرحمن».

له من الجمال والكمال والبهاء ما أوجب ذلك، أن «راودته التي هو في بيتها عن نفسه» أي: هو غلامها، وتحت تدبيرها، والمسكن واحد يتيسر فيه إيقاع الأمر المكروه، من غير شعور أحد، ولا إحساس بشر.

وزاد المصيبة، بأن غلقت الأبواب، وصار المحل خاليًا، وهما آمنان من دخول أحد عليهما، بسبب تغليق الأبواب.

وقد دعته إلىٰ نفسها: وقالت: هيت لك، أي: افعل الأمر المكروه وأَقبِل إليَّ.

ومع هذا فهو غريب، لا يحتشم مثله ما يحتشمه إذا كان في وطنه وبين معارفه، وهو أسير تحت يدها، وهي سيدته، وفيها من الجمال ما يدعو إلىٰ ما هنالك، وهو شاب عزب، وقد توعدته إن لم يفعل ما تأمره به بالسجن أو العذاب الأليم. فصبر عن معصية الله، مع وجود الداعي القوي فيه، لأنه قد همَّ فيها همًّا تركه لله، وقدم مراد الله علىٰ مراد النفس الأمارة بالسوء. ورأىٰ من برهان ربه وهو ما معه من العلم والإيمان الموجب لترك كل ما حرم الله ما[1] أوجب له البعد والانكفاف عن هذه المعصية الكبيرة.

أما ابن القيم رحمه الله تعالى فقال «الجواب الكافي»:

«... والله سبحانه وتعالىٰ... أخبر عن عشق امرأة العزيز ليوسف وما راودته وكادته به، وأخبر عن الحال التي صار إليها يوسف بصبره وعفته وتقواه، مع أن الذي ابتلي به أمر لا يصبر عليه إلا من صبره الله عليه، فإن موافقة الفعل بحسب قوة الداعي وزوال المانع، وكان الداعي ها هنا في غاية القوة، وذلك لوجوه:

أحدها: ما ركب الله سبحانه في طبع الرجل من ميله إلىٰ المرأة، كما يميل العطشان إلىٰ الماء والجائع إلىٰ الطعام، حتىٰ إن كثيراً من الناس يصبر عن الطعام والشراب ولا يصبر عن النساء، وهذا لا يذم إذا صادف حلالاً، بل يحمد كما في كتاب «الزهد» للإمام أحمد من حديث يوسف بن عطية الصفار عن ثابت البناني عن أنس عن النبي ﷺ: **«حُبب إليَّ من دنياكم الطيب والنساء، أصبر عن الطعام والشراب ولا أصبر عنهن»**.

الثاني: أن يوسف عليه السلام كان شابًا، و شهوة الشاب وحدته أقوىٰ.

الثالث: أنه كان عزبًا، لا زوجة له ولا سرية، تكسر حدة الشهوة.

الرابع: أنه كان في بلاد غربة لا يتأتىٰ للغريب فيها من قضاء الوطر ما يتأتىٰ لغيره في وطنه وأهله ومعارفه.

الخامس: أن المرأة كانت ذات منصب وجمال، بحيث أن كل واحد من هذين الأمرين يدعو إلىٰ موافقتها.

السادس: أنها غير آبية ولا ممتنعة، فإن كثيراً من الناس يزيل رغبته في المرأة إباؤها وامتناعها، لما يجد في نفسه من ذل النفس والخضوع والسؤال لها، وكثير من الناس يزيده الإباء والامتناع حبًا ورغبة، كما قال الشاعر:

وزادني كلفًا في الحب أن منعت أحب شيء إلى الإنسان ما منعا

فطباع الناس مختلفة في ذلك:

فمنهم: من يتضاعف حبه عند بذل المرأة نفسها ورغبتها وتضمحل عند إبائها وامتناعها، وأخبرني بعض القضاة أن ارادته وشهوته تضمحل عند امتناع زوجته أو سريته وإبائها، بحيث لا يعاودها.

ومنهم: من يتضاعف حبه وإرادته بالمنع، ويشتد شوقه بكل ما منع، ويحصل له من اللذة بالظفر نظير ما يحصل من اللذة بالظفر بالضد بعد امتناعه ونفاره، واللذة بإدراك المسألة بعد استصعابها وشدة الحرص على إدراكها.

السابع: أنها طلبت وأرادت وبذلت الجهد، فكفته مؤنة الطلب وذل الرغبة إليها، بل كانت هي الراغبة الذليلة، وهو العزيز المرغوب إليه.

الثامن: أنه في دارها وتحت سلطانها وقهرها، بحيث يخشى إن لم يطاوعها من أذاها له، فاجتمع داعي الرغبة والرهبة.

التاسع: أنه لا يخشى أن تنم عليه هي: ولا أحد من جهتها، فإنها هي الطالبة والراغبة، وقد غلقت الأبواب وغيبت الرقباء.

العاشر: أنه كان مملوكًا لها في الدار، بحيث يدخل ويخرج ويحضر معها، ولا يُنكَر عليه، وكان الأمن سابقًا على الطلب، وهو من أقوى الدواعي، كما قيل لامرأة شريفة من أشراف العرب: ما حملك على الزنا؟ قالت: قرب الوساد وطول السواد. تعني: قرب وساد الرجل من وسادتي، وطول السواد بيننا.

الحادي عشر: أنها استعانت عليه بأئمة المكر والاحتيال، فأرته إياهن وشكت حالها إليهن لتستعين بهن عليه، فاستعان هو بالله عليهن فقال: ﴿ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾.

الثاني عشر: أنها توعدته بالسجن والصَّغَار، وهذا نوع إكراه، إذ هو تهديد ممن يغلب على الظن وقوع ما هدد به، فيجتمع داعي الشهوة وداعي

حب السلامة من ضيق السجن والصغار.

الثالث عشر: أن الزوج لم يظهر من الغيرة والنخوة ما يفرق به بينهما ويبعد كلاً منهما عن صاحبه، بل كان غاية ما خاطبهما به إذ قال ليوسف: ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ وللمرأة: ﴿اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ وشدة الغيرة للرجل من أقوى الموانع، وهنا لم يظهر منه غيرة.

ومع هذه الدواعي كلها: فقد آثر مرضاة الله وخوفه، وحمله حبه لله على أن يختار السجن على الزنى فقال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ وعلم أنه لا يطيق صرف ذلك عن نفسه، وأن ربه تعالى إن لم يعصمه ويصرف عنه كيدهن صبا إليهن بطبعه وكان من الجاهلين، وهذا من كمال معرفته بربه وبنفسه. وفي هذه القصة من العبر والفوائد والحكم ما يزيد على ألف فائدة، لعلنا إنْ وفقنا الله أن نفردها في مصنف مستقل» اهـ.

* * *

س: هناك حديث ثابت صحيح عن نبينا محمد ﷺ لنبي الله يوسف فيه أكمل حظ وأوفر نصيب، اذكر هذا الحديث.

ج: هذا الحديث هو ما أخرجه البخاري ومسلم[1] في «صحيحيهما» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله: الإمام العادل، وشابٌ نشأ في عِبَادة ربِّه، ورجلٌ قلبُهُ مُعلقٌ في المساجِد، ورجلانِ تحابَّا في الله اجتمعَا عليهِ وتفرَّقا عليه، ورجلٌ طلبتهُ امرأةٌ ذات منصِب وجمال فقال: إني أخاف الله، و رجلٌ تصدق؛ أخفى حتَّى لا تعلم شماله ما تنفقُ يمينهُ، و رجلٌ ذكر الله خاليًا ففاضت عيناهُ».

---

(١) البخاري (حديث ٦٦٠)، ومسلم (حديث ١٠٣١).

س: ما المراد بالآيات في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾؟ ومن الذين بدا لهم؟

ج: بدا للعزيز ومن معه.

أمَّا الآيات:

فمنها: قدُّ القميص من دُبر.

ومنها: تقطيع النسوة أيديهن.

ومنها: شهادة الشاهد.

وفي الجملة؛ فهي الآيات الدالة علىٰ صدقه وبراءته.

* * *

س: ما المراد بـ: «الحين» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾؟

ج: المراد، والله أعلم: أجل غير مسمىٰ ومدة غير معلومة إلىٰ أن ينقطع الحديث الذي قد شاع بالمدينة، الذي هو امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبًّا. فعموم الأخبار تأخذ أوقاتًا، ثم ينقطع الحديث فيها أو يقل ويندر، وذلك لمجيء خبر آخر هو أعظم منه، فيُنسىٰ الناس الخبر الأول، فلكل نبأ مستقر.

وقيل أيضًا: «الحين» هو الوقت الذي فيه يرون رأيهم في يوسف عليه السلام.

* * *

وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ
إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ
رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ
ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا
بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ
مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾
وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ
لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ
ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ
﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ
وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ
أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا
فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ
مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي
ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ
ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ

س: اذكر معنى ما يلي:

نبئنا بتأويله ـ نبأتكما بتأويله ـ ملة ـ لا يؤمنون بالله ـ يا صاحبي السجن ـ أأربابٌ متفرقون ـ الواحد ـ القهار ـ سلطان ـ الحكم ـ الدين القيم ـ يسقي ربه ـ بضع سنين.

ج:

الكلمة	معناها
نبئنا بتأويله	أخبرنا بما يؤول إليه (بما يصير إليه).
نبأتكما بتأويله	أخبرتكما بتفسيره، وبما تصير إليه هذه الرؤيا.
ملة	دين.
لا يؤمنون بالله	لا يصدقون بالله، ولا يقرون بوحدانيته.
يا صاحبي السجن	يا من هما في السجن ـ يا صاحبيَّ في السجن، وقيل: «يا صاحبي السجن» لطول بقائهما فيه، كما قال تعالى: ﴿أولئك أصحاب النار﴾ لطول بقائهم فيها.
أأرباب متفرقون	أعبادة أرباب شتى، متفرقون في الصغر والكبر والتوسط، ومتفرقون في العدد والصفات.
الواحد	الذي لا ثاني له ولا شريك له.
القهار	الذي قهر كلَّ شيءٍ فذلَّله وسخَّره.
سلطان	حجةٌ وبرهان، وقوله: ﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾ أي: ما أمر بعبادتها ولا أذن في ذلك.

الحكم	الأمر والنهي والتشريع والقضاء .
الدين القيم	المستقيم الموصل إلىٰ كل خير بخلاف غيره من الأديان .
يسقي ربه	يسقي سيده (وهو الملك) أي سيكون صاحب شرابه ويكون ساقيه .
بضع	«البِضْع» : من ثلاث إلىٰ تسع .

* * *

س: ما شأن الفتيين الذين دخلا السجن مع يوسف عليه السلام؟

ج: صح عن قتادة[١] أنه قال: كان أحدهما خبازًا للملك على طعامه، وكان الآخر ساقيه على شرابه.

قلت (مصطفى): والله أعلم بصحة ذلك؛ فلم يرد عن رسول الله ﷺ خبرٌ بذلك.

هذا ومما ذكره المفسرون أيضًا: أنهما اتهما بوضع السُّم للملك، هذا اتُّهم بوضع السم للملك في طعامه، وهذا اتهم بوضع السم للملك في شرابه، والله أعلم بصحة ذلك.

* * *

س: في الآية الكريمة إطلاق الاسم على الشيء باعتبار ما سيؤول إليه، وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أنه أُطلق على العنب الخمر باعتبار ما سيؤول إليه.

فالمعنى: إني أراني أعصر عنبًا فيؤول العنب إلى الخمر.

وذلك لأن الخمر لا يعصر، وإنما الذي يُعصر هو العنب[٢].

* * *

س: ما الحامل للفتيين على قولهما: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾؟

ج: ذلك، والله أعلم: للصلاح الذي يبدُر منه من إيثار الإحسان.

---

(١) أخرج ذلك الطبري.

(٢) بيد أن بعض العلماء ذكروا أن أهل عمان يطلقون العنب على الخمر، وقد ورد ذلك عند الطبري (١٩٢٨٢) عن الضحاك.

قال الرازي في «تفسيره»:

إنه كان يعود مرضاهم، ويؤنس حزينهم، فقالوا: إنك من المحسنين. أي: في حق الشركاء والأصحاب.

وقيل: إنه كان شديد المواظبة على الطاعات من الصوم والصلاة فقالوا: إنك من المحسنين في أمر الدين.

ومن كان كذلك فإنه يوثق بما يقوله في تعبير الرؤيا، وفي سائر الأمور.

وقيل: المراد ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ في علم التعبير، وذلك لأنه متى عبر لم يخطئ كما قال: ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾.

* * *

س: قولهم: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فيه أدب من أدب السؤال، وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أنهما توسلا إلى يوسف بإحسانه، وأثنيا عليه بذلك أيضًا.

فعليه يستحب للشخص أن يثني على المسؤول أثناء المسألة بما يعلمه فيه من خيرٍ وبرٍ وإحسان، وذلك قيد أمن الفتنة، كأن تقول: يا بن المحسنين تصدق، ويا بن الشجعان بارزِ الأبطال، ونحو ذلك.

* * *

س: هل رأى الفتيان رؤيا أم أنهما ادعيا ذلك؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أنهما لم يريا شيئًا.

أورد الطبري من طريق إبراهيم النخعي[1] عن ابن مسعود قال: ما رأى

(١) وفي رواية إبراهيم عن ابن مسعود نزاع، فإبراهيم لم يسمع من ابن مسعود، والأثر عند =

صاحبا يوسف شيئًا إنما كانا تحالما ليجربا علمه .

وأورد الطبري نحو هذا عن مجاهد[1] .

وقال آخرون : بل قد رأيا رؤيا .

* * *

س: لماذا لم يجبهما يوسف عليه السلام مباشرةً إلى ما سألاه عنه من تأويل الرؤيا؟

ج: قال بعض أهل العلم: إنه بدأهما بالجواب الأنفع لهما في دينهما ، فالأنفع لهما أن يُسلما ، وأن يوحدا ربهما ، ثم يأتي بعد ذلك تأويل الرؤيا .

وثمَّ قول آخر: وهو أن يوسف عليه السلام أشار إليهما بتأويلها ، ولكنها إشارةٌ فيها إلماح وتعريض؛ وذلك لأن فيها ما ينزعج به أحدهما .

وها هي بعض الأقوال في ذلك:

ذكر ابن الجوزي رحمه الله في «زاد المسير» أربعة أجوبة على هذا؛ فقال:

أحدها: أنه لما علم أن أحدهما مقتول ، دعاهما إلى نصيبهما من الآخرة . قاله قتادة .

والثاني: أنه عدل عن الجواب لما فيه من المكروه لأحدهما . قاله ابن جريج .

= الطبري (١٩٢٧٠)، وقد أورده الطبري من طريق إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود، لكنه من طريق ابن وكيع (١٩٢٩٧) .

(١) أثر مجاهد عند الطبري (٢٩٣٠١) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وفي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد في التفسير كلام .

والثـــالث: أنه ابتدأ بدعائهما إلىٰ الإيمان قبل جواب السؤال. قاله الزجاج.

والرابع: أنه ظنهما كاذبين في رؤياهما، فعدل عن جوابهما ليُعرضا عن مطالبته بالجواب، فلما ألحّا أجابهما.

وقال الطبري رحمه الله:

فإن قال قائل: ما وجه هذا الخبر ومعناه من يوسف؟ وأين جوابه الفتيين عما سألاه من تعبير رؤياهما من هذا الكلام؟

قيل له: إن يوسف كره أن يجيبهما عن تأويل رؤياهما، لما علم من مكروه ذلك علىٰ أحدهما، فأعرض عن ذكره، وأخذ في غيره، ليعرضا عن مسألته الجواب عما سألاه من ذلك.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾ من جهة الله أو الملك، والجملة صفة لـ«طعام» **﴿إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾** مستأنفة جواب سؤال مقدر ومعنىٰ ذلك: أنه يعلم شيئًا من الغيب بإلهام الله تعالىٰ، وأنه لا يأتيهما إلىٰ السجن طعام في اليقظة إلا أخبرهما بماهيته قبل أن يأتيهما.

وقيل: أراد به في النوم، والأول هو الأظهر، وهذا ليس من جواب سؤالهما تعبير ما قصاه عليه بل جعل عليه السلام مقدمة قبل تعبيره لرؤياهما بيانًا لعلو مرتبته في العلم، وأنه ليس من المعبرين الذين يعبرون الرؤيا عن ظن وتخمين، فهو كقول عيسىٰ عليه السلام: **﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾**.

وإنما قال يوسف لهما هذا؛ ليحصل الانقياد له منهما فيما يدعوهما إليه بعد ذلك من الإيمان بالله و الخروج من الكفر، والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال، أي: لا يأتيكما في حال من الأحوال، إلا حال ما نبأتكما، أي: بينت لكما ماهيته وكيفيته، وسماه «تأويلاً» بطريق المشاكلة؛ لأن الكلام في الرؤيا. أو المعنى: إلا نبأتكما بما يؤول إليه الكلام من مطابقة ما أخبركما به للواقع.

وقال القاسمي في «محاسن التأويل»:

لا يخفى أن قوله تعالى: ﴿قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ﴾ إلى هنا، مقدمة لجواب سؤالهما عن تعبير رؤياهما، مهد ـ عليه السلام ـ بها لهما ليدعوهما إلى التوحيد، ليزدادا علمًا بعظم شأنه وثقة بأمره، توسلاً بذلك إلى تحقيق ما يتوخاه من هدايتهما، لا سيما وأن أحدهما ستعاجله منيته بالصَّلْب، فرجا أن يُختم له بخير.

قال الزمخشري: لَمّا استعبراه ووصفاه بالإحسان، افترص ذلك، فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء، وهو الإخبار بالغيب، وأنه ينبئهما بما يحمل إليهما من الطعام، وجعل ذلك تخلصًا إلى أن يذكر لهما التوحيد، ويعرض عليهما الإيمان، ويزينه لهما، ويقبح إليهما الشرك بالله.

وهذه طريقة على كل ذي مسلم أن يسلكها مع الجهال والفسقة إذا استفتاه واحد منهم، أن يقدم الهداية والإرشاد والموعظة الحسنة والنصيحة أولاً، ويدعوه إلى ما هو أولى به وأوجب عليه مما استفتى فيه، ثم يفتيه بعد ذلك.

وفيه: أن العالم إذا جهلت منزلته في العلم، فوصف نفسه بما هو بصدده ـ

وغرضه أن يقتبس منه، وينتفع به في الدين ـ لم يكن من باب التزكية. انتهىٰ.

وبعد تحقيق الحق، ودعوتهما إليه، وبيانه لهما مرتبة علمه، شرع في تفسير ما استفسراه، ولكونه بحثًا مغايرًا لما سبق، فصله عنه بتكرير الخطاب.

* * *

س: ما المراد بتأويل الطعام في قوله تعالى: ﴿لا يأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِه إِلاَّ نَبَّأْتُكُما بِتأْوِيلِه قَبْلَ أن يَأْتِيكُما﴾؟

ج: تأويله هو الإخبارية، أي أنه يقول لهما: سيأتيكما طعام كيت وكيت، والمراد بالطعام: الطعام الذي يُرسل إلىٰ المسجونين.

* * *

س: لماذا قال يوسف عليه السلام: ﴿لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُما بِتَأْوِيلِه قَبْلَ أَن يَأْتِيكُما﴾ مع ما فيه من تزكيةٍ للنفس؟

ج: ذلك، والله تعالى أعلم: تمهيدًا لدعوتهما إلىٰ الله عز وجل، وإظهارًا لكونه من بيت نبوة، وجلبًا لاستماعهما وإصغائهما لما يُلقىٰ عليهما.

* * *

س: أيد الله عز وجل يوسف ﷺ في السجن بمعجزةٍ، اذكر هذه المعجزة.

ج: هذه المعجزة هي الإخبار ببعض أمور الغيب كما في قوله: ﴿لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿إِنّي تركْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ من هؤلاء القوم؟

ج: قال بعض أهل العلم: هم الكنعانيون والمصريون آنذاك.

* * *

س: لماذا كُررت كلمة (هُم) في قوله تعالى: ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

وكررت «هم» مرتين، فقيل: ﴿وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾، لما دخل بينهما قوله: ﴿بِالآخِرَةِ﴾، فصارت «هم» الأولى كالملغاة، وصار الاعتماد على الثانية، كما قيل: ﴿وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٢، لقمان: ٤]، وكما قيل: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾.

* * *

س: اذكر دليلاً على إطلاق الأب على الجد.

ج: الدليل هو قول يوسف عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ فإسحاق جده، وإبراهيم جد أبيه ومع ذلك قال: واتبعت ملة آبائي.

* * *

س: قول يوسف عليه السلام: ﴿ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ عائدٌ على ماذا؟

ج: عائدٌ على الإيمان والتوحيد وعدم الشرك، وعائدٌ أيضًا على العلم.

* * *

س: ما وجه الإفضال على الناس في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ علينا وعلى النَّاسِ﴾؟

ج: وجه ذلك: أن الله أرسل إليهم دعاةً يهدونهم إلى الخير والإيمان والجنة، ويصرفونهم عن النار ويحذرونهم منها.

* * *

س: اذكر بعض الأدلة من كتاب الله عز وجل على وحدانية الله.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.
* وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾.
* وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾.
* وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لأَبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾.
* وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.
* وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.
* وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾.
* وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.
* وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.
* وقوله تعالى: ﴿أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

والآيات في هذا الصدد كثيرة جداً.

* * *

س: ما نوع الاستفهام في قوله: ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ . . .﴾؟

ج: الاستفهام للإنكار.

* * *

س: اذكر آية نظير هذه الآية: ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾؟

ج: في معناها قول الله تبارك و تعالىٰ: ﴿**آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً**﴾.

* * *

س: لماذا قال: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ﴾ ولم يقل: (ما تعبدان)؟

ج: **ذلك، والله أعلم**: لأنه قصدهما ومن هم علىٰ شاكلتهما في عبادة غير الله تعالىٰ، وقال بعض أهل العلم: ذلك لأنه أراد من في السجن عمومًا.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾؟

ج: **ذلك، والله أعلم**: أنهم أطلقوا علىٰ أوثانهم وأصنامهم أسماء، ولا تمتّ هذه الأسماء لما تسمىٰ بها بصلة.

فسموا أوثانهم وأصنامهم آلهةً وأربابًا شركًا منهم وتشبيهًا لها بأسماء الله تعالىٰ، وليس لها في الحقيقة أي شيء من خصائص الألوهية ولا الربوبية، فهي أصنام ليس لها من الألوهية شيء إلا الاسم الذي أطلقوه عليها.

قال ابن القيم رحمه الله في «التفسير القيم»:

قول الله تعالىٰ ذكره: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا﴾:

. إنما عبدوا المسميات، ولكن من أجل أنهم نحلوها أسماء باطلة، كاللات والعزىٰ، وهي مجرد أسماء كاذبة باطلة لا مسمىٰ لها في الحقيقة، فإنهم سموها آلهة وعبدوها لاعتقادهم الإلهية لها، وليس لها من الإلهية إلا مجرد الأسماء لا حقيقة المسمىٰ، فما عبدوا إلا أسماء لا حقائق لمسمياتها، وهذا كمن سمىٰ قشور البصل لحمًا وأكلها، فيقال: ما أكلت من اللحم إلا اسمه لا مسماه، وكمن سمىٰ التراب خبزاً وأكله، يقال له: ما أكلت إلا اسم الخبز، بل هذا النفي أبلغ في آلهتهم، فإنه لا حقيقة لإلهيتها بوجه، وما الحكمة ثمَّ إلا مجرد الاسم.

فتأمل هذه الفائدة الشريفة في كلامه تعالىٰ.

* * *

س: وضح المراد بقوله: ﴿مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

سموها بأسماء لم يأذن لهم بتسميتها، ولا وضع لهم علىٰ أن تلك الأسماء أسماؤها دلالة ولا حجة، ولكنها اختلاق منهم لها وافتراء.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ﴾ كلمة «ذلك» عائدة على ماذا؟

ج: عائدة علىٰ التوحيد، وإفراد الله عز وجل بالعبادة.

* * *

س: هل استجاب الفتيان لدعوة يوسف عليه السلام إذ دعاهما إلى التوحيد؟

ج: لا يظهر من السياق أنهما ا ستجابا أو لم يستجيبا، فيحتمل أنهما استجابا له وانقادا، ويحتمل أنهما بقيا على شركهما، والله أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم: أن يوسف عليه السلام قال للساقي ما حاصله: إنك ستُردُّ إلى عملك الذي كنت عليه قبل دخولك السجن وستسقي الملك خمراً.

* * *

س: لماذا أبهم يوسف عليه السلام اسم من يسقي ربه خمراً؟

ج: ذلك لأمرين ذكرهما العلماء:

أحدهما: لكون ذلك كان مفهومًا.

الثاني: لكراهة التصريح للخباز بأنه الذي سيصلب، والله أعلم.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم: أن هذا الأمر الذي أخبرتكما به كتأويلٍ لرؤياكما واقع ومتحقق لا محالة.

* * *

س: من الآيات ما يدل على أن تأويل يوسف عليه السلام للرؤيا كان بوحي، اذكر ما يدل على ذلك.

ج: دليل ذلك قوله تعالى: ﴿**قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ**﴾.

* * *

س: هل «الظن» في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾ بمعنى اليقين أم بخلاف اليقين؟

ج: للعلماء في ذلك قولان:

أحدهما: أنه بخلاف اليقين، وهو قول قتادة كما عند الطبري، فقد قال[1]: وعبارة الرؤيا بالظن فيحق الله ما يشاء ويُبطل ما يشاء.

أما الطبري رحمه الله فقال:

وهذا الذي قاله قتادة من أن عبارة الرؤيا ظن، فإن ذلك كذلك من غير الأنبياء، فأما الأنبياء فغير جائز منها أن تخبر بخبر عن أمرٍ أنه كائنٌ ثم لا يكون، أو أنه غير كائن ثم يكون، مع شهادتها على حقيقة ما أخبرت عنه أنه كائن أو غير كائن؛ لأن ذلك لو جاز عليها في أخبارها لم يُؤمن مثل ذلك في كل أخبارها، وإذا لم يؤمن ذلك في أخبارها، سقطت حُجتها على من أرسلت إليه. فإذا كان ذلك كذلك كان غير جائزٍ عليها أن تخبر بخبرٍ إلا وهو حق وصدق.

فمعلومٌ إذا كان الأمر على ما وصفت، أن يوسف لم يقطع الشهادة على ما أخبر الفتيين اللذين استعبراه أنه كائن، فيقول لأحدهما: ﴿**أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي**

---

(١) الطبري (١٩٣١٠).

رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ﴾ ثم يؤكد ذلك بقوله: ﴿**قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ**﴾، عند قولهما: «لم نر شيئًا»، إلا وهو على يقين أن ما أخبرهما بحدوثه وكونه، أنه كائن لا محالة لا شك فيه، وليقينه بكون ذلك قال للناجي منهما: ﴿**اذكرني عند ربك**﴾ فبيِّنٌ إذًا بذلك فسادُ القول الذي قاله قتادة في معنى قوله: ﴿**وقال للذي ظن أنه ناج منهما**﴾.

* * *

س: وضح المراد بقوله: ﴿**اذْكُرْنِي عِند رَبِّك**﴾.

ج: المعنى المراد، والله أعلم: اذكرني عند سيدك، (الذي هو الملك) وأخبره بمظلمتي وأني محبوس بغير جُرمٍ.

* * *

س: استدل البعض بالآية الكريمة على جواز الاستعانة بالمشرك في بعض الأمور وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أن يوسف ﷺ قال للسجين ﴿**اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ**﴾ والسجين مشركٌ وربه (الذي هو سيده، أي الملك) مشركٌ أيضًا.

* * *

س: هل في قول يوسف عليه السلام: ﴿**اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ**﴾ما يناقض التوكل؟

ج: قال شيخ الإسلام[١]:

ليس في قوله: ﴿**اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ**﴾ ما يناقض التوكل؛ بل قد قال

(١) «المجموع» (١٥/ ١١٣).

يوسف: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ كما أن قول أبيه: ﴿لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ لم يناقض توكله؛ بل قال: ﴿وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

وأيضًا فيوسف قد شهد الله له أنه من عباده المخلصين، والمخلَص لا يكون مخلَصًا مع توكله علىٰ غير الله، فإن ذلك شرك، ويوسف لم يكن مشركًا لا في عبادته ولا توكله، بل قد توكل علىٰ ربه في فعل نفسه بقوله: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فكيف لا يتوكل عليه في أفعال عباده؟!

وقوله: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ مثل قوله لربه: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ فلما سأل الولاية للمصلحة الدينية لم يكن هذا مناقضًا للتوكل، ولا هو من سؤال الإمارة المنهي عنه، فكيف يكون قوله للفتىٰ: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ مناقضًا للتوكل وليس فيه إلا مجرد إخبار الملك به؛ ليعلم حاله ليتبين الحق، ويوسف كان من أثبت الناس.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾.

ج: في ذلك قولان لأهل العلم:

أحدهما: أنسىٰ الشيطان يوسف ذكر اللَّه تعالىٰ فلجأ في طلب الخلاص إلىٰ إنسان.

قال الطبري رحمه الله:

«وقوله: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ وهذا خبرٌ من الله جل ثناؤه عن

غفلةٍ عَرَضت ليوسف من قبل الشيطان، نسي لها ذكر ربه الذي لو به استغاث لأسرع بما هو فيه خلاصه، ولكنه زلَّ بها فأطال من أجلها في السجن حبسه، وأوجع لها عقوبته»، وأورد جملة آثار مرسلة يؤيد بها ما ذهب إليه، منها ما أورده عن عكرمة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لولا أنه - يعني يوسف - قال الكلمة التي قال، ما لبث في السجن طول ما لبث**».

ومنها ما أورده عن الحسن، قال: قال نبي الله ﷺ: «**رحم الله يوسف، لولا كلمته ما لبث في السجن طول ما لبث**» يعني بقوله: ﴿**اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ**﴾، قال: ثم يبكي الحسن فيقول: نحن إذا نزل بنا أمرٌ فزعنا إلىٰ الناس.

وثمَّ آثار أُخر أوردها الطبري رحمه الله، وذهب إلىٰ هذا القول فريق من المفسرين كذلك[١].

---

(١) قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالىٰ: ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ الضمير في «أنساه» فيه قولان: أحدهما: أنه عائد إلىٰ يوسف عليه السلام، أي: أنساه الشيطان ذكر الله عز وجل، وذلك أنه لما قال يوسف لساقي الملك - حين علم أنه سينجو ويعود إلىٰ حالته الأولىٰ مع الملك -: ﴿اذكرني عند ربك﴾ نسي في ذلك الوقت أن يشكو إلىٰ الله ويستغيث به، وجنح إلىٰ الاعتصام بمخلوق، فعوقب باللُّبث.

وأورد بعض الآثار ثم قال:

وقيل: إن الهاء تعود علىٰ الناجي، فهو الناسي، أي أنسىٰ الشيطانُ الساقي - أن يذكر يوسف لربه، أي لسيده وفيه حذف، أي: أنساه الشيطان ذكره لربه؛ وقد رجح بعض العلماء هذا القول فقال: لولا أن الشيطان أنسىٰ يوسف ذكر الله لما استحق العقاب باللبث في السجن؛ إذ الناسي غير مؤاخذ.

وأجاب أهل القول الأوّل بأن النسيان قد يكون بمعنىٰ الترك، فلما ترك ذكر الله ودعاه الشيطان إلىٰ ذلك عوقب. ردّ عليهم أهل القول الثاني بقوله تعالىٰ: ﴿وقال الذي نجا =

. . . .

منهما وادّكر بعد أُمَّة﴾ فدل على أن الناسي هو الساقي لا يوسف، مع قوله تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ فكيف يصح أن يضاف نسيانه إلى الشيطان، وليس له على الأنبياء سلطنة؟

قيل: أما النسيان فلا عصمة للأنبياء منه إلا في وجه واحد، وهو الخبر عن الله تعالى فيما يبلّغونه، فإنهم معصومون فيه؛ وإذا وقع منهم النسيان حيث يجوز وقوعه فإنه ينسب إلى الشيطان إطلاقًا، وذلك إنما يكون فيما أخبر الله عنهم، ولا يجوز لنا نحن ذلك فيهم، قال ﷺ: «نسي آدم فنسيت ذريتُه» وقال: «إنما أنا بشرٌ أنسى كما تَنسون».

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ وكانت هذه المقالة منه صادرة عن ذهول ونسيان عن ذكر الله بسبب الشيطان، فيكون ضمير المفعول في ﴿أنساه﴾ عائدًا إلى يوسف عليه السلام، هكذا قال أكثر المفسرين، ويكون المراد بربه في قوله ﴿ذكر ربه﴾ هو الله سبحانه، أي: أنسى الشيطان يوسف عليه السلام ذكر الله تعالى في تلك الحال. فقال للذي ظن أنه ناج منهما يذكره عند سيده ليكون ذلك سببًا لانتباهه على ما أوقعه من الظلم البيِّن عليه بسجنه بعد أن رأى من الآيات ما يدل على براءته، وذلك غفلة عرضت له عليه السلام، فإن الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر وإن كانت جائزة إلا أنه لما كان مقام يوسف عليه السلام أعلى المقامات، ورتبته أعلى الرتب وهي منصب النبوة والرسالة لا جَرَمَ صار مؤاخذًا بهذا القدر، فإن حسنات الأبرار سيئات المقرَّبين.

وذهب جماعة من المفسرين إلى أن الذي أنساه الشيطان ذكر ربه هو الذي نجا من الغلامين وهو الشرابي، والمعنى: أنسى الشرابيَّ الشيطانُ ذكر سيده، أي: ذكره لسيده فلم يبلّغ إليه ما أوصاه به يوسفُ عليه السلام من ذكره عند سيده، ويكون المعنى: فأنساه الشيطان ذكر إخباره بما أمره به يوسف عليه السلام مع خلوصه من السجن ورجوعه إلى ما كان عليه من القيام بسقي الملك.

وذكر نحواً مما قاله القرطبي ثم قال:

ويؤيد رجوع الضمير إلى يوسف عليه السلام ما بعده من قوله: ﴿فلبث في السجن بضع سنين﴾ ويؤيد رجوعه إلى الذي نجا من الغلامين قوله فيما سيأتي ﴿الذي نجا منهما وادكر بعد أُمَّة﴾.

. . . .

أما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيرجح أن الذي أنساه الشيطان ذكر ربِّه هو الذي نجا منهما، قال شيخ الإسلام(*) رحمه الله:

وقيل: بل الشيطان أنسى الذي نجا منهما ذكر ربه، وهذا هو الصواب، فإنه مطابق لقوله: ﴿اذكرني عند ربك﴾ قال تعالى: ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ والضمير يعود إلى القريب إذا لم يكن هناك دليل على خلاف ذلك، ولأن يوسف لم ينس ذكر ربه؛ بل كان ذاكرًا لربه.

وقد دعاهما قبل تعبير الرؤيا إلى الإيمان بربه، وقال لهما: ﴿يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.

وقال لهما قبل ذلك: ﴿لا يأتيكما طعام ترزقانه﴾ أي: في الرؤيا ﴿إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما﴾ يعني التأويل ﴿ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ فبذا يذكر ربه عز وجل، فإن هذا مما علمه ربه؛ لأنه ترك ملة قوم مشركين لا يؤمنون بالله، وإن كانوا مقرين بالصانع ولا يؤمنون بالآخرة واتبع ملة آبائه أئمة المؤمنين - الذين جعلهم الله أئمةً يدعون بأمره - إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فذكر ربه ثم دعاهما إلى الإيمان بربه.

ثم بعد هذا عبر الرؤيا فقال: ﴿يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرًا﴾ الآية، ثم لما قضى تأويل الرؤيا: ﴿قال للذي نجا منهما اذكرني عند ربك﴾ فكيف يكون قد أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه؟ وإنما أنسى الشيطان الناجي ذكر ربه، أي: الذكر المضاف إلى ربه والمنسوب إليه، وهو أن يذكر عنده يوسف، والذين قالوا ذاك القول قالوا: كان الأولى أن يتوكل على الله، ولا يقول: ﴿اذكرني عند ربك﴾. فلما نسي أن يتوكل على ربه، جوزي بلبثه في السجن بضع سنين.

(*) «مجموع الفتاوى» (١٥/ ١١٢).

الثاني: أنسى الشيطانُ الساقيَ الناجي ذكر أمر يوسف لملكهم، و يترجح هذا بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾.

ومما يرجحه أيضًا: أن الناسي لا يُعاقب، فقول من قال: إن يوسف عوقب بالسجن لنسيانه ذكرربه» قولٌ مدفوع.

ومما يرجح أن يوسف عليه السلام لم ينس ذكر ربه: قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾.

وقوله: ﴿ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ وقوله: ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ وما سوى ذلك من تذكيره لهما بالله عز وجل.

* * *

س: الأمور المهمة قد تنسى أيضًا وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أن بشارة يوسف عليه السلام لأحد الفتيين أمرٌ مهم جدًا، ومجالسة يوسف عليه السلام في السجن أمرٌ لا يُنسى ووصيته لا تنسى، ومع ذلك كله نسي الفتى أن يذكر أمر يوسف للملك.

* * *

وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ
سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ٤٣
قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤
وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ
فَأَرۡسِلُونِ ٤٥ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ
سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ
وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٤٦ قَالَ
تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا
قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ٤٧ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ
مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ٤٨ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ
عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ٤٩ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي
بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ
ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠ قَالَ
مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ
مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ
ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١ ذَٰلِكَ
لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢

۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ
رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ
لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ
ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ
بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ
ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

عِجَاف ـ الملأ ـ تعبرون ـ أضغاث ـ ادّكر ـ بعد أمة ـ الصدِّيق ـ دأبًا ـ ذروه ـ شدادٌ ـ تحصنون ـ يُغاث الناس ـ ما بال ـ ما خطبكن ـ سوء ـ حصحص ـ بالغيب ـ لا يهدي كيد الخائنين ـ أستخلصه لنفسي ـ لدينا مكينٌ ـ أمينٌ ـ خزائن الأرض ـ حفيظ ـ عليم ـ مكنا ـ يتبوأ منها حيث يشاء ـ نصيب برحمتنا.

ج:

الكلمة	معناها
عجاف	هزالٌ ـ ضِعافٌ.
الملأ	الأشراف ـ الأعيان من رجال الدولة.
تعبرون	تُفسِّرون ـ تؤولون.
أضغاث	أخلاط (يريدون أنها رؤية كاذبة لا حقيقة لها).
ادّكر	تذكَّر ـ ذُكِّر.
بعد أمة	بعد زمنٍ من النسيان.
الصديق	كثير الصدق.
دأبًا	متتابعة متتالية ـ والدأب العادة، والمعنى: تزرعون سبع سنين كعادتكم فتنبت الأرض.
ذروه	اتركوه ـ لا تدرسوه (لا تفصلوا الحَبَّ عن التبن).
شداد	قاسيةٌ لما فيها من الجدب.

تحصنون	تدخرون ـ تضعون في الحصون ـ تُخزِّنون ـ تحفظون. والإحصان: الوضع في الحصن.
يغاث الناس	يصيبهم ربهم بالغيث.
ما بال	ما شأن.
ما خطبكن	ما شأنكن ـ ما أمركن ـ ماذا كان منكن. والخطب: الشأن العظيم.
سوء	السوء ما يُسيئ إلى صاحبه.
حصحص	تبين وانكشف وظهر بعد خفائه.
بالغيب	في حال غيابي عنه.
لا يهدي كيد	لا يسدده ولا يوفقه ولا ينفذه ولا يمضيه.
الخائنين	لا يهديهم بسبب كيدهم ـ لا يهديهم في كيدهم.
أستخلصه لنفسي	أجعله من خلصائي وأهل مشورتي.
لدينا	عندنا.
مكينٌ	ذو مكانةٍ ـ متمكنٌ مما أردت تفعل ما تشاء.
أمين	أمين على أسرارنا، أمين على ما استؤمنت عليه
خزائن الأرض	خزائن الدولة.
حفيظ	حافظ لما استودعتني ـ حافظ للحساب.
عليم	ذو علم وبصيرة بتدبير الأمور. عليم أيضًا بسنوات المجاعة، وعليم بالألسن.
مكنا	وطّأنا.

يتبوأ منها حيث يشاء	ينزل ويحل حيث أراد . يتخذ منها منزلاً في أي مكان أراد .
نصيب برحمتنا	نتفضل بإحساننا ونعمتنا ـ نحسن إليهم برحمتنا ، وإحسانُنا من رحمتنا .

* * *

س: من هذا الملك الذي رأى الرؤيا؟

ج: هو ملك مصر آنذاك، وقد كان العزيز يعمل وزيراً عنده، وقد سماه كثير من المفسرين: الريانّ بن الوليد، فالله أعلم.

* * *

س: قال الملك: ﴿إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ...﴾ ولم يذكر أنه رأى ذلك في رؤيا منامية، فمن أين استفيد أنه رأى ذلك في منامه؟

ج: استفيد ذلك من رد السامعين إذ قالوا: ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ واستفيد أيضًا من نفس السياق، والمخاطب إذا كان يفهم مضمون الكلام استُغني عن ذكر التفاصيل له.

أما الإمام الطبري رحمه الله فقال:

يعني جل ذكره بقوله: وقال ملك مصر: إني أرىٰ في المنام سبع بقرات سمانٍ يأكلهن سبعٌ من البقر عجاف، وقال: «إني أرىٰ»، ولم يذكر أنه رأىٰ في منامه ولا في غيره، لتعارف العرب بينها في كلامها إذا قال القائل منهم: «أرىٰ أني أفعل كذا وكذا» أنه خبر عن رؤيته ذلك في منامه، وإن لم يذكر النوم، وأخرج الخبر جل ثناؤه علىٰ ما قد جرىٰ به استعمال العرب ذلك بينهم.

* * *

س: في رؤيا الملك أمرٌ غريب يلفت النظر، وضح هذا الأمر.

ج: إيضاحه: أن السبع بقرات العجاف (النحيفة الهزيلة الضعيفة) تأكل السبع السمان القوية الشديدة.

* * *

س: جمع الملأُ في جوابهم على الملك ثلاث خصـالٍ مذمومة، بيِّن هذه الخصال.

ج: من هذه الخصال ما يلي:

أولاً: الجهل إذ لم يعلموا تفسير الرؤيا.

ثانيًا: الجزم - بغير علم - بأنها أضغاث أحلام.

ثالثًا: الزهو والإعجاب بالنفس، فلم يقولوا: لا نعلم تأويلها، بل اغتروا اغترارًا بأنفسهم إذ قالوا: ﴿**وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ**﴾ أي لو كانت رؤيا لأولناها، ولكن لكونها أضغاث أحلام من الشياطين فإنا لا نعبرها.

* * *

س: من فضل الله على نبيه يوسف ﷺ أن الرؤيا عُرضت على الملأ أولاً فلم يستطيعوا تأويلها، وضح وجه هذا الفضل.

ج: **قال السعدي رحمه الله في «تيسير الكريم المنان»:**

ثم قالوا: ﴿**وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ**﴾ أي: لا نعبر إلا الرؤيا. وأما الأحلام - التي هي من الشيطان، أو من حديث النفس - فإنا لا نعبرها، فجمعوا بين الجهل والجزم بأنها أضغاث أحلام، والإعجاب بالنفس، بحيث إنهم لم يقولوا: لا نعلم تأويلها، وهذا من الأمور التي لا تنبغي لأهل الدين والحجا.

وهذا أيضًا من لطف الله بيوسف عليه السلام، فإنه لو عبرها ابتداء - قبل أن يعرضها على الملأ من قومه وعلمائهم، فيعجزوا عنها - لم يكن لها ذلك الموضع.

ولكن لما عرضها عليهم، فعجزوا عن الجواب ـ وكان الملك مهتمًا لها، غاية الاهتمام، فعبرها يوسف ـ وقعت عندهم موقعًا عظيمًا، وهذا نظير إظهار الله فضل آدم على الملائكة بالعلم، بعد أن سألهم، فلم يعلموا، ثم سأل آدم، فعلمهم أسماء كل شيء، فحصل بذلك زيادة فضله.

وكما يظهر فضل أفضل خلقه محمد ﷺ في القيامة، أن يلهم الله الخلق أن يتشفعوا بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى عليهم السلام، فيعتذرون عنها، ثم يأتون محمداً ﷺ فيقول: «**أنا لها أنا لها**» فيشفع في جميع الخلق، وينال ذلك المقام المحمود، الذي يغبطه به الأولون والآخرون، فسبحان من خفيت ألطافه، ودقَّت في إيصاله البر والإحسان إلى خواص أصفيائه وأوليائه.

* * *

س: اذكر بعض معاني كلمة (أمة).

ج: من معاني كلمة أمة ما يلي:

جماعة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾.

الإمام: قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾.

ملة: لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾.

مدة ـ زمن: لقوله تعالى: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾.

* * *

س: هناك آداب تُستفاد من تفسير يوسف عليه السلام لرؤيا الملك وضح بعض هذه الآداب.

ج: من هذه الآداب ما يلي:

أولاً: عدم تعنيف يوسف عليه السلام للناجي من السجينين لكونه لم يذكر شأن يوسف للملك، إذ قال له: «اذكرني عند ربك»، ولم يفعل.

ثانيًا: عدم اشتراط يوسف أجرًا على تأويل الرؤيا.

ثالثًا: عدم اشتراط يوسف الخروج قبل تفسير الرؤيا.

* * *

س: ما تأويل السبع بقرات السمان والسبع العجاف؟

ج: أما السبع السمان: فهي سبع سنين مخصبة تخرج الأرض فيها ثمرها.

أما السبع العجاف: فهي سنون الجدب التي لا تنبت الأرض فيها شيئًا.

* * *

س: قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يعلمون ماذا؟

ج: يعلمون مكانك من الفضل والعلم، ويعلمون تعبير الرؤيا.

* * *

س: هل يمكن أن تتحقق رؤيا الكافر؟

ج: نعم يمكن ذلك، فقد تحققت رؤيا صاحبي السجن، وتحققت رؤيا الملك.

قال القرطبي رحمه الله:

هذه الآية أصل في صحة رؤيا الكافر، وأنها تُخرَّج على حسب ما رأى، لا سيما إذا تعلقت بمؤمن؛ فكيف إذا كانت آية لنبيّ، و معجزة لرسول، وتصديقًا لمصطفىً للتبليغ، وحجة للواسطة بين الله - جل جلاله - وبين عباده.

* * *

س: في تعبير يوسف عليه السلام للرؤيا إجابةٌ للسائل بأكثر مما سأل وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أنه أرشدهم إلى العلاج ولم يسألوه ذلك، فقال لهم: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ...﴾.

فهي مشورة أشار بها عليهم نبي الله يوسف ﷺ، ونصيحة نصحهم بها.

وكذلك قوله لهم: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ ولم يسألوه عن ذلك، فهذه زيادة على ما في هذه الرؤيا التي رآها الملك.

وقد صح عن قتادة[١] عند الطبري أنه قال: (وفيه يعصرون) قال: يعصرون الأعناب والزيتون والثمار من الخصب، هذا علم آتاه الله يوسف لم يُسأل عنه.

* * *

---

(١) الطبري (١٩٣٨٩) وسنده حسن.

س: لماذا قال يوسف عليه السلام ﴿فَمَا حصدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُله﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: ذلك لئلاَّ يُسوَّس (يدخله السوس)، وكذلك: فالتبن علفٌ لدوابهم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يأْكُلْنَ ما قدَّمْتُمْ لهُنَّ﴾؟ وهل توصف السنون بأنها تأكل؟

ج: المعنى: يؤكل فيهن ما ادخرتم في السبع سنوات الخصيبة.

قال الطبري رحمه الله:

وقال جل ثناؤه: ﴿يَأْكُلْنَ﴾، فوصف السنين بأنهن «يأكلن»، وإنما المعنى: أن أهل تلك الناحية يأكلون فيهن، كما قيل:

نَهَارك يا مغرورُ سَهْوٌ وغفلةٌ ... وليلُكَ نومٌ والرَّدَى لك لازِمُ

فوصف النهار بالسهو والغفلة، والليل بالنوم، وإنما يسهىٰ في هذا، ويغفل فيه، وينام في هذا، لمعرفة المخاطبين بمعناه والمراد منه.

* * *

س: ما مناسبة قول النبي ﷺ: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف»؟ وما وجه هذا الدعاء؟

ج: مناسبة ذلك تتضح مما أخرجه البخاري[1] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إنَّ قريشًا لما أبطأوا عن رسول الله ﷺ بالإسلام قال: «**اللهم اكفنيهم بسبع كسبع يوسف**»، فأصابتهم سنةٌ حصَّت كل شيء، حتىٰ

(١) البخاري (حديث ٤٦٩٣).

أكلوا العظام، حتى جعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها مثل الدخان، قال الله: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠]، قال الله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥]، أفيشكف عنهم العذاب يوم القيامة وقد مضى الدخان ومضت البطشة».

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ يغاثون بماذا؟ ويعصرون ماذا؟

ج: يُغاثون بالمطر، ويعصرون كل ما يعصر، فيعصرون العنب، ويعصرون الزيتون، ويعصرون السمسم. ومن العلماء من قال: «يعصرون» معناها: يحلبون.

* * *

س: كيف استدل يوسف عليه السلام على العام الخصيب مع أنه لا ذكر له في الرؤيا؟

ج: لأنه، والله أعلم: علم أن الشِّداد إنما هي سبع فقط، فمن ثم سيتلوها عام خصيب.

ووجه آخر من أوجه الإجابة: أن الله سبحانه أعلمه بذلك.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾، يقول: فلما جاءه رسول الملك يدعوه

إلىٰ الملك، ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ ، يقول: قال يوسف للرسول: ارجع إلىٰ سيدك، ﴿فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ وأبىٰ أن يخرج مع الرسول وإجابة الملك، حتىٰ يعرف صحة أمره عندهم مما كانوا قرفوه به من شأن النساء، فقال للرسول: سل الملك: ما شأن النسوة اللاتي قطعن أيديهن؟ والمرأة التي سُجنتُ بسببها؟

* * *

س: وضح معنى ما ورد عن النبي ﷺ إذ قال: «لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي».

ج: ابتداءً فالحديث أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يرحم الله لوطًا لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبتُ الداعي، ونحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال له ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾».

والحديث فيما يبدو لي، يحمل ثناءً علىٰ نبي الله يوسف عليه السلام لصبره وكرمه وتأنيه في الخروج من السجن حتىٰ تثبت براءته. والله أعلم.

* * *

س: لماذا تأخر يوسف ﷺ عن الخروج من السجن؟

ج: ذلك؛ والله أعلم: لأنه لو خرج قبل أن يعلم الملك أمره لم يزل في نفس العزيز منه شيءٌ يقول في نفسه: هذا الذي خانني في أهلي وراود

---

(١) أخرجه البخاري في مواطن من «صحيحه» (٤٦٩٤).

امرأتي الآن خرج من السجن.

وأيضًا؛ كي يدفع يوسف عليه السلام الشبهة عن نفسه.

* * *

س: لماذا امتنع يوسف ﷺ من الخروج لأولِ داع دعاه، وقال: ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ﴾؟

ج: ذلك، والله أعلم، كي يدفع الشبهة عن نفسه، وكي يظهر براءته أمام الملك وأما الناس، وكي يطمئن خاطر العزيز أيضًا تجاهه، ثم قد يتقلد منصبًا وصاحب المنصب ينبغي أن يكون عفيفًا نزيهًا، فقد يوشي به الحاسدون عند الملك ويتخذون ما نسب إليه من مراودة امرأة العزيز عن نفسها سُلمًا للطعن فيه، والحط من منزلته ومرتبته ومكانته.

* * *

س: قول امرأة العزيز: ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ من الصادقين في ماذا؟

ج: من الصادقين في أقوالهم، وفي قوله أيضًا: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾.

* * *

س: من سياق الآيات يُستفاد أن الملوك لا تعرف كل الأشياء عن الرعية وضح ذلك؟

ج: إيضاحه: أن الملك لم يكن يعلم تفاصيل الأمور التي تحدث بين امرأة العزيز ويوسف عليه السلام، ولم يعلم بحديث النسوة في المدينة وحقيقة هذا الأمر ووجه الصواب فيه حتى سألهن عن ذلك.

* * *

س: من القائل: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن قائل ذلك هو يوسف عليه السلام، فكأن الخطاب قد تحول فبعد أن كانت المرأة تتحدث بلغ حديثها يوسف عليه السلام، فقال ذلك (أي الذي طلبته من استبيان الأمر والوقوف على حقيقته)، ليس لمجرد الطعن في امرأةٍ وفضيحتها، فليس هذا من شأني، ليس من شأني أن أفضح امرأةً أكرمت مثواي هي وزوجها، ليس من شأني الخوض في القيل والقال، و إنما ليعلم زوجها أني لم أخنه في امرأته وهو غائب عني.

فهذا تحولٌ في الخطاب فكانت المرأة تتكلم، ثم تحول الحديث إلى يوسف عليه السلام وهذا كقوله تعالى (على تفسير بعض المفسرين): ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس:٥٢] فتقول الملائكة: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس:٥٣]، وكقوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

والثاني: أن قائل ذلك هي المرأة، إذ هو استطراد لقولها، وهي بقولها هذا تظهر الاحترام والإجلال والتقدير لشخصٍ بريءٍ متعفف عن الحرام، مع أنه لم يطاوعها على ما أرادت من ارتكاب الفاحشة.

فسبحان الله؛ كيف قيض الله سبحانه وتعالى ليوسف من يدافع عنه في غيابه؟! ومن هذا المدافع؟ إنها المرأة التي كانت يومًا ما تقول: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وسبحان من قيض له نسوة كن يراودنه عن نفسه فيقلن بعد ذلك: ﴿حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾.

وهذه بعض أقوال أهل العلم في بيان قائل: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾.

قال الطبري رحمه الله:

يعني بقوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾، هذا الفعل الذي فعلتُه، من ردي رسول الملك إليه، وتركي إجابته والخروج إليه، ومسألتي إياه أن يسأل النسوة اللاتي قطعن أيديهن عن شأنهن إذ قطعن أيديهن، إنما فعلته ليعلم أني لم أخنه في زوجته «﴿بِالْغَيْبِ﴾»، يقول: لم أركب منها فاحشةً في حال غيبته عني. وإذا لم يركب ذلك بمغيبه فهو في حال مشهده إياه أحرىٰ أن يكون بعيدًا عن ركوبه.

وذكر جملة من الآثار ثم قال رحمه الله:

واتصل قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾، بقول امرأة العزيز: ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾، لمعرفة السامعين لمعناه، كاتصال قول الله: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، بقول المرأة: ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ [النمل: ٣٤]، وذلك أن قوله: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ خبر مبتدأ، وكذلك قول فرعون لأصحابه في سورة الأعراف: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾، وهو متصل بقول الملأ: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الأعراف: ١١٠].

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾، اختلف فيمن قاله، فقيل: هو من قول امرأة العزيز، وهو متصل بقولها: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ أي أقررت بالصدق ليعلم أني لم أخنه بالغيب أي: بالكذب عليه،

ولم أذكره بسوء وهو غائب، بل صدقت وحدت عن الخيانة، ثم قالت: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ﴾ بل أنا راودته، وعلىٰ هذا هي كانت مقرة بالصانع، ولهذا قالت: ﴿ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

وقيل: هو من قول يوسف؛ أي: قال يوسف: ذلك الأمر الذي فعلته، من رد الرسول ﴿ لِيَعْلَمَ ﴾ العزيز ﴿ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾. قاله الحسن وقتادة وغيرهما. ومعنىٰ «بالغيب»: وهو غائب.

وإنما قال يوسف ذلك بحضرة الملك، وقال: «ليعلم» علىٰ الغائب توقيراً للملك. و قيل: قاله إذ عاد إليه الرسول وهو في السجن بعدُ.

قال ابن عباس: جاء الرسول إلىٰ يوسف عليه السلام بالخبر وجبريل معه يحدثه؛ فقال يوسف: ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ أي: لم أخُن سيدي بالغيب؛ فقال له جبريل عليه السلام: يا يوسف! ولا حين حللتَ الإزار، وجلستَ مجلس الرجل مع المرأة؟! فقال يوسف: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ﴾ الآية.

وقال السدي: إنما قالت له امرأة العزيز: ولا حين حلَلت سراويلك يا يوسف؟! فقال يوسف: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ﴾. وقيل: ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ ﴾ من قول العزيز؛ أي: ذلك ليعلم يوسف أني لم أخنه بالغيب، وأني لم أغفل عن مجازاته علىٰ أمانته ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾. معناه: أن الله لا يهدي الخائنين بكيدهم. ا. هـ.

وذهب الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالىٰ إلىٰ أن قائلة ذلك هي امرأة العزيز. وانتصر لذلك بأمرين:

أحدهما: أن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك.

والثاني: أن يوسف عليه السلام لم يكن موجوداً عندهم بل أحضره الملك بعد ذلك.

قال رحمه الله:

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ تقول: إنما اعترفتُ بهذا على نفسي ليعلم زوجي أني لم أخنه بالغيب في نفس الأمر ولا وقع المحذور الأكبر، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع، فلهذا اعترفت ليعلم أني بريئة ﴿وأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ تقول المرأة: ولست أبرئ نفسي؛ فإن النفس تتحدث وتتمنى ولهذا راودته؛ لأنها أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، أي: إلا من عصمه الله تعالى ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام، وقد حكاه الماوردي في «تفسيره» وانتدب لنصره الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية، رحمه الله، فأفرده بتصنيف على حدة.

ثم ذكر رحمه الله فحوى الذي قدمناه عنه.

* * *

س: إذا سلمنا أن قائلة: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ هي امرأة العزيز، فإلى ماذا يعود الضمير في قولها ﴿أَخُنْهُ﴾؟

ج: في ذلك أيضًا قولان:

أشهرهما: أن الضمير يعود إلى يوسف ﷺ، أي أنها تقول ذلك ليعلم يوسف أني لم أشهد عليه شهادة باطل في غيابه.

والثاني: ذلك ليعلم زوجي أني لم أخنه في غيابه، وهذا الأخير ضعيف، والله أعلم.

* * *

س:وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم: أن الله لا يُسدد صنيع من خان الأمانات، ولا يرشد فعالهم التي خانوا فيها.

فخيانة الخائن تعود على نفسه، ومكره يحيق به، وأمره لا بد وأن يتبين.

* * *

س: هل كانت المرأة تعرف الله، وتعرف أن الزنا ذنبٌ حتى قالت: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾؟

ج: نعم، كان عند هذه المرأة بعض العلم بالله سبحانه، وقد دلَّ على ذلك ما يلي:

* قول النسوة لما رأين يوسف عليه السلام: ﴿ حَاشَ لِلَّهِ ﴾.

* قول العزيز لزوجتهك: ﴿ واستغفري لذنبك ﴾.

* قول المرأة - على أحد التفاسير -: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾.

* قول المرأة (على تفسير من فسر أن ذلك قولها) ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

ثم ذكرت ما يقتضي طلب المغفرة والرحمة، فقالت: إن ربي غفور رحيم.

فإن قيل: فهذا كلام من يقر بأن الزنا ذنب، وأن الله قد يغفر لصاحبه.

قلت: نعم، والقرآن قد دل على ذلك، حيث قال زوجها: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾ فأمره لها بالاستغفار لذنبها دليل أنهم كانوا يرون ذلك ذنبًا ويستغفرون منه، وإن كانوا مع ذلك مشركين، فقد كانت العرب مشركين وهم يحرمون الفواحش، ويستغفرون الله منها.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ من قائله؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن قائل هذا هو يوسف ﷺ، وهو الذي اختاره الطبري رحمه الله، وحكاه ولم يورد شيئًا سواه وأورد هناك أيضًا جملة من الآثار مؤداها أن يوسف عليه السلام لما قال: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ قال له الملكُ - وفي بعض الروايات جبريل - ولا حين هممت بما هممت به؟ فقال: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي..﴾.

* أما الحافظ ابن كثير فذهب إلى أن قائلة ذلك هي امرأة العزيز، وقد قدمنا قوله قريبًا.

أما ابن القيم رحمه الله فقد قال:

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾: فإن قيل: فكيف قال وقت ظهور براءته: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾؟

قيل: هذا قد قاله جماعة من المفسرين، وخالفهم في ذلك آخرون أجلُّ منهم، وقالوا: إن هذا من قول امرأة العزيز، لا من قول يوسف عليه السلام.

* والصواب معهم من وجوه:

أحدها: أنه متصل بكلام المرأة، وهو قوله: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ۝ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ...﴾ ومن جعله من قوله فإنه يحتاج إلى إضمار قول لا دليل عليه في اللفظ بوجه ما. والقول في مثل هذا لا يحذف لئلا يوقع في اللبس، فإن غايته أن يحتمل الأمرين، فالكلام الأول أولى به قطعًا.

والثاني: أن يوسف عليه السلام لم يكن حاضرًا وقت مقالتها هذه، بل كان في السجن لما تكلمت بقولها: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ والسياق صحيح صريح في ذلك. فإنه لما أرسل إليه الملك يدعوه قال للرسول: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾؟ فأرسل إليهن الملك وأحضرهن، وسألهن، وفيهن امرأته، فشهدن ببراءته ونزاهته في غيبته، ولم يمكنهن إلا قول الحق، فقال النسوة: ﴿حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾، وقالت امرأة العزيز: ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

فإن قيل: لكن قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ الأحسن أن يكون من كلام يوسف عليه السلام، أي: إنما كان تأخيري عن الحضور مع رسوله ليعلم الملك أني لم أخنه في امرأته في حال غيبته، وأن اللّه لا يهدي كيد الخائنين. ثم إنه ﷺ قال: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وهذا من تمام معرفته ﷺ بربه ونفسه. فإنه لما أظهر نزاهته وبراءته مما قذف به أخبر عن

حال نفسه، وأنه لا يزكيها ولا يبرئها، فإنها أمارة بالسوء، لكن رحمة ربه وفضله هو الذي عصمه. فرد الأمر إلىٰ اللَّه بعد أن أظهر براءته.

قيل: هذا وإن كان قد قاله طائفة. الصواب أنه من تمام كلامها، ولكن كون الضمائر كلها في نسق واحد يدل عليه. وهو قوله النسوة: ﴿**مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ**﴾، وقول امرأة العزيز: ﴿**أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ هذه خمسة ضمائر بين بارز ومستتر، ثم اتصل بها قوله: ﴿**ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ**﴾ فهذا هو المذكور أولاً بعينه، فلا شيء يفصل الكلام من نظمه، ويُضمَر فيه قول لا دليل عليه.

فإن قيل: فما معنىٰ قولها: ﴿**لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ**﴾؟

قيل: هذا من تمام الاعتذار، قرنت الاعتذار بالاعتراف، فقالت ذلك، أي: قولي هذا وإقراري ببراءته؛ ليعلم أني لم أخنه بالكذب عليه في غيبته، ثم اعتذرت عن نفسها بقولها: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي**﴾ ثم ذكرت السبب الذي لأجله لم تبرئ نفسها وهو أن النفس أمارة بالسوء.

فتأمل ما أعجب أمر هذه المرأة، أقرت بالحق واعتذرت عن محبوبها، ثم اعتذرت عن نفسها، ثم ذكرت السبب الحامل لها علىٰ ما فعلت، ثم ختمت ذلك بالطمع في مغفرة اللَّه ورحمته، وأنه إن لم يرحم عبده وإلا فهو عرضة للشر.

فوازن بين هذا وبين تقدير كون هذا الكلام كلام يوسف عليه السلام لفظًا ومعنىٰ، وتأمل ما بين التقديرين من التفاوت، ولا يستبعد أن تقول المرأة هذا وهي علىٰ دين الشرك؛ فإن القوم كانوا يقرون بالرب سبحانه وتعالىٰ وبحقه، وإن أشركوا معه غيره. ولا تنس قول سيدها لها في أول الحال:

﴿ واسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ .

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ ما رحِم ربِّي ﴾.

ج: قال الطبري رحمه اللَّه[1]:

يقول يوسف صلوات اللَّه عليه: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ﴾ من الخطأ والزلل فأزكيها؛ ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ يقول: إن النفوس نفوسَ العبادِ، تأمرهم بما تهواه، وإن كان هواها في غير ما فيه رضىٰ اللَّه.

﴿ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾: يقول: إلا أن يرحم ربي من شاء من خلقه، فينجيه من اتباع هواه وطاعتها فيما تأمره به من السوء ﴿ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

* * *

س: هل كل الأنفس أمارةٌ بالسوء؟

ج: ليست كل النفوس أمارة بالسوء، فما رحم اللَّه من النفوس ليست بأمارة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه[2]:

إن في الكلام المحكي الذي أقره اللَّه تعالىٰ: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ وهذا يدل علىٰ أنه ليس كل نفس أمارة بالسوء؛ بل ما رحم ربي ليس فيه النفس الأمارة بالسوء.

---

(١) وهذا اختياره أن قائل ذلك هو يوسف ﷺ.

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١٥/ ١٤٣).

وقد ذكر طائفة من الناس أن النفس لها ثلاثة أحوال: تكون أمارة بالسوء، ثم تكون لوَّامة، أي: تفعل الذنب ثم تلوم عليه، أو تتلوم فتتردد بين الذنب والتوبة، ثم تصير مطمئنة.

والمقصود هنا: أن ما رحم ربي من النفوس ليست بأمَّارة(1).

***

س: تبينت للملك جملة أمور في شأن يوسف عليه السلام، ومن ثمَّ قال: ﴿ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾. وضح بعض هذه الأمور.

ج: من هذه الأمور التي تبينت للملك في شأن يوسف ما يلي:

*علم يوسف ﷺ بتأويل الرؤيا، وتدبير الأمور.

*براءة يوسف ﷺ ونزاهته وحرصه علىٰ إظهار براءته حتىٰ يخرج نزيهًا مما هو فيه.

*تثبت يوسف ﷺ وتأنيه في الأمور؛ فلم يبادر بالخروج من السجن بل قال متأنيًا متريثًا: ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾.

*ثقة يوسف ﷺ في اللَّه ثم في نفسه، وذلك في قوله: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ وتذكيره باللَّه الحين بعد الحين، بل وكلما وجد إلىٰ ذلك سبيلاً.

*علامات الوقار وحسن الحديث، إذ اللَّه قال: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾.

***

(1) ذكر ذلك في بيان أن قائل ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ هي امرأة العزيز.

س: ما المراد بخزائن الأرض؟

ج: **المـــراد:** خزائن الطعام وعموم الخزائن، وقد أورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد أنه قال: كان لفرعون خزائن كثيرة غير الطعام، فأسلم سلطانه كلَّه إليه، وجعل القضاء إليه، أمره وقضاؤه نافذ.

* * *

س: هل يجوز لشخص أن يسأل الإمارة؟

ج: ابتداءً؛ فقد ورد عن رسول اللَّه ﷺ النهي عن سؤال الإمارة فقال عليه الصلاة والسلام لعبد الرحمن بن سمرة: «**يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وُكلت إليها، وإن أُعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها**».

وفي الحديث الآخر قال عليه الصلاة والسلام: «**إنا لا نولي هذا الأمر أحدًا سأله**».

لكن إن كانت هناك مصلحة راجحة تستلزم سؤال الإمارة كأن يكون هناك أميرٌ ظالم غشوم يظلم العباد ويسلبهم أموالهم، وطلب شخص الإمارة للقيام بالعدل ورد المظالم إلىٰ أهلها؛ فلا بأس بسؤال الإمارة في هذه الحال.

وكذلك إذا كان ثمَّ شخص يريدُ إقامة الدين والحق وسأل الإمارة لذلك فلا بأس، وقد قال يوسف عليه السلام: ﴿**اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾.

أما إذا سأل شخص الإمارة تكثرًا وتعاليًا وكبرًا ورياءً؛ فهذا السؤال يحرم عليه ولا يجوز له، وهذه بعض أقوال أهل العلم في ذلك:

قال القرطبي رحمه اللَّه في تفسير قول يوسف عليه السلام: ﴿**اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾:

ودلت الآية أيضًا علىٰ جواز أن يطلب الإنسان عملاً يكون له أهلاً؛ فإن قيل: فقد روىٰ مسلم عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «**يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وُكِلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها**».

وعن أبي بُردة قال: قال أبو موسىٰ: أقبلت إلىٰ النبي ﷺ ومعي رجلان من الأشعريين، أحدهما عن يميني والآخر عن يساري، فكلاهما سأل العمل، والنبي ﷺ يستاك، فقال: «**ما تقول يا أبا موسى - أو: يا عبد اللَّه بن؟**». قال: قلت: والذي بعثك بالحق ما أطلعاني علىٰ ما في أنفسهما، وما شعرت أنهما يطلبان العمل.

قال: وكأني أنظر إلىٰ سِواكه تحت شفته وقد قلصت، فقال: «**لن - أو - لا نستعمل على عملنا من أراده**» وذكر الحديث؛ خرجه مسلم أيضًا وغيره.

فالجواب:

أولاً: أن يوسف عليه السلام إنما طلب الولاية لأنه علم أنه لا أحد يقوم مقامه في العدل والإصلاح، وتوصيل الفقراء إلىٰ حقوقهم، فرأىٰ أن ذلك فرض متعين عليه فإنه لم يكن هناك غيره.

وهكذا الحكم اليوم، لو علم إنسان من نفسه أنه يقوم بالحق في القضاء أو الحسبة ولم يكن هناك من يصلح ولا يقوم مقامه لتعيّن ذلك عليه، ووجب أن يتولاها ويسأل ذلك، ويخبر بصفاته التي يستحقها به من العلم والكفاية

وغير ذلك، كما قال يوسف عليه السلام.

فأما لو كان هناك من يقوم بها ويصلح لها وعلم بذلك فالأولى ألا يطلب؛ لقوله عليه السلام لعبد الرحمن: **«لا تسأل الإمارة»**.

وأيضًا فإن في سؤالها والحرص عليها مع العلم بكثرة آفاتها وصعوبة التخلص منها دليلاً على أنه يطلبها لنفسه ولأغراضه، ومن كان هكذا يوشك أن تغلب عليه نفسه فيهلك؛ وهذا معنى قوله عليه السلام: **«وكل إليها»** ومن أباها لعلمه بآفاتها، ولخوفه من التقصير في حقوقها فرَّ منها، ثم إن ابتُلِي بها فيرجى له التخلص منها، وهو معنى قوله: **«أعِينَ عليها»**.

الثاني: أنه لم يقل: إني حسيب كريم، وإن كان كما قال النبي ﷺ: **«الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم»**. ولا قال: إني جميل مليح، إنما قال: ﴿**إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ فسألها بالحفظ والعلم، لا بالنسب والجمال.

الثالث: إنما قال ذلك عند من لا يعرفه فأراد تعريف نفسه، وصار ذلك مستثنى من قوله تعالى: ﴿**فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ**﴾.

الرابع: أنه رأى ذلك فرضًا متعينًا عليه؛ لأنه لم يكن هنالك غيره، وهو الأظهر، والله أعلم.

ودلت الآية أيضًا على أنه يجوز لإنسان أن يصف نفسه بما فيه من علم وفضل؛ قال الماوردي: وليس هذا على الإطلاق في عموم الصفات، ولكنه مخصوص فيما اقترن بوصله، أو تعلق بظاهر من مكسب، وممنوع منه فيما سواه، لما فيه من تزكية ومراءاة، ولو ميزه الفاضل عنه لكان أليق بفضله؛ فإن يوسف دعته الضرورة إليه لما سبق من حاله، ولما يرجو من الظَّفر بأهله.

وقال صديق حسن خان في تفسير قوله تعالى: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾:

طلب يوسف عليه السلام منه ذلك ليتوصل به إلىٰ نشر العدل، ورفع الظلم، ويتوصل به إلىٰ دعاء أهل مصر إلىٰ الإيمان باللَّه وترك عبادة الأوثان.

وفيه دليل علىٰ أنه يجوز لمن وثق من نفسه إذا دخل في أمر من أمور السلطان أن يرفع منار الحق ويهدم ما أمكنه من الباطل أن يطلب ذلك لنفسه، ويجوز له أن يصف نفسه بالأوصاف التي لها؛ ترغيبًا فيما يرومه وتنشيطًا لمن يخاطبه من الملوك بإلقاء مقاليد الأمور إليه وجعلها منوطة به.

ولكنه يعارض هذا الجواز ما ورد عن النبي ﷺ من النهي عن طلب الولاية والمنع من تولية من طلبها أو حرص عليها، وكان يوسف عليه السلام طلبها ابتغاء لوجه اللَّه لا لحب الملك والدنيا؛ وبهذا يجمع بينهما.

* * *

س: هل يجوز لشخصٍ أن يُزكي نفسه[١]؟

ج: نعم، يجوز ذلك في بعض الأحيان[٢]، إذا كان يُرغِّب الناس في الخير ويوجههم إليه، وإذا كان يريد التوصل إلىٰ أمر محمود ومشروع ومقربٍ من اللَّه، وقد قال يوسف ﷺ لعزيز مصر: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.

* * *

(١) وقد قدمنا مزيدًا لهذا الباب في تفسير سورة النساء عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾.

(٢) وإلا فالأصل عدم تزكية النفس؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾.

س: هل يجوز لمسلم أن يعمل عند كافرٍ؟

ج: إذا كان العمل عند الكافر ليس فيه امتهان لدين المسلم ولا إخلال بالشرع جاز ذلك العمل، بدليل طلب يوسف العمل عند ملك مصر إذ قال: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.

أما إذا كان في العمل امتهانٌ لدين المسلم وإزراء به فلا يجوز، وقد قال تعالىٰ: **﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾**، وقال تعالىٰ: **﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾**.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال القرطبي رحمه الله:

قال بعض أهل العلم: في هذه الآية ما يبيح للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر، والسلطان الكافر، بشرط أن يعلم أنه يفوّض إليه في فعل لا يعارضه فيه، فيصلح منه ما شاء؛ وأما إذا كان عمله بحسب اختيار الفاجر وشهواته وفجوره فلا يجوز ذلك.

وقال قوم: إن هذا كان ليوسف خاصة، وهذا اليوم غيرُ جائز.

والأول أولىٰ إذا كان علىٰ الشرط الذي ذكرناه. والله أعلم.

وبوَّب البخاري في كتاب الإجارة من «صحيحه» بباب (هل يؤاجر الرجل نفسه من مشرك في أرض الحرب؟).

أي: أن البخاري علَّق الترجمة ولم يجزم فيها برأي، وذلك لكون المسألة

تحتمل الوجهين. والله أعلم.

ثم إن البخاري[١] أورد في الباب حديث خباب رضي الله عنه، وفيه أن خبابًا قال: كنتُ رجلاً قينًا، فعَملتُ للعاصِ بن وائلٍ، فاجتمَعَ لي عندَهُ فأتيتُهُ أتقاضاهُ فقالَ: لا، واللهِ حتَّىٰ تكفرَ بمحمدٍ. فقلت: أما والله حتَّىٰ تموتَ ثم تُبعث فلا. قال: وإني لميِّتٌ ثم مبعوثٌ؟ قلت: نعم. قال: فإنه سيكونُ لي مالٌ وولدٌ، فأَقضيكَ. فأنزل الله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله شارحًا لترجمة البخاري:

قوله: (باب هل يؤاجر الرجل نفسه من مشرك في أرض الحرب؟): أورد فيه حديث خباب - وهو إذ ذاك مسلم - في عمله للعاص بن وائل وهو مشرك، وكان ذلك بمكة وهي إذ ذاك دار حرب، واطلع النبي ﷺ علىٰ ذلك وأقره، ولم يجزم المصنف بالحكم لاحتمال أن يكون الجواز مقيداً بالضرورة، أو أن جواز ذلك كان قبل الإذن في قتال المشركين ومنابذتهم وقبل الأمر بعدم إذلال المؤمن نفسه، وقال المهلب: كره أهل العلم ذلك إلا لضرورة بشرطين:

أحدهما: أن يكون عمله فيما يحل للمسلم فعله.

والآخر: أن لا يعينه علىٰ ما يعود ضرره علىٰ المسلمين.

وقال ابن المنير: استقرت المذاهب علىٰ أن الصناع في حوانيتهم يجوز لهم العمل لأهل الذمة ولا يعد ذلك من الذلة، بخلاف أن يخدمه في منزله

(١) البخاري (حديث ٢٢٧٥).

وبطريق التبعية له والله أعلم.

* * *

س: قوله: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ حفيظ على ماذا؟ وعليم بماذا؟

ج: حفيظ على ما استودعتني، حفيظ على الخزائن، عليم بتصريف الأمور وتدبيرها، والله أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾.

ج: قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ أي: ومثل هذا الإنعام الذي أنعمنا عليه في تقريبه إلى قلب الملك، وإنجائه من السجن مكنا له في الأرض؛ أي: أقدرناه على ما يريد.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

ج: المراد والله أعلم: لا نبطل جزاء من عمل عملاً صالحًا مطيعًا فيه لله سبحانه وتعالى، مستقيمًا فيه على أوامره مجتنبًا نواهيه، مخلصًا في ذلك من قلبه عافيًا عن الخلق.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم: أن المدخر ليوسف ﷺ وللمؤمنين المتقين عمومًا

خيرٌ مما عُجِّل لهم في دنياهم من مُلك وثراء ومنصب وجاه وأولاد ونساء . . إلىٰ غير ذلك من متاع الحياة الدنيا ، كما قال تعالىٰ بعد أن ذكر ما أنعم به علىٰ سليمان عليه السلام : ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ .

قال السعدي رحمه اللَّه:

﴿وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ أي : لمن جمع بين الإيمان والتقوىٰ .



وَجَآءَ إِخۡوَةُ
يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا
جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ
أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا
كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ
وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ
لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ
﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ
فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾
قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن
قَبۡلُ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ
مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا
مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ
أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنۡ
أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ
أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ

س: اذكر معنى كلٍ مما يلي:

وهم له منكرون ـ خير المنزلين ـ سنراود ـ وإنا لفاعلون ـ فتيانه ـ رحالهم ـ انقلبوا ـ نكتل ـ ما نبغي ـ نمير أهلنا ـ كيل بعير ـ يسير ـ موثقًا ـ يُحاط بكم ـ وكيل.

ج:

الكلمة	معناها
وهم له منكرون	وهم لا يعرفونه.
خير المنزلين	خير المُضيفين (خير من أكرم الأضياف، وأحسن منازلهم).
سنراود عنه أباه	سنطلبه من أبيه (والمراودة: الطلب برفق ولين). ونراود معناها أيضًا: نطلب منه النزول عن إرادته ـ وهي إبقاء أخينا ـ إلى إرادتنا وهي المجيء به معنا.
لفاعلون	لمجتهدون في مراودة أبينا (حتى يسمح لنا بالإتيان بأخينا).
فتيانه	غلمانه.
رحالهم	الرحل: كل شيءٍ يعدُّ للرحيل، من وعاءٍ للمتاع ومركب للبعير، ومجلس ونحو ذلك.
انقلبوا	رجعوا.
نكتل	نأتي بالكيل ـ نأخذ الكيل.
ما نبغي	ماذا نريد.

نمير أهلنا	نجلب لهم الميرة وهي الطعام .
كيل بعير	حِملَ جَمَلٍ .
يسير	قليل (قليل بالنسبة لنا فلن يكفينا)، و(قليل بالنسبة للعزيز فلن يشق عليه إعطاؤنا) .
موثقًا	ما أَثق به في قولكم، ما تحدث لي به الثقة، والمراد هنا العهد المؤكد باليمين .
يحاط بكم	يُحال بينكم وبينه ـ تُغلبوا ـ تهلكوا جميعًا، ومنه ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ﴾ . والإحاطة مأخوذة من إحاطة العدو، فمن أحاط به العدو فقد هلك .
وكيل	شهيد (شهيدٌ علينا أن نفي بما نقول) ـ كفيل ـ رقيب .

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ متى كان هذا المجيء؟ ولماذا أتوا؟

ج: كان هذا المجيء بعد سنوات الرخاء التي هي السبع السمان، فتلتها سنون الشدة والجدب، ففيها أتى إخوة يوسف يلتمسون الطعام والزاد لأهليهم بعد أن ضربتهم المجاعة.

قال القرطبي رحمه اللَّه:

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ أي: جاءوا إلى مصر لما أصابهم القحط ليمتاروا، وهذا من اختصار القرآن المعجز. قال ابن عباس وغيره: لما أصاب الناس القحط والشدة، ونزل ذلك بأرض كنعان بعث يعقوب عليه السلام ولده لِلميرة، وذاع أمر يوسف عليه السلام في الآفاق، للينه وقربه ورحمته ورأفته وعدله وسيرته؛ وكان يوسف عليه السلام حين نزلت الشدة بالناس يجلس للناس عند البيع بنفسه، فيعطيهم من الطعام على عدد رءوسهم، لكل رأس وسقًا.

❊ ❊ ❊

س: كيف لم يعرفه إخوته وقد أوتي شطر الحسن؟

ج: قال بعض العلماء: إنهم لم يعرفوه لأسباب منها ما يلي:

أولاً: إنهم تركوه صغيراً، ورأوه كبيراً، وقد تغيرت ملامحه وظهرت له لحية.

ثانيًا: إنهم لم يتوقعوا أن يصل إلى هذه المنزلة التي هو فيها.

ثالثًا: الزيُّ الذي يلبسه يوسف غيَّر بعض ملامحه.

رابعًا: صرفهم اللَّه عن معرفته لأمرٍ يريده سبحانه وتعالىٰ.

* * *

س: مَن هذا الأخ الذي هو لهم من أبيهم؟

ج: علىٰ رأي جمهور المفسرين هو بنيامين[1]، وهو أخو يوسف لأمه وأبيه، وبهذا قال قتادة[2] رحمه اللَّه.

* * *

س: كيف استجاز يوسف عليه السلام إدخال الحزن على أبيه بطلب أخيه؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلىٰ أن ذلك كان بأمر اللَّه عز وجل زيادة لبلاء يعقوب عليه السلام؛ حتىٰ يعظم له الأجر ويكثر له الثواب.

* * *

س: ما المراد بالبضاعة في قوله: ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾؟

ج: المراد بالبضاعة: مقابل الطعام الذي يشترونه.

ومن العلماء من قال: كانت عملة من فضة.

* * *

س: لماذا ردَّ إليهم يوسف البضاعة؟

ج: قال يوسف عليه السلام: **﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾**.

---

(١) ولم يرد له اسم صريح في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ولعل اسم بنيامين هذا متلقىٰ من الإسرائيليات.

(٢) أخرج ذلك الطبري عنه بإسناد حسن (١٩٤٧٥).

قال صديق حسن خان في تفسير ذلك:

فعل يوسف عليه السلام ذلك تفضلاً عليهم.

وقيل: ليستعينوا بها على الرجوع إليه سريعًا لشراء الطعام، وقيل: ليرجعوا إليه مرة أخرى لعلمه أنهم لا يقبلون الطعام إلا بثمن. قاله الفراء، وجرى عليه الجلال.

وقيل: إنه خاف أن لا يكون عند أبيه شيء آخر من المال لأن الزمان كان زمان قحط وشدة.

وقيل: أراد أن يحسن إليهم على وجه لا يلحقهم فيه منة ولا عيب.

وقيل: أراد أن يريهم بره وكرمه وإحسانه إليهم.

وقيل: أراد أن يكون ذلك عونًا لأبيه ولإخوته على شدة الزمان. وقيل غير ذلك.

وقيل: إنه استقبح أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمن الطعام.

وقال الطبري رحمه اللَّه:

فإن قال قائل: ولأية علة أمر يوسف فتيانه أن يجعلوا بضاعة إخوته في رحالهم؟

قيل: يحتمل ذلك أوجهًا:

أحدها: أن يكون خشي ألا يكون عند أبيه دراهم، إذ كانت السَّنة سنة جدب وقحط، فيضرُّ أخذ ذلك منهم به، وأحبَّ أن يرجع إليه.

أو: أراد أن يتسع بها أبوه وإخوته، مع قلة حاجتهم إليه، فردَّه عليهم من حيث لا يعلموا سبب رده، تكرمًا وتفضلاً.

والثالث: وهو أن يكون أراد بذلك ألا يخلفوه الوعد في الرجوع، إذا وجدوا في رحالهم ثمن طعام قد قبضوه وملكَهُ عليهم غيرهم، عوضًا من طعامه، ويتحرجوا من إمساكهم ثمن طعام قد قبضوه حتىٰ يؤدُّوه علىٰ صاحبه، فيكون ذلك أدعىٰ لهم إلىٰ العود إليه.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾.

ج: قال صديق حسن خان رحمه اللَّه في تفسيره «فتح البيان»:

والمعنى: أنه لا يأمنهم علىٰ بنيامين إلا كما أمنهم علىٰ أخيه يوسف عليه السلام وقد قالوا له في يوسف عليه السلام: وإنا له لحافظون كما قالوا هنا، ثم خانوه في يوسف عليه السلام، فهو إن آمنهم في بنيامين خاف أن يخونوه كما خانوه في يوسف عليه السلام.

* * *

س: كيف قالوا: ﴿يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾، ويوسف قد أوفى لهم الكيل إذ قال: ﴿أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾؟

ج: مرادهم، واللَّه أعلم: سيمنع منَّا الكيل إذا لم ترسل معنا أخانا، فهو إطلاق باعتبار ما هو آت. أو منع منا كيل أخينا، إذ قد تقرر أنه لكل منهم حمل بعير.

قال الطبري رحمه اللَّه:

يقول تعالىٰ ذكره: فلما رجع إخوة يوسف إلىٰ أبيهم قالوا: ﴿يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ يقول: منع منا الكيل، فوق الكيل الذي

كِيل لنا، ولم يكل لكل رجلٍ منَّا إلا كيل بعير، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا﴾ بنيامين يكتل لنفسه كيلَ بعير آخر زيادة على كيل أباعِرنا، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، من أن يناله مكروه في سفره.

وقال ابن الجوزي رحمه اللَّه «زاد المسير»:

أحدهما: حُكم علينا بمنع الكيل بعد هذا الوقت، كما تقول للرجل: دخلت واللَّه النار بما فعلت.

والثاني: أن المعنى: يا أبانا يُمنع منا الكيل إن لم ترسله معنا، فناب «مُنع» عن «يُمنع» كقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ أي: يخلده، وقوله: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى﴾ أي: وإذ يقول، ذكرهما ابن الأنباري.

* * *

س: وضح المراد بقولهم ﴿مَا﴾ في قولهم: ﴿مَا نَبْغِي﴾؟

ج: قال بعض العلماء: إنها استفهامية.

فقولهم: ﴿مَا نَبْغِي﴾ أي: ماذا نطلب، وماذا نريد بعد هذا الإكرام الذي قابلنا به العزيز؟! إن بضاعتنا ـ وهي الثمن الذي نشتري به الطعام ـ قد رجعت إلينا مع الطعام، وقد أوفى لنا الكيل أيضًا، فماذا نريد بعد ذلك.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿مَا نَبْغِي﴾ ما للاستفهام الإنكاري، والمعنى: أي شيء نطلب من هذا الملك بعد أن صنع معنا ما صنع من الإحسان بردِّ البضاعة والإكرام عند القدوم إليه، وتوفير ما أردناه من الميرة، وأرادوا بهذا الكلام تطييب قلب أبيهم.

وقال قتادة: ما نبغي وراء هذا؟

وقيل: إن ما نافية أي: ما نبغي في القول، وما نزيد فيما وصفنا لك من إحسان الملك إلينا وإكرامه لنا.

وقرئ بالفوقية خطابًا ليعقوب، أي: أيُّ شيء تطلب وراء هذا الإحسان؟ أو أي شيء تطلب من الدليل على صدقنا؟!

* * *

وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ
مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا
لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا
دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم
مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ
لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ
﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ
إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾

س: وضح معنى ما يلي:

عليه توكلت ـ آوي ـ تبتئس.

ج:

الكلمة	معناها
عليه توكلت	عليه اعتمدت، وفيه وثقت.
آوى	ضَمَّ.
تبتئس	تحزن ـ تأسف.

* * *

س: لماذا طلب يعقوب عليه السلام من أبنائه الدخول من أبواب متفرقة؟

ج: قال كثيرٌ من أهل العلم: لأنهم كانوا ذوي هيئة وصورة وحسن وجمال وبهاء فخشي عليهم العين.

ومما يدل على كونهم من ذوي الحُسن والجمال أن آباءهم كانوا كذلك، فقد قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ**﴾ أي: الأقوياء العلماء.

وقال آخرون: إنما خشي عليهم يعقوب عليه السلام أذى المؤذين واعتداء المعتدين. والله أعلم.

وهنا فقه ينبغي أن يتفطن له إخواننا عند دخولهم بعض المدن لتفادي كمائن الشرط ونقاط التفتيش، فلا يدخلون بعدد كبير من مكان واحد، بل يتفرقون عند دخولهم دفعًا للسوء الذي قد يصابون به، والله أعلم.

***

س: وضح معنى قوله: ﴿وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللهِ مِن شَيْءٍ﴾.

ج: المعنى والله أعلم: وما أقدر أن أدفع عنكم من قضاء الله الذي قد قضاه عليكم من شيء، صغيرٍ ولا كبير؛ لأن قضاءه نافذٌ في خلقه. قاله الطبري رحمه الله.

***

س: ما المراد بقوله في هذا الموطن: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾؟

ج: المراد بالحكم هنا، والله أعلم القضاء والأمر.

***

س: ما الحاجة التي في نفس يعقوب؟

ج: قال بعض العلماء: هي حرصه وشفقته على أبنائه، وإرادة دفع العين والسوء والمكروه عنهم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾.

ج: المعنى والله أعلم: وإنه لذو علم لتعليمنا له، أي: بسبب تعليمنا له[١]، وقيل: وإنه لعامل بما عُلِّم، وقيل أيضًا: لحافظ لما علمناه.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ لا يعلمون ماذا؟

ج: لا يعلمون أن يعقوب على علم، ولا يعلمون كثيراً من العلم عمومًا، والله أعلم.

* * *

س: في الآية الكريمة ما يدل على أن الله عز وجل يدافع عن أنبيائه عليهم السلام. وضح ذلك بمزيد من الأدلة.

ج: إيضاحه: أن الله سبحانه وتعالى بعد أن قال: ﴿**مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ**﴾ قد يتوهم متوهم أن يعقوب عليه السلام ليس على علم، فنفى الله ذلك عن نبيه يعقوب عليه السلام فقال: ﴿**وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾.

ومن هذا الدفاع: قول الله سبحانه وتعالى في معرض الدفاع عن نبيه

---

(١) أي: أن العلم الذي يحمله ليس بحوله ولا بقوته، إنما بفضل تعليمنا.

ﷺ: ﴿فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون﴾.

ومن ذلك أيضًا: قوله تعالىٰ: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ فقد يتسرب إلىٰ شخص أن داود عليه السلام ليس علىٰ علم؛ فقال تعالىٰ: ﴿وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ...﴾.

فذكر اللَّه فضله علىٰ نبيه داود عليه السلام وبين منزلته ﷺ. ونحو ذلك قول اللَّه سبحانه وتعالىٰ في شأن نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام إذ جاءته البشرىٰ، قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ أي: أنه يطلب إمهال قوم لوط وتأخير إنزال العذاب عليهم، فقد يتوهم شخص أن إبراهيم عليه السلام أخطأ خطأ شديداً في طلبه هذا، لكن اللَّه تعالىٰ قال مثنيًا عليه بين يدي عتابه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ ثم قال: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾.

فعلىٰ ذلك إذا انتقدنا شخصًا من الأشخاص لعمل قام به لم يوفق فيه، أو لكلمة تكلم بها جانبه الصواب فيها لا ينبغي أن ننسىٰ له سابق فضله ومعروفه وإحسانه. واللَّه تعالىٰ أعلم.

* * *

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ
أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟
عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ
وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ
لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ
﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ
مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن
وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ
وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾

س: وضح معنى ما يلي:

جهزهم بجهازهم ـ السقاية ـ رحل ـ أذن مؤذن ـ أيتها العير ـ حمل بعير ـ زعيم ـ تاللَّه ـ كدنا ـ دين الملك ـ فأسرها ـ لم يُبدها ـ شرٌّ مكانًا ـ تصفون.

ج:

الكلمة	معناها
جهزهم بجهازهم	قضىٰ لهم حاجتهم ووفّاهم كيلهم وأَتَمَّه لهم.
السقاية	هي الإناء الذي يُكال به الطعام، وهي أيضًا الإناء الذي يشرب فيه الملك؛ فالسقاية والصواع شيءٌ واحد.
رحل	متاع.
أذن مؤذن	نادىٰ منادٍ.
أيتها العير	يا أصحاب العير ـ يا أصحاب الإبل.
حمل بعير	قدر ما يحمله البعير، والبعير: الجمل.
زعيم	كفيل (أي: كفيل بأن أوفيه حمل البعير من الطعام إذا جاء بصواع الملك).
تاللَّه	واللَّه.
كدنا	دبرنا ـ أردنا ـ يسرنا له هذا التدبير.
دين الملك	سلطان الملك ـ حكم الملك ـ عادة الملك.
أسرها	أضمرها ـ أخفاها.

لم يبدها	لم يظهرها .
شرٌّ مكانًا	شرٌّ منزلة (ممن رميتموه) .
تصفون	تكذبون ـ تفترون .

* * *

س: كيف استجاز يوسف عليه السلام أن يجعل السقاية في رحل أخيه ثم يُسرِّق قومًا أبرياء من السرقة فيقول: ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾؟

ج: في ذلك وجوه لأهل العلم، منها ما يلي:

أولاً: أن يوسف عليه السلام لم يقل: إنكم لسارقون، إنما أذن مؤذن بذلك.

ثانيًا: إنهم نسبوا إلى السرقة لا في ذلك الحين، إنما لكونهم سرقوا من قبل، فأخذوا يوسف فأخفوه عن أبيه، وقالوا: إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب.

قال الطبري رحمه اللَّه:

إن قال لنا قائل: وكيف جاز ليوسف أن يجعل السقاية في رحل أخيه، ثم يُسرِّق قومًا أبرياء من السَّرَق، ويقول: ﴿**أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ**﴾؟

قيل: إن قوله: ﴿**أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ**﴾ إنما هو خبرٌ من اللَّه عن مؤذِّنٍ أذَّن به، لا خبر عن يوسف. وجائز أن يكون المؤذن أذَّن بذلك إذ فقد الصُّواع ولا يعلم بصنيع يوسف، واستجاز الأمر بالنداء بذلك، لعلمه بهم أنهم قد كانوا سرقوا سرقة في بعض الأحوال، فأمر المؤذن أن يناديهم بوصفهم بالسَّرق، ويوسف يعني ذلك السَّرق لا سَرَقهم الصواع.

وقد قال بعض أهل التأويل: إن ذلك كان خطأ من فعل يوسف، فعاقبه اللَّه بإجابة القوم إياه: ﴿**إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ**﴾، وقد ذكرنا الرواية فيما مضى بذلك. اهـ.

وقال ابن الجوزي رحمه الله في «زاد المسير»:

فإن قيل: كيف جاز ليوسف أن يُسرِّق من لم يسرق؟

فعنه أربعة أجوبة:

أحدها: أن المعنى: إنكم لسارقون يوسف حين قطعتموه عن أبيه وطرحتموه في الجب. قاله الزجاج.

والثاني: أن المنادي نادى وهو لا يعلم أن يوسف أمر بوضع السقاية في رحل أخيه، فكان غير كاذب في قوله. قاله ابن جرير.

والثالث: أن المنادي نادى بالتسْرِيق لهم بغير أمر يوسف.

والرابع: أن المعنى: إنكم لسارقون فيما يظهر لمن لم يعلم حقيقة أخباركم، كقوله: ﴿**ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾ أي: عند نفسك لا عندنا، وقول النبي ﷺ: «**كذب إبراهيم ثلاث كذبات**» أي: قال قولاً يشبه الكذب، وليس به.

*   *   *

س: ذكر البعض أن يوسف عليه السلام زلت قدمه في ثلاث مسائل، وهي:

﴿إِنَّكُمْ لسارِقُون﴾ فنسب إخوته إلى السرقة وهم منها براء.

والثاني في قوله: ﴿اذْكُرْنِي عِند ربِّك﴾.

والثالث في قوله تعالى: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾.

قالوا: وقد عوقب في الثلاث، أما الهم فقد دخل بسببه السجن. وأما ﴿إِنَّكُمْ لسارِقُون﴾ فجوزي بقولهم: ﴿إِن يسْرِقْ فقدْ سرق أخٌ لَّهُ من قبْلُ﴾،

الثالث: ﴿ اذكرني عند ربك ﴾ ﴿ فلبث في السجن بضع سنين ﴾.

فما مدى صحة هذا؟

ج: في كل المذكور نظر.

أما قوله: ﴿ اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ فهذا من باب الأخذ بالأسباب، وأما قوله: ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾، و﴿ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ فقد قدمنا الكلام عليهما بما فيه كفاية.

* * *

س: المتهم البريء تظهر براءته من تصرفاته. وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أن إخوة يوسف لما ناداهم المنادي: ﴿ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ قالوا: وأقبلوا إليهم ماذا تفقدون.

فلم يتلعثموا في الجواب، ولم يقفوا في مكانهم بل أتوا إلى الداعي مطمئنين ولم يهربوا.

والقطة - كما ذكر بعض العلماء - إذا أعطيتها سمكةً أكلتْها بجوارك، أما إذا سرقت هي سمكة خطفتها وذهبت بها مسرعة بعيداً عنك.

* * *

س: قال إخوة يوسف: ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ ﴾ فكيف أقسموا على علم غيرهم؟

ج: أجاب على نحو ذلك الطبري بقوله:

لأنهم - فيما ذُكر - ردُّوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم، فقالوا: لو كنا سرَّاقًا لم نردَّ عليكم البضاعة التي وجدناها في رحالنا.

وقيل: إنهم كانوا قد عُرِفوا في طريقهم ومسيرهم أنهم لا يظلمون أحدًا، ولا يتناولون ما ليس لهم، فقالوا ذلك حين قيل لهم: ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾.

أما ابن الجوزي في «زاد المسير» فقال:

فإن قيل: كيف حلفوا على عِلم قوم لا يعرفونهم؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم قالوا ذلك، لأنهم ردوا الدراهم ولم يستحلُّوها، فالمعنى: لقد علمتم أنا رددنا عليكم دراهمكم وهي أكثر من ثمن الصاع، فكيف نستحل صاعكم، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مقاتل.

والثاني: لأنهم لما دخلوا مصر كمموا أفواه إبلهم وحميرهم حتى لا تتناول شيئًا، وكان غيرهم لا يفعل ذلك. رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: أن أهل مصر كانوا قد عرفوهم أنهم لا يظلمون أحدًا.

* * *

س: وضح معنى قولهم: ﴿جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم: أن جزاء السارق ـ الذي يوجد الصواع في متاعه ـ أن يؤخذ كعبدٍ مُسترَقٍ لصاحب الصواع، كذلك نجزي السارقين في شريعتنا ـ شريعة يعقوب عليه السلام.

فالمعنى ـ بصورة أخرى: أن السارق يؤخذ مقابل سرقته ويكون عبدًا عند من سرق منهم، فهذا هو جزاء السارقين في شريعة يعقوب عليه السلام.

فقوله: ﴿مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ معناه: الذي وجد في رحله، ففيه تقدير

وهو: جزاؤه أن يؤخذ الذي وجد في رحله.

قال الطبري رحمه اللَّه:

ثواب السرق من وجد في متاعه السرق (فهو جزاؤه) يقول: فالذي وجد ذلك في رحله ثوابه بأن يسلم بسرقته إلىٰ من سرق منه حتىٰ يسترقه ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ يقول: كذلك نفعل بمن ظلم، ففعل ما ليس له فعله من أخذه مال غيره سرقًا.

وقال القرطبي رحمه اللَّه:

قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾ المعنىٰ: فما جزاء الفاعل إن بان كذبكم؟ فأجاب إخوة يوسف: ﴿جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ أي: يُستعبَد ويُستَرَقّ. فـ ﴿جَزَاؤُهُ﴾ مبتدأ، و﴿مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ خبره؛ والتقدير: جزاؤه استعباد من وُجِد في رحله؛ فهو كناية عن الاستعباد؛ وفي الجملة معنىٰ التوكيد، كما تقول: جزاء من سرق القطع فهذا جزاؤه. ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ أي: كذلك نفعل في الظالمين إذا سرقوا أن يُستَرَقُّوا، وكان هذا من دين يعقوب عليه السلام وحكمه.

* * *

س: لماذا بدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه؟

ج: ذلك، واللَّه أعلم: لدفع الشبهة، حتىٰ لا يُقال - إذا فتش أول متاع فوجد الصواع فيه -: إن فتيان العزيز هم الذين أخفوا الصواع في رحل أخيهم، فبدأ بأوعيتهم حتىٰ تظهر براءتهم أولاً.

ونحو هذا الوجه من دفع التهم قول الشاهد: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن

قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فبدأ بما يظهر براءة المرأة حتى لا يتهم هو بالتجني عليها.

ونحوه أيضًا: قول مؤمن آل فرعون الذي يخفي إيمانه في شأن موسى عليه السلام: ﴿وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ فقدَّم الكذب دفعًا لما قد يتوهم من نصرته له.

ونحو ذلك أيضًا: ﴿قُل لاَّ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

* * *

س: لماذا استُعمل ضمير المؤنث في قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ﴾؟

ج: لأنه أراد السقاية، وقد قدمنا أن السقاية والصُّواع اسمان لشيء واحد، كالثوب والملحفة اسمان لشيءٍ واحد، والخوان والمائدة اسمان لشيء واحد، على ما ذكره بعض العلماء.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

ج: المعنى، واللَّه أعلم: هكذا دبرنا ورتبنا ليوسف عليه السلام، دبرنا له تدبيرًا حسنًا لأخذ أخيه الشقيق ـ من أمه وأبيه ـ وضمه إليه بهذا الحكم الذي حكم به إخوته أنفسهم، فهم الذين حكموا أن السارق يؤخذ كعبدٍ مُسترَقٍ عند من سرق منه، ولم يكن في حكم الملك، ولا في قضاء الملك أن السارق يؤخذ كعبدٍ مسترقٍ، ولكنه حكمٌ حكم به إخوة يوسف أنفسهم، حكموا به على من يكتشف أنه سرق، وقد كان هذا الحكم حكمهم في شريعتهم كما

قالوا: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال الطبري رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ يقول: هكذا صنعنا ليوسف، حتىٰ يخلِّص أخاه لأبيه وأمه من إخوته لأبيه، بإقرارٍ منهم أن له أن يأخذه منهم ويحتبسه في يديه، ويحول بينه وبينهم؛ وذلك أنهم قالوا ـ إذ قيل لهم: ما جزاؤه إن كنتم كاذبين؟ ـ: جزاء من سرق الصواع، أن من وجد ذلك في رحله في مسترَقٌّ به.

وذلك كان حكمهم في دينهم. فكاد اللَّه ليوسف، كما وصف لنا، حتىٰ أخذ أخاه منهم، فصار عنده بحكمهم وصُنْعِ اللَّه له.

وقوله: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾، يقول: ما كان يوسف ليأخذ أخاه في حكم ملك مصر وقضائه وطاعته منهم؛ لأنه لم يكن من حكم ذلك الملك وقضائه أن يسترقّ أحد بالسَّرَق، فلم يكن ليوسف أخذ أخيه في حكم ملك أرضه، إلا أن يشاء اللَّه بكيده الذي كاده له، حتىٰ أسلم من وجد في وعائه الصُّواع إخوتُه ورفقاؤه بحكمهم عليه، وطابت أنفسهم بالتسليم.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

وحاصله: أن يوسف ما كان يتمكن من إجراء حكم يعقوب علىٰ أخيه مع كونه مخالفًا لدين الملك وشريعته لولا ما كاد اللَّه له ودبره وأراده حتىٰ وجد السبيل إليه، وهو ما أجراه علىٰ ألسن إخوته من قولهم: إن جزاء السارق

الاسترقاق، فكان قولهم هذا هو بمشيئة اللّه وتدبيره.

وهذه الجملة تعليل لما صنعه اللَّه من الكيد ليوسف عليه السلام أو تفسير له يعني: أن ذلك الأمر كله كان إلهامًا من أمر اللَّه ليوسف عليه السلام وإخوته حتىٰ جرىٰ الأمر علىٰ وفق المراد وهو معنىٰ قوله: ﴿إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إلا حال مشيئته وإذنه بذلك وإرادته له والاستثناء منقطع؛ إذ الأخذ بدين الملك لا يشمل المراد به.

فالمعنى: ولكن أخذه بشريعة يعقوب.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾.

ج: المعنى، واللَّه أعلم: نرفع من نشاء منازل ومراتب ودرجات كما رفعنا يوسف ﷺ، فقد آتيناه حُكمًا وعلمًا.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾.

ج: قال الطبري رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: وفوق كل عالمٍ من هو أعلم منه حتىٰ ينتهي ذلك إلىٰ اللّه، وإنما عني بذلك أن يوسف أعلم إخوته، وأن فوق يوسف من هو أعلم من يوسف، حتىٰ ينتهي ذلك إلىٰ اللَّه تعالىٰ.

* * *

س: ماذا يعنون بالأخ في قولهم: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾؟

ج: يعنون به يوسف عليه السلام.

أما السرقة التي نسبوه إليها وعابوه بها فمن العلماء من قال: إنه سرق في صغره صنمًا كان لجده[1]، وذكروا أمورًا أُخر، منها أن عمة يوسف كانت تُحبه فسرَّقته شيئًا وهو لم يسرقه - وهو مِنطقة إسحاق - فبحثوا عنها فوجدوها مع يوسف، فأخذته عمته مقابل سرقته. وكل ذلك لم يصح فيه خبرٌ عن النبي ﷺ.

وظننا بأنبياء اللَّه عليهم السلام كل ما هو جميل وحسن، ولا يمتنع أن يكونوا قد كذبوا في قولهم إذ قالوا: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾.

* * *

س: ما الذي أسره يوسف في نفسه؟

ج: أسرَّ في نفسه مقولة: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾، أي: أنه قال في نفسه سرًا: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾.

قال ابن الجوزي رحمه اللَّه تعالى في «زاد المسير»:

قوله تعالى: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾ في هاء الكناية ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها ترجع إلى الكلمة التي ذُكرت بعد هذا، وهي قوله تعالى: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾، روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس.

---

(١) أورد الطبري بذلك آثارًا عن سعيد بن جبير وقتادة.

والثاني: أنها ترجع إلىٰ الكلمة التي قالوها في حقه، وهي قولهم: ﴿ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ﴾، وهذا معنىٰ قول أبي صالح عن ابن عباس.

فعلىٰ هذا يكون المعنىٰ: أسرَّ جواب الكلمة فلم يجبهم عليها.

والثالث: أنها ترجع إلىٰ الحجة، المعنىٰ: فأسر الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه السرقة، ذكره ابن الإنباري.

* * *

س: هل في يوسف وأخيه شرٌّ حتى يُقال لإخوته: ﴿ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾؟

ج: حاشا للَّه، ما في يوسف ولا أخيه شرٌّ، فليست أفعل التفضيل في قوله: ﴿ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ علىٰ بابها، وإنما هي كقوله تعالىٰ: ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾، مع أن أصحاب النار ليسوا في شيء من الخير بحال.

* * *

قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾
قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ
إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ
قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم
مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ
ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ
﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ
وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ
﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ
وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ
فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ
يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾
قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا
أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى
وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾
يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟
مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ

س: اذكر معنى ما يلي:

معاذ اللَّه ـ ظالمون ـ استيأسوا ـ خلصوا نجيًا ـ فرطتم ـ أبرح ـ العير ـ سولَّت ـ صبرٌ جميلٌ ـ تولَّى عنهم ـ يا أسفا ـ كظيم ـ تفتؤ ـ حرضًا ـ الهالكين ـ بثي ـ تحسسوا ـ لا تيأسوا ـ روح اللَّه.

ج:

الكلمة	معناها
معاذ اللَّه	أعوذ باللَّه.
ظالمون	جائرون على الناس (بفعل ما ليس لنا فعله وأخذ ما ليس لنا أخذه).
استيأسوا	يئسوا.
خلصوا نجيًا	انفردوا وابتعدوا عن الناس يتحدثون فيما بينهم سرًا.
فرطتم	ضيعتم.
أبرح	أفارق.
العير	المراد بالعير هنا: القافلة وأصحابها.
سولَّت	زيَّنت ـ حسَّنت.
صبرٌ جميل	أي: صبري على ولدي صبر جميل (لا جزع فيه ولا شكوى).
تولى	أعرض.
يا أسفا	يا حزناه ـ يا جزعاه، والأسف: أشد الحزن

	والندم - يا طول حـزني - قـال بعض أهل العلم: ومعنىٰ المناداة للأسف طلب حضوره، كأنه قال: تعالَ يا أسفىٰ وأقبل عليَّ.
كظيم	مغمومٌ مكروبٌ، لا يظهر كربه لأحدٍ، مملوء غمًا وهمًا، وممسك به لا يبثه ولا يظهره.
تفتأ	المراد هنا: لا تفتأ، وحُذف حرف النفي لعدم الالتباس. والمعنىٰ: لا تزال تذكر.
حرضًا	باليًا فانيًا - تالفًا - فاسدًا مختلطًا - هَرِمًا - مشرفًا علىٰ الوفاة.
الهالكين	الميتين.
بثي	حاجتي - همِّي - ضُرِّي - الذي في قلبي - ما أبثه من الكلام.
تحسسوا	اطلبوا الخبر برفق حتىٰ تصلوا إلىٰ حقيقته.
لا تيأسوا من روح اللَّه	لا تقنطوا من فرج اللَّه وتنفيسه ورحمته. فرج اللَّه - رحمة اللَّه.

* * *

س: ما وجه قولهم: ﴿ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا ﴾؟

ج: وجـــه ذلك: أن يُقال: إنهم يعنون أن هذا الشيخ الكبير يُحبه حبًا شديدًا، فيتسلَّىٰ به عن ولده المفقود، واللَّه أعلم.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ معَاذَ اللَّه أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ من وجدْنَا متَاعَنَا عندَهُ ﴾ فيه نوع من الاحتراز، وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أنه لم يقل: معاذ اللَّه أن نأخذ إلا من سرق، بل قال: ﴿ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عندَهُ ﴾ وذلك احترازًا من وصف أخيه بالسرقة، فالاحتراز هنا عن الكذب وعن قذف البريء بالتهمة؛ فأخوه لم يسرق حقيقة.

* * *

س: اذكر من الآيات ما يؤدي معنى قوله: ﴿ معاذ اللَّهِ أن نَّأْخُذَ إلاَّ من وجدْنَا متاعنا عندهُ ﴾.

ج: مما يؤدِّي معناها قوله تعالىٰ: ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا منْهُ ﴾ استيأسوا من ماذا؟

ج: استيأسوا من رد أخيهم إليهم، وقيل: يئسوا من يوسف عليه السلام أن يرد أخاهم إليهم.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم: ومن قبل إضاعتكم لبنيامين[١] فقد أضعتم أيضًا يوسف عليه السلام، فألقيتموه في غيابة الجب، ثم بعتموه بثمن بخس، وزعمتم أن الذئب قد أكله.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾.

ج: المراد، والله أعلم: فلن أغادر أرض مصر ما دام أخي قد أُخذ مني، ولن أرجع إلىٰ أبي حتىٰ يأذن لي أبي في الرجوع إليه، ويقبل عذري ويرضىٰ عني، ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ بأن ينصرني ويرد أخي إليَّ.

* * *

س: وضح المراد بقولهم: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾.

ج: أما قولهم: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا﴾ فمعناه، والله أعلم: وما شهدنا بأن ابنك سرق إلا بما رأيناه أمام أعيننا من استخراج الصواع من وعائه.

وأما قولهم: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ فمعناه، والله أعلم: وما كنَّا ندري ماذا سيحدث لنا وله، وما كنا نرىٰ أنه سيسرق وسيؤول أمره إلىٰ أن يُؤخذ ويسترق مقابل سرقته.

---

(١) نبهنا مرارًا علىٰ أنه لم يرد في السنة المطهرة ما يثبت أن هذا الأخ اسمه بنيامين، وإنما هذا رأي جمهور المفسرين ولعلهم تلقوه من الإسرائيليات.

وهناك وجه آخر في تفسير قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ مؤداه: وما درينا وما علمنا هل قد سرق على الحقيقة، أم أن الصُّواع قد دُسَّ في رحله ونحن لا نعلم؟ وكذلك فنحن لم نره في جميع أوقاته وأوقاتنا؛ فكنا ننام وهو ينام كذلك، ولا ندري إذا جنَّ الليل ماذا يحدث، والله أعلم.

* * *

س: وضح المراد بقولهم: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾.

ج: في ذلك وجهان لأهل العلم:

أحدهما: واسأل أهل القرية، ويريدون بالقرية: مصر.

الثاني: واسأل القرية نفسها، فهي وإن كانت جماداً إلا أن الله ينطقها لك؛ فأنت نبي.

هذا، وقد قال النبي ﷺ: «إني أعرف حجرًا بمكة كان يُسلِّم عليَّ».

* * *

س: في قولهم: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ ما يدل على عِظم البلاء الذي ابتلي به يعقوب عليه السلام. وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أن أهل القرية علموا خبر استخراج الصواع من رحل أحد أبناء يعقوب، وتحدث أهل القرية بذلك وشاع الخبر، وكذلك تحدث أصحاب القافلة بذلك وعلموا به، فازدادت الفضيحة، وفي هذا مشقة شديدة على النفس وابتلاء عظيم، ابتلاء أن ترجع القوافل كلها سالمة آمنة مطمئنة ويرجع إخوة يوسف بدون أخيهم، بل وينتشر في الناس أن هذا الأخ قد سرق، فبلا شك هذا ابتلاء عظيم لأب شيخ كبير يُقال له: إن ولدك

أخذ كعبدٍ مُستَرقٍّ من أجل سرقته التي سرق.

* * *

س: الظن لا يصيب في كلِّ الأحيان، فينبغي أن يبني أهل الفضل أقوالهم وآراءهم على اليقين. دلِّل على ذلك.

ج: ما يدل على ذلك: أن يعقوب عليه السلام ظنَّ في موطنين أصاب في أحدهما ولم يصب في الآخر.

فلما جاءوا على قميص يوسف بدم كذب قال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ فأصاب في ذلك.

ولما قالوا: ﴿يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ قال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ فلم يصب في ذلك، والله أعلم.

* * *

س: من الذين عناهم يعقوب عليه السلام بقوله: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾؟

ج: عنى، والله أعلم: يوسف وأخاه بنيامين والابن الأكبر ليعقوب.

* * *

س: ما مراد يعقوب عليه السلام بقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ في هذا المقام؟

ج: مراده والله أعلم: أن الله هو العليم بحزني على أولادي، والعليم بأماكنهم، والعليم بصدقكم من كذبكم.

أما قوله «الحكيم»: فهو الحكيم فيما يدبر، والحكيم فيما يقضي ويقدِّر.

* * *

س: قوله: ﴿ يا أسفىٰ علىٰ يوسف ﴾ ظاهره الشكوى، فأين الصبر؟

ج: أجاب عن ذلك ابن الجوزي في «زاد المسير» فقال:

﴿ يا أسفىٰ علىٰ يوسف ﴾ فإن قيل: هذا لفظ الشكوىٰ، فأين الصبر؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه شكا إلىٰ اللَّه تعالىٰ، لا منه.

والثاني: أنه أراد به الدعاء، فالمعنىٰ: يا رب ارحم أسفي علىٰ يوسف.

وذكر ابن الأنباري عن بعض اللغويين أنه قال: نداء يعقوب الأسف في اللفظ من المجاز الذي يُعنىٰ به غير المظهر في اللفظ، وتلخيصه: يا إلهي ارحم أسفي، أو: أنت راءٍ أسفي، أو هذا أسفي، فنادىٰ الأسف في اللفظ، والمنادىٰ في المعنىٰ سواه، كما قال: ﴿يا حسرتنا﴾ والمعنىٰ: يا هؤلاء تنبهوا علىٰ حسرتنا، قال: والحزن ونفور النفس من المكروه والبلاء لا عيب فيه ولا مأثم إذا لم ينطق اللسان بكلام مؤثّم ولم يشكُ إلا إلىٰ ربه، فلما كان قوله: ﴿يا أسفىٰ﴾ شكوىٰ إلىٰ ربه كان غير ملوم.

* * *

س: لماذا حزن يعقوب عليه السلام هذا الحزن الشديد حتى ذهب هذا الحزن ببصره أو ببعض بصره؟

ج: ذكر بعض أهل العلم: أن هذا الحزن الشديد سببه أنه لا يعلم هل يوسف عليه السلام حيٌّ أو قد مات؟ وإذا كان علىٰ قيد الحياة كيف حاله مع اللَّه؟ وما حال دينه في الوسط الذي هو فيه من الكفار؟ هل هو مستقيم علىٰ أمر اللَّه أم أن هناك أمرًا آخر والعياذ باللَّه؟

فكل هذه الأسئلة تدور بخلد يعقوب عليه السلام، ثم ما معه من العلم برؤيا يوسف، وأنها ستتحقق بإذن اللَّه.

هذا، ومن أهل العلم من قال: إن مجرد الحزن ليس بمحرَّم، وإنما المحرم ما يُفضي إلىٰ لطم الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوىٰ الجاهلية.

وقد قال النبي ﷺ: «**إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون**».

* * *

س: وضح المراد بقول يعقوب عليه السلام: ﴿وَأَعْلَمُ من اللَّه ما لا تَعْلَمُونَ﴾.

ج: في ذلك وجوه منها:

أولاً: أعلم من لطف اللَّه وإحسانه وأنه يجازي الصابرين علىٰ صبرهم، والمحسنين علىٰ إحسانهم ما لا تعلمون.

ثانيًا: أعلم أن مع العسر يسرًا، وأن الفرج مع الكرب، وأن اللَّه يجيب المضطر إذا دعاه.

ثالثًا: قد يُقال: أعلم أن رؤيا يوسف عليه السلام ستتحقق، وأن يوسف عليه السلام حيٌّ، ولكني لا أعلم أين هو.

* * *

س: وضح بعض صور البلاء التي حلَّت بيعقوب عليه السلام.

ج: من ذلك: فقدان ولده يوسف عليه السلام، وقد كان يحبه محبة عظيمة، وبكاؤه علىٰ ذلك حتىٰ ذهب بصره.

ومن ذلك: فقدان بنيامين.

ومن ذلك: ما شاع في الناس من أن ابنه سرق.

ومن ذلك: اتهام أبنائه له بأنه في ضلاله القديم.

* * *

س: ما الفرق بين «التحسس» و«التجسس»؟

ج: التحسس يكون في الخير، والتجسس يكون في الشر.

* * *

س: القنوط من رحمة اللَّه كبيرةٌ من الكبائر، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾.

* * *

فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ
وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ
إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ٨٨ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم
بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ٨٩ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ
لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ
ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا
وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ
ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢
ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا
وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٣

س: اذكر معنى ما يلي:

مسنا ـ الضُّر ـ مُزجاة ـ أوف لنا الكيل ـ لا يُضيع ـ آثرك ـ لا تثريب.

ج:

الكلمة	معنـاهـا
مسَّنا	أصابنا ـ لحق بنا ـ حلَّ بنا.
الضُّر	الجوع ـ المرض.
بضاعة مزجاة	قليلة ـ كاسدة ـ غير نافقة ـ بضاعة رديئة لا يقبلها إلا من تغاضىٰ عن عيوبها ـ بضاعة قليلة لا تكاد تُقبل إلا بأن يزجها صاحبها ويدفعها دفعًا، وأصل الإزجاء: السَّوقُ بالدفع ومنه قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾.
أوف لنا الكيل	أعطنا بهذه البضاعة الرديئة ما كنت تعطينا بالدراهم الجياد.
لا يُضيع	لا يبطل ثواب إحسانه وجزاء طاعته.
آثرك	فضَّلك.
لا تثريب	لا لوم ولا تعيير ـ لا عتب ولا توبيخ ـ لا إفساد لما بيني وبينكم من المودة.

* * *

س: اذكر من سورة يوسف ما يدل على جواز بث الشكوى.

ج: ذلك مأخوذ من قول إخوة يوسف: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ﴾.

قال القرطبي رحمه الله:

﴿مَسَّنَا﴾ أي: أصابنا ﴿وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ أي: الجوع والحاجة؛ وفي هذا دليل علىٰ جواز الشكوىٰ عند الضُّر، أي: الجوع، بل واجب عليه إذا خاف علىٰ نفسه الضر من الفقر وغيره أن يبدي حالته إلىٰ من يرجو منه النفع، كما هو واجب عليه أن يشكو ما به من الألم إلىٰ الطبيب ليعالجه؛ ولا يكون ذلك قدحًا في التوكل، وهذا ما لم يكن التشكِّي علىٰ سبيل التسخط، والصبر والتجلد في النوائب أحسن، والتعفف عن المسألة أفضل، وأحسن الكلام في الشكوىٰ سؤال المولىٰ زوال البلوىٰ؛ وذلك قول يعقوب: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ أي: من جميل صنعه، وغريب لطفه، وعائدته علىٰ عباده، فأما الشكوىٰ علىٰ غير مُشكٍ فهو السَّفه، إلا أن يكون علىٰ وجه البثّ والتسلِّي.

* * *

س: على فرض أن إخوة يوسف كانوا أنبياء، فكيف سألوا الصدقة بقولهم: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾؟

ج: ابتداءً؛ فكما قد تقدَّم أن في نبوتهم خلافًا، ثم علىٰ فرض أنهم أنبياء فلقولهم توجيهات:

أحدها: أنهم أرادوا بقولهم: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ أي: لا تنقصنا من العطاء شيئًا بسبب عدم جودة دراهمنا.

الثاني: من العلماء من يرىٰ أن الصدقة حلالٌ للأنبياء قبل نبينا محمد ﷺ.

الثالث: أن المراد: تصدَّق علينا برد أخينا إلينا.

إلا أن الطبري رحمه اللَّه ردَّ هذا الوجه الأخير بقوله:

هذا القول وإن كان قولاً له وجه فليس بالمختار في تأويل قوله: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾؛ لأن الصدقة في متعارف العرب إنما هي إعطاء الرجل ذا حاجةٍ بعض أملاكه ابتغاء ثواب اللَّه عليه، وإن كان كل معروف صدقة فتوجيه تأويل كلام اللَّه إلىٰ الأغلب من معناه في كلام من نزل القرآن بلسانه أولىٰ وأحرىٰ. هذا، واللَّه أعلم.

* * *

س: ما الذي صنعوه بأخي يوسف؟

ج: ظاهر الكتاب العزيز يفيد أنهم حسدوه كما حسدوا يوسف عليه السلام، فقد قال تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

ثم يبدو أيضًا أنهم آذوه وأهانوه، وقد قال له يوسف: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وقد يدخل في هذا أيضًا قولهم: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾.

* * *

س: قوله: ﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ جاهلون بماذا؟

ج: جاهلون بعاقبة ما تفعلونه بيوسف وأخيه، وجاهلون بجزاء قطع الأرحام، وأذىٰ الوالد الشيخ الكبير، إلىٰ غير ذلك مما فعلوه.

قال السعدي رحمه اللَّه:

وهذا نوع اعتذار لهم بجهلهم، أو توبيخ لهم؛ إذ فعلوا فعل الجاهلين، مع أنه ينبغي ولا يليق منهم.

* * *

س: لماذا قال لهم يوسف: ﴿وهذا أخي﴾ مع كونهم يعرفونه؟

ج: قال الشوكاني رحمه اللَّه في «فتح القدير»:

لأن قصده: وهذا أخي المظلوم كظلمي.

* * *

س: قول يوسف عليه السلام: ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ منَّ عليهم بماذا؟

ج: منَّ عليهم بأن جمع بينهم بعد طول فراق، ومنَّ عليه بالنبوة والملك.

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿لا تَثْرِيب عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ خَصلة حميدة. وضح هذه الخصلة.

ج: هذه الخصلة هي: العفو عند المقدرة.

قال السعدي رحمه اللَّه:

فسمح لهم سماحًا تامًا من غير تعيير لهم على ذكر الذنب السابق، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا نهاية الإحسان الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين.

* * *

س: ما وجه الختام بقوله: ﴿وهُو أَرْحَمُ الرَّاحمين﴾؟

ج: وجه ذلك: أنه سأل اللَّه المغفرة لهم، فكأنه قال: أما أنا وقد

ظلمتموني وآذيتموني فعفوت لكم عمَّا بدر منكم في حقي، واللَّه سبحانه وتعالىٰ أرحم منِّي بكم، وأرحم منكم بي؛ فأرجو اللَّه أن يرحمنا جميعًا.

* * *

س: صدر من نبينا محمد ﷺ عفوٌ كهذا الذي صدر من يوسف عن إخوته، وذلك في موقف هو قادر فيه على الانتصار أيضًا. وضح هذا الموقف.

ج: هذا الموقف يوم فتح مكة، فبعد أن مكَّنه اللَّه من فتحها قال لأهل الشرك الذين آذوه وحاربوه وأخرجوه وأصحابه من مكة.

* * *

وَلَمَّا فَصَلَتِ
ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن
تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾
فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ
أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ
يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوۡفَ
أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا
دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ
لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا
رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم
مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ
رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ
قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي
مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

فصلت ـ لأجد ـ تفندون ـ تاللَّه ـ ضلالك القديم ـ آوى إليه ـ العرش ـ تأويل رؤياي ـ نزغ ـ لطيف لما يشاء ـ فاطر.

ج:

الكلمة	معناها
فصلت	انفصلت عن البلاد ـ خرجت منطلقة (من مصر إلىٰ الشام).
لأجد	المراد هنا: لأَشَمُّ.
تُفَنِّدُون	تُجَهِّلون ـ تُسَفِّهون ـ تلومونى ـ تقولون: ذهب عقله.
تاللَّه	واللَّه.
ضلالك القديم	خطئك القديم ـ زللك القديم.
آوى إليه	ضم إليه.
العرش	السرير (سرير الملك).
تأويل رؤياي	تفسير رؤياي ـ ما آلت إليه رؤياي ـ ما صارت إليه رؤياي.
نزغ	أفسد ـ أوقع.
لطيف	رفيق ـ برٌّ ـ عالم بدقائق الأمور ـ واللطيف: البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون، وهو الرفيق في تدبير الأمور

	وتهيئتها .
فاطر	خالق على غير مثال سابق ـ منشئ ـ مخترع .

* * *

س: من القائلون: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ﴾؟

ج: هم الحفدة أو من كانوا موجودين عنده من جلسائه.

* * *

س: من البشير الذي ذكره اللَّه فقال: ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ﴾؟

ج: اللَّه أعلم بالبشير من هو، وهل هو من إخوة يوسف أم من غيرهم، إلا أن كثيراً من أهل العلم ـ كما نقل عنهم الطبري ـ قالوا: هو يهوذا، وهو أخو يوسف لأبيه، قالوا: وهو الذي كان قد لطخ القميص بالدم، فأراد أن يُسعد أباه كما أحزنه[1].

* * *

س: وضح المراد بقولهم: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾.

ج: المراد، واللَّه أعلم: يا أبانا سل لنا ربك يعف عنَّا ويستر علينا ذنوبنا التي أذنبناها فيك وفي يوسف؛ فلا يعاقبنا بها يوم القيامة.

* * *

س: لماذا أخَّر يعقوب عليه السلام الاستغفار لأولاده ولم يستغفر لهم في الحال؟

ج: قال بعض العلماء: إنه أراد أن يؤخر الاستغفار إلىٰ وقتٍ الإجابة فيه أرجىٰ.

ثم إن من العلماء من قال: أخَّر ذلك إلىٰ الثلث الأخير من الليل.

ومنهم من قال: أخره إلىٰ يوم الجمعة، واللَّه أعلم.

---

(١) ولعل ذلك متلقىٰ من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب.

س: قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ كيف قال لهم: ادخلوا مصر وهم قد دخلوا عليه؟

ج: لعلهم دخلوا عليه أولاً في سرادق صنعه خارج مصر - على مشارفها - لاستقبالهم فيه، ثم قال لهم بعد ذلك: ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾.

وأورد الطبري نحو هذا السؤال والجواب عليه فقال:

فإن قال قائل: وكيف قال لهم يوسف: ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ بعدما دخلوها، وقد أخبر اللَّه عز وجل عنهم أنهم لما دخلوا على يوسف وضمَّ إليه أبويه، قال لهم هذا القول؟

قيل: قد اختلف أهل التأويل في ذلك.

فقال بعضهم: إن يعقوب إنما دخل على يوسف هو وولده، وآوى يوسف أبويه إليه قبل دخول مصر، قالوا: وذلك أن يوسف تلقَّى أباه تكرمةً له قبل أن يدخل مصر، فآواه إليه، ثم قال له ولمن معه: ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ بها قبل الدخول.

ثم أورد الآثار بذلك، وأورد أقوالاً أُخر لكنه رجح ما قدمناه بقوله:

والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله السُّدي، وهو: أن يوسف قال ذلك لأبويه ومن معهما من أولادهما وأهاليهم قبل دخولهم مصر حين تلقَّاهم؛ لأن ذلك في ظاهر التنزيل كذلك، فلا دلالة تدل على صحة ما قاله ابن جريج، ولا وجه لتقديم شيء من كتاب اللَّه عن موضعه أو تأخيره عن مكانه إلا بحجَّةٍ واضحةٍ.

* * *

س: ما وجه قوله: ﴿إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾؟

ج: قال يوسف ﷺ ذلك تبركًا، واللَّه تعالىٰ أعلم.

* * *

س: قوله: ﴿آمِنِينَ﴾ آمنين من ماذا؟

ج: آمنين من ملك مصر الذي كان يحكم مصر آنذاك، قال بعض العلماء: كان لا يسمح لهم بدخول مصر إلا بإذنه.

وقال بعض العلماء: آمنين من الجوع والقحط.

* * *

س: اذكر من سورة يوسف ما يدل على إكرام الأهل والعشيرة.

ج: ذلك واضح وجلي من استقبال يوسف لأبويه وإخوته وأهله أجمعين، والاحتفاء بهم إذ استقبلهم خارج مصر مع الترحيب بهم؛ إذ قال لهم: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾، ثم أيضًا رفع أبويه علىٰ العرش، فكل هذا يدل علىٰ إكرامه لعشيرته صلوات اللَّه وسلامه عليه.

لا كما يفعل البغاة الذين إذا وسَّع اللَّه عليهم أو تقلدوا بعض المناصب تنصلوا من أهاليهم وعشيرتهم وذويهم، بل وبغوا عليهم وتطاولوا، وإمامهم في ذلك قارون الذي كان من قوم موسىٰ فبغىٰ عليهم؛ لكونه أوتي من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة.

* * *

س: تحقق الرؤيا قد يكون بعد سنوات. وضح ذلك.

ج: وجه ذلك: أن رؤيا يوسف التي قال فيها: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ قد رآها يوسف وهو صغير، ولكنها ما تحققت إلا بعد سنوات طويلة قضاها يوسف في بيت العزيز ثم سنوات قضاها في السجن، ثم سنوات الخصب، ثم جاء تحققها في سنوات الجدب تلك السبع الشداد.

وأخرج الطبري بإسناد صحيح[1] عن سلمان رضي اللَّه عنه قال: كان بين رؤيا يوسف إلىٰ أن رأىٰ تأويلها أربعون سنة.

وثمَّ آثار أُخر عند الطبري في هذا الباب.

* * *

س: لماذا قال يوسف عليه السلام: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ ولم يذكر الجب. أي: فلم يقل: وقد أحسن بي إذ أخرجني من غيابات الجب؟

ج: ذلك واللَّه أعلم: حتىٰ لا يُذكر إخوته بسيئ صنيعهم الذي صنعوه معه، فقد وعدهم بقوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ فلم يكن ليثرب عليهم ولا ليوبخهم ولا ليعيرهم بعد وعده لهم بقوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

ولم يذكر إخراجه من الجب؛ لأن في ذكره نوع من تثريب وتخجيل

(١) الطبري (أثر ١٩٩٠٧).

للإخوة، وقد قال: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ وقد تقدَّم سبب سجنه ومدة بقائه فيه.

وقد قيل: إن وجه عدم ذكر إخراجه من الجب أن المنة كانت في إخراجه من السجن أكبر من المنة في إخراجه من الجب؛ لأن دخوله الجب كان بحسد إخوته ودخوله السجن بسبب تهمة المرأة فإخراجه من السجن كان لزوال التهمة عنه، وكان ذلك من أعظم نعمه سبحانه عليه، وفيه بعد وضعف.

وقيل: لأن إخراجه من السجن كان سببًا لوصوله إلى الملك، أو لأن مصيبة السجن عنده كانت أعظم لطول مدتها ولمصاحبة الأوباش وأعداء الدين فيه، بخلاف مصيبة الجب لقصر مدتها ولكون المؤنس له فيها جبريل عليه السلام وغيره من الملائكة.

* * *

س: لماذا نسب يوسف الإساءة التي كانت من إخوته إلى الشيطان؟

ج: ذلك والله أعلم لأمور، منها ما يلي:

أولاً: أن الشيطان هو الذي نزغ.

ثانيًا: لأن يوسف قد وعد إخوته أنه لا يُثرب عليهم ولا يُعيرهم، ولا يُوبخهم.

ثالثًا: إن يوسف قال ذلك تلطيفًا للأمر ومبالغة في إذهاب الهم من نفس إخوته.

* * *

س: وضح معنى قول يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يشَاءُ﴾.

ج: قال الطبري رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ يقول: إن ربي ذو لطف وصنع لما يشاء، ومن لطفه وصنعه أنه أخرجني من السجن، وجاء بأهلي من البدو، بعد الذي كان بيني وبينهم من بُعد الدار، وبعدما كنت فيه من العُبودية والرِّق والإسار.

وأورد أثرًا بإسناد حسن عن قتادة قال:

قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ لطف بيوسف وصنع له حتى أخرجه من السجن، وجاء بأهله من البدو، ونزع من قلبه نزغ الشيطان وتحريشه على إخوته.

* * *

س: ما موقع (من) في قوله تعالى: ﴿من الْمُلْك﴾؟

ج: (مِن) هنا للتبعيض؛ لأن مُلك مصر ما كان كل المُلك. قاله القرطبي رحمه اللَّه. وقال: وكذلك قوله: ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾، ثم قال أيضًا: وعلم التعبير ما كان كلَّ العلوم.

وقيل: (مِن) للجنس، كقوله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾.

وقيل: للتأكيد، أي: آتيتني الملك وعلمتني تأويل الأحاديث.

* * *

س: وضح معنى قوله: ﴿أنت وليي في الدنيا والآخرة﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم: أنت تتولاني في دنياي؛ فتنصرني على من عاداني وتتفضل عليّ بنعمك، وبقضاء حاجاتي، وتحفظني من كل من أرادني بسوء، وتتولاني في الآخرة برحمتك، وإدخالي جنتك، وتصرف عني عذابك وتطمئنني من الفزع، وتنجيني من الكربات، وتسلمني إذا مررت على الصراط.

قال ابن القيم رحمه الله(١):

قول الله تعالى ذكره: ﴿**أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾: جمعت هذه الدعوة الإقرار بالتوحيد والاستسلام للرب وإظهار الافتقار إليه، والبراءة من موالاة غيره سبحانه، وكون الوفاة على الإسلام أجلّ غايات العبد، وأن ذلك بيد الله لا بيد العبد، والاعتراف بالمعاد وطلب مرافقة السعداء.

* * *

س: هل تمنى يوسف عليه السلام الموت إذ قال: ﴿توفني مسلما﴾؟

ج: لذلك وجهٌ من وجوه التأويل، وقد أشار إليه الطبري بقوله:

﴿**تَوَفَّنِي مُسْلِمًا**﴾: اقبضني إليك مسلمًا. ﴿**وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾: يقول: وألحقني بصالح آبائي إبراهيم وإسحاق ومن قبلهم من أنبيائك ورسلك، وقيل: إنه لم يتمنَّ أحدٌ من الأنبياء الموت قبل يوسف.

ثم أورد آثارًا عن ابن عباس فيها مقال، منها: من طريق ابن جريج(٢) قال:

(١) «التفسير القيم».

(٢) ابن جريج لم يدرك ابن عباس، وقد أورد الطبري أثرين آخرين عن ابن عباس رضي الله =

قال ابن عباس: قوله: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ الآية، قال: اشتاق إلى لقاء ربه، وأحبَّ أن يلحق به وبآبائه، فدعا اللَّه أن يتوفَّاه ويُلحقه بهم. ولم يسأل نبيٌّ قط الموتَ غير يوسف، فقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ الآية.

قال ابن جريج: في بعض القرآن من قال من الأنبياء: «توفني».

لكنه أورد بإسناد حسن عن قتادة ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ لما جمع شمله وأقرَّ عينه، وهو يومئذٍ مغموس في نَبْت الدنيا وملكها وغضارتها فاشتاق إلى لقاء الصالحين قبله.

لكن ثمَّ وجه آخر من وجوه التأويل وهو: إذا توفيتني، فتوفَّني على الإسلام.

* * *

س: متى دعا يوسف بهذا الدعاء: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾؟

ج: قال ذلك لما جمع اللَّه عليه شمله، وأقر عينه برؤية والديه وإخوته، وأقر عينه بالملكِ في الحياة الدنيا أيضًا، فاشتاق حينئذٍ إلى لقاء الصالحين، فقال ما قال عليه السلام.

قال الطبري رحمه اللَّه:

يقول تعالى ذكره: قال يوسف بعد ما جمع اللَّه له أبويه وإخوته، وبسط عليه من الدنيا ما بسط من الكرامة، ومكنه في الأرض متشوِّقًا إلى لقاء آبائه

= عنهما، تفيد هذا المعنى، أحدهما من طريق السدي عن ابن عباس، والآخر من طريق قتادة عن ابن عباس وفي كلها ضعف إلى ابن عباس كما قدمنا.

الصالحين: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ يعني: من ملك مصر ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ يعني: من عبارة الرؤيا، تعديدًا لنعم اللَّه عليه، وشكرًا له عليها.

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

هذا دعاء من يوسف الصديق، دعا به ربه عز وجل لما تمت النعمة عليه باجتماعه بأبويه وإخوته، وما منَّ اللَّه به عليه من النبوة والملك، سأل ربه عز وجل كما أتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة، وأن يتوفاه مسلمًا حين يتوفاه، قاله الضحاك. وأن يلحقه بالصالحين وهم إخوته من النبيين والمرسلين، صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين.

وهذا الدعاء يحتمل أن يوسف عليه السلام قاله عند احتضاره، كما ثبت في «الصحيحين» عن عائشة رضي اللَّه عنها، أن رسول اللَّه ﷺ جعل يرفع أُصبعه عند الموت ويقول: «**اللَّهم في الرفيق الأعلى، اللَّهم في الرفيق الأعلى، اللَّهمَّ في الرفيق الأعلى**».

ويحتمل أنه سأل الوفاة على الإسلام واللحاق بالصالحين إذا حان أجله وانقضى عمره، لا أنه سأله ذلك منجزًا، كما يقول الداعي لغيره: أماتك اللَّه على الإسلام! ويقول الداعي: اللَّهمَّ أحينا مسلمين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين.

ويحتمل أنه سأل ذلك منجزًا، وكان ذلك سائغًا في مِلتهم.

وقال السعدي رحمه اللَّه تعالى في «تفسيره»:

لما أتم اللَّه ليوسف ما أتم من التمكين في الأرض والمُلْك، وأقرَّ عينه بأبويه

وإخوته، وبعد العلم العظيم الذي أعطاه اللّه إياه فقال مقرًا بنعمة اللّه شاكرًا لها داعيًا بالثبات على الإسلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ ذلك أنه كان على خزائن الأرض وتدبيرها ووزيرًا كبيرًا للملك ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ أي: من تأويل أحاديث الكتب المنزلة وتأويل الرؤيا وغير ذلك من العلم، ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ أي: أَدِم عليَّ الإسلام وثبتني عليه حتى تتوفاني عليه، ولم يكن هذا دعاء باستعجال الموت. ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ من الأنبياء الأبرار والأصفياء الأخيار.



ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ
نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ
١٠٢ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣
وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤
وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا
وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا
وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ
أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٠٧ قُلۡ هَٰذِهِۦ
سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ
ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ
إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ
وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩ حَتَّىٰٓ
إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ
نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ
١١٠ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ
حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ
وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١

س: اذكر معنى ما يلي:

ذكرٌ ـ غاشيةٌ ـ بغتة ـ سبيلي ـ بصيرة ـ سبحان اللَّه ـ استيأس الرسل ـ فنُجِّي ـ بأسنا ـ عبرةٌ ـ لأولي الألباب ـ يُفترى.

ج:

الكلمة	معناها
ذكرٌ	عِظةٌ ـ تذكيرٌ (ليتعظوا بذلك ويتذكروا).
غاشيةٌ	شيءٌ يغشى ويحل ـ عقوبة شديدة ـ نقمةٌ شديدة.
سبيلي	طريقتي ودعوتي ـ سنتي ومنهجي وأمري.
بصيرة	علم ويقين.
سبحان اللَّه	تنزيهًا للَّه عن الشريك والولد والمعبود، وعن كل عيب ونقص.
استيأس	يئس.
نُجِّيَ	ننجِّي.
بأسنا	عذابنا الشديد.
عبرة	فكرة ـ عظة ـ تذكرة.
لأولي الألباب	لأصحاب العقول.
يفترى	يُختلق ـ يُكذب.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ ﴾ إشارة إلى ماذا؟

ج: ذلك، والله تعالى أعلم: إشارة إلىٰ ما قصَّ الله تبارك وتعالىٰ علىٰ رسوله ﷺ من قصة يوسف عليه السلام وإخوته.

* * *

س: لماذا أوحى الله إلى نبيه محمدٍ ﷺ سورة يوسف؟

ج: لذلك أسباب، منها:

أولاً: إجابة علي سؤال السائلين عن هذه القصة، كما قال تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴾.

ثانيًا: لتثبيت النبي ﷺ، وتصبيره وتسليته كما قال تعالىٰ: ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾.

ثالثًا: ليعتبر بها أولو الألباب كما قال تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالىٰ ذكره: هذا الخبر الذي أخبرتك به من خبر يوسف ووالده يعقوب وإخوته وسائر ما في هذه السورة ﴿ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ ﴾، يقول: من أخبار الغيب، الذي لم تشاهده ولم تعاينه، ولكنا نوحيه إليك ونعرِّفكه لنثبِّت به فؤادك، ونشجع به قلبك، وتصبر علىٰ ما نالك من الأذىٰ من قومك في ذات الله، وتعلم أن من قبلك من رسل الله - إذ صبروا علىٰ ما نالهم فيه، وأخذوا بالعفو، وأمروا بالعُرف، وأعرضوا عن الجاهلين - فازوا بالظفر، وأيِّدوا بالنصر، ومُكِّنوا في البلاد، وغلبوا من قصدوا من أعدائهم

وأعداء دين اللَّه.

يقول اللَّه تبارك وتعالىٰ لنبيه محمد ﷺ: فبهم يا محمد فتأسَّ، وآثارَهم فقُصَّ ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾، يقول: وما كنت حاضرًا عند إخوة يوسف، إذ أجمعوا واتفقت آراؤهم وصحت عزائمهم علىٰ أن يلقوا يوسف في غيابة الجب، وذلك كان مكرهم الذي قال اللَّه عز وجل: ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ذلك منْ أَنباء الْغيْب نُوحيه﴾ له صلة بآية في أول السورة لبيان معنًى مُعين، ولإثبات أمر معين. وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أن هذه الآية: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ...﴾ متصلةٌ بقوله تعالىٰ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ وهذا وذاك لبيان معنىٰ وهو أن النبي ﷺ لم يكن يعلم شيئًا من هذا الذي حدث كلّه، إذ هو أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب، وقومه لا يعلمون شيئًا عن هذه القصة.

ومن ثمَّ فهذا وذاك يثبتان نبوة النبي ﷺ.

قال السعدي رحمه اللَّه في «تفسيره»:

لَّما قص اللَّه هذه القصة علىٰ محمد ﷺ قال اللَّه له: ﴿ذَلِكَ﴾ النبأ الذي أخبرناك به ﴿مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ ولولا إيحاؤنا إليك لما وصل إليك هذا الخبر الجليل.

﴿و﴾ أنك ﴿مَا كُنتَ﴾ حاضرًا ﴿لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ أي: إخوة

يوسف ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ به، حين تعاقدوا علىٰ التفريق بينه وبين أبيه في حالة لا يطلع عليها إلا اللَّه تعالىٰ، ولا يمكن لأحد أن يصل إلىٰ علمها، إلا بتعليم اللَّه له إياها. كما قال تعالىٰ لما قصَّ قصة موسىٰ، وما جرىٰ له، ذكر الحال التي لا سبيل للخلق إلىٰ علمه إلا بوحيه فقال: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ الآيات، فهذا أدل دليل علىٰ أن ما جاء به رسول اللَّه حق وصدق. اهـ.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ متى كان هذا المكر؟

ج: ذلك وهم يمكرون بيوسف ﷺ لإلقائه في غيابة الجب. قاله الطبري رحمه اللَّه، وقدمناه.

وأورد بإسناد حسنٍ عن قتادة قال:

قوله: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ يعني محمداً ﷺ، يقول: ما كنت لديهم وهم يلقونه في غيابة الجب ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ أي: بيوسف.

* * *

س: قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ ما المراد بهذا المكر وعلى ماذا أجمعوا؟

ج: هذا المكر هو: مكرهم بيعقوب ويوسف عليهما السلام، مكرهم بيعقوب إذ أوهموه أنهم يريدون ليوسف أن يرتع ويلعب، ومكرهم بيوسف لإلقائه في غيابة الجب، وهذا الذي أجمعوا عليه، أجمعوا علىٰ أن يجعلوا يوسف في غيابة الجب، واللَّه أعلم.

س: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ دليل من دلائل النبوة. وضح ذلك.

ج: إيضاحه فيما ذكره الشنقيطي[1] رحمه اللَّه إذ قال:

وقد أشار تعالىٰ في هذه الآية الكريمة إلىٰ صحة نبوة نبينا ﷺ؛ لأنه أنزل عليه هذا القرآن، وفصل له هذه القصة، مع أنه ﷺ لم يكن حاضرًا لدىٰ أولاد يعقوب حين أجمعوا أمرهم علىٰ المكر به، وجعله في غيابة الجب. فلولا أن اللَّه أوحىٰ إليه ذلك ما عرفه من تلقاء نفسه.

والآيات المشيرة لإثبات رسالته بدليل إخباره بالقصص الماضية التي لا يمكنه علم حقائقها إلا عن طريق الوحي كثيرة:

* كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ الآية.

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الأَمْرَ﴾ الآية.

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ الآية.

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ الآية.

* وقوله: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلإِ الأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

* وقوله: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلا

(١) «أضواء البيان» (٣/ ٦٤).

قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا ﴾ الآية .

إلىٰ غير ذلك من الآيات .

فهذه الآيات من أوضح الأدلة علىٰ أنه ﷺ رسول كريم ، وإن كانت المعجزات الباهرة الدالة علىٰ ذلك أكثر من الحصر .

* * *

س: ما فائدة الإخبار بقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾؟

ج: ذلك والله تعالى أعلم: لمواساة رسول الله ﷺ، ولمواساة الدعاة إلىٰ الله من بعده، فإذا شعر الشخص أن أكثر الناس ليسوا بمؤمنين تعزىٰ وتسلىٰ بهذه الآية الكريمة فما عليه إلا البلاغ ، أما الهداية والتوفيق فمن الله سبحانه .

فمن ثمَّ لا يتشكك المسلم والداعي إلىٰ الله فيما هو عليه ، والله تعالىٰ أعلم .

* * *

س: ما وجه تعلق قوله تعالى: ﴿ وما أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ بالآية التي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾؟

ج: وجه هذا التعلق: لبيان أن الهداية من عند الله عزَّ وجل ، وإيضاح ذلك : أن الآيات والدلالات علىٰ نبوتك يا محمدُ، ومنها إخبارك لهم بأمور لم تكن تعلمها ـ كثيرة جداً ولكنها مهما كثرت ، ومهما أتيت بآيات فلن تنفع مَن خَتَم الله علىٰ قلبه ، فأنت يا محمد قد قصصت عليهم هذه القصة بما فيها من العبر والعظات ، وبما فيها من أمور الغيب ، ومع ذلك كله فلن يؤمنوا بك ، وكما قال تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ ،

وكما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾.

* * *

س: ما المراد بالآيات في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾؟

ج: المراد بها: الدلالات على قدرة الله عز وجل ووحدانيته، ومنها: الشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والشجر، والدواب، والمطر، والرياح، والسحاب المسخر بين السماء والأرض، واختلاف الليل والنهار، والألسنة والألوان، والموت والحياة، والصحة والمرض، والفقر والغنىٰ، والطفولة والهرم، والكهولة والشيخوخة، وغير ذلك من الآيات.

ويدخل في هذه الآيات أيضًا آثار العقوبات التي حلَّت بالأمم السالفة.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾.

ج: المراد والله أعلم: يمرون عليها لا يتفكرون فيها ولا يتدبرونها، ولا يستدلون بها علىٰ قدرة الله ووحدانيته وألوهيته.

* * *

س: كيف يؤمن أكثرهم بالله وهم مشركون؟

ج: ذلك والله أعلم، له صور، منها:

أنهم يقرون بأن الله خالقهم ورازقهم، وأنه سبحانه رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، وأنه سبحانه يُجير ولا يجار عليه، ومع ذلك كله فهم يشركون به، ويعبدون معه غيره من صنم ووثن وشجر وحجر وغير

ذلك، ويزعمون أن للَّه الولد سبحانه.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾.

وقد أورد الطبري[1] رحمه اللَّه تعالى آثارًا عدة تحمل هذا المعنى، منها:

أثر قتادة بإسناد حسن قال: قوله تعالىٰ ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ في إيمانهم هذا، إنك لست تلقىٰ أحدًا منهم إلا أنبأك أن اللَّه ربَّه، وهو الذي خلقه ورزقه، وهو مشرك في عبادته.

وأخرج أيضًا بإسناد صحيح عن ابن زيد قال:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ﴾ الآية، قال: ليس أحدٌ يعبد مع اللَّه غيره إلا وهو مؤمن باللَّه، ويعرف أن اللَّه ربه، وأن اللَّه خالقه ورازقه، وهو يشرك به. ألا ترىٰ كيف قال إبراهيم: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾؟ قد عرف أنهم يعبدون رب العالمين مع ما يعبدون. قال: فليس أحد يشرك به إلا وهو مؤمن به، ألا ترىٰ كيف كانت العرب تلبِّي تقول: «لبيك اللَّهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك»؟ المشركون كانوا يقولون هذا!!

(١) وثمَّ آثارٌ عن ابن عباس رضي الله عنهما وفي السند إليه بها مقالٌ.

س: الإيمان والشرك بينهما منافاة، فكيف يؤمن شخص وهو مشرك؟

ج: أورد الشنقيطي رحمه اللَّه نحو هذا السؤال وأجاب عليه بقوله:

لم أرَ من شفى الغليل في هذا الإشكال، والذي يظهر لي - واللَّه تعالى أعلم - أن هذا الإيمان المقيد بحال الشرك إنما هو إيمان لغوي لا شرعي؛ لأن من يعبد مع اللَّه غيره لا يصدق عليه اسم الإيمان ألبتة شرعًا، أما الإيمان اللغوي فهو يشمل كل تصديق، فتصديق الكافر بأن اللَّه هو الخالق الرازق يصدق عليه اسم الإيمان لغة مع كفره باللَّه، ولا يصدق عليه اسم الإيمان شرعًا.

وإذا حققت ذلك علمت أن الإيمان اللغوي يجامع الشرك، فلا إشكال في تقييده به، وكذلك الإسلام الموجود دون الإيمان في قوله تعالى: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فهو الإسلام اللغوي؛ لأن الإسلام الشرعي لا يوجد ممن لم يدخل الإيمان في قلبه، والعلم عند اللَّه تعالى.

وقال بعض العلماء: نزلت آية: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ في قول الكفار في تلبيتهم: «لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك» وهو راجع إلى ما ذكرنا.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾.

ج: المعنى واللَّه أعلم: أفأمن هؤلاء الغافلون عن ذكر اللَّه المعرضون عن توحيده وشرعه وعبادته أن تأتيهم غاشية من عذاب اللَّه تحل بهم وتغشاهم

فجأة وهم لا يتوقعونها، أو يأتيهم يوم القيامة وهم لا يشعرون فيخلدهم اللَّه في الجحيم؟!

وبنحو هذا قال الطبري رحمه اللَّه فقد قال:

يقول جل ثناؤه: أفأمن هؤلاء الذين لا يقرُّون بأن اللَّه ربهم إلا وهم مشركون في عبادتهم إياه غيره ﴿أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ تغشاهم من عقوبة اللَّه وعذابه على شركهم باللَّه، أو تأتيهم القيامة فجأة وهم مقيمون على شركهم وكفرهم بربِّهم، فيخلدهم اللَّه عز وجل في ناره، وهم لا يدرون بمجيئها وقيامها.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾.

ج: قال ابن القيم رحمه اللَّه[١]:

قول اللَّه تعالى ذكره: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ قال الفراء وجماعة: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ معطوف على الضمير في ﴿أَدْعُو﴾ يعني: أنا ومن اتبعني يدعو إلى اللَّه كما أدعو، وهذا قول الكلبي، قال: حق على كل من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه، ويذكر بالقرآن والموعظة.

ويقوِّي هذا القول من وجوه كثيرة:

قال ابن الأنباري:

ويجوز أن يتم الكلام عند قوله: ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ ثم يبتدئ بقوله: ﴿عَلَىٰ

---

(١) نقلاً عن «التفسير القيِّم».

بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ فيكون الكلام على قوله جملتين، أخبر في أولاهما أنه يدعو إلى اللَّه، وفي الثانية: بأنه مع أتباعه على بصيرة، والقولان متلازمان، فلا يكون الرجل من أتباعه حقًا حتى يدعو إلى ما دعا إليه، ويكون على بصيرة.

وقول الفراء أحسن وأقرب إلى الفصاحة والبلاغة.

وإذا كانت الدعوة إلى اللَّه أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها؛ فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد أقصى يصل إليه السعي، ويكفي هذا في شرف العلم: أن صاحبه يحوز به هذا المقام، واللَّه يؤتي فضله من يشاء.

وقال الطبري رحمه اللَّه:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد: هذه الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها، من الدعاء إلى توحيد اللَّه، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاء إلى طاعته وترك معصيته ﴿سَبِيلِي﴾، وطريقتي ودعوتي، أدعو إلى اللَّه وحده لا شريك له، ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ بذلك ويقين عليم مني به أنا، ويدعو إليه على بصيرة أيضًا من اتبعني وصدقني وآمن بي. ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ يقول له تعالى ذكره: وقل: تنزيهًا للَّه وتعظيمًا له من أن يكون له شريك في ملكه، أو معبود سواه في سلطانه.

﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يقول: وأنا بريءٌ من أهل الشرك به، لست منهم ولا هم مني.

* * *

س: هل من النساء رسل؟

ج: ليس من النساء رسل، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾.

هذا، وقد زعم البعض أن سارة، وأم موسىٰ ومريم نبيات؛ أما سارة فلكون الملائكة بشرتها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾.

وأما أم موسىٰ فلقوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

وأما مريم فلقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ...﴾.

وهذا الذي ذُكر من القول بأنهن نبيات مدفوع بما قدمناه من الآية الكريمة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم﴾.

* * *

س: كيف تجمع بين قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ وبين قوله: ﴿وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾؟

ج: قال القرطبي رحمه اللَّه:

﴿وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾ يروىٰ: أن مسكن يعقوب كان بأرض كنعان، وكانوا أهل مواشٍ وبرية؛ وقيل: كان يعقوب تحول إلىٰ البادية وسكنها، وأن اللَّه لم يبعث نبيًا من أهل البادية. وقيل: إنه كان خرج إلىٰ بدًا، وهو

موضع؛ وإياه عنىٰ جَميل بقوله:

وأنتِ التي حَبَّبْتِ شَغْبًا إلى بَدَا إليَّ وأوطانِي بلادٌ سِواهُما

وليعقوب بهذا الموضع مسجد تحت جبل.

يقال: بدا القوم بَدْوًا إذا أتوا بَدَا، كما يقال: غاروا غَورًا إذا أتوا الغور.

والمعنى: وجاء بكم من مكان بَدًا. ذكره القشيريّ، وحكاه الماورديُّ عن الضحاك عن ابن عباس.

* * *

س: هل يشرع المسير في الأرض للنظر والاعتبار بأحوال الظالمين؟

ج: نعم، يشرع ذلك لقوله تعالىٰ: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**﴾.

ولقوله تعالىٰ: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا**﴾.

ج: أولاً: في الآية قراءتان مشهورتان:

إحداهما: في المصحف الذي بين أيدينا ﴿**كُذِبُوا**﴾ مخففةً، وهذا الوجه هو الذي كان يذهب إليه ابن عباس رضي اللَّه عنهما.

الثاني: قراءة من قرأ من أهل العلم: ﴿**كذبوا**﴾ مشدَّدة، وهي القراءة التي اختارتها أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها، وأنكرت ما سواها إنكارًا شديدًا.

ثانيـــاً: نورد هاهنا ما ورد عن ابن عباس وعائشة رضي اللَّه عنهما في ذلك، وما ورد عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه كذلك:

أخرج البخاري[١] من طريق ابن أبي مليكة قال: قال ابن عباس[٢] رضي اللَّه عنهما: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ خفيفة ذهب بها هناك وتلا ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ فلقيتُ عروة بن الزُّبير فذكرت له ذلك.

---

(١) البخاري (حديث ٤٥٢٤، ٤٥٢٥).

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (٨/ ٢١٩) قال الخطابي:
لا شك أن ابن عباس لا يجيز على الرسل أنها تكذب بالوحي، ولا يشك في صدق المخبر، فيحمل كلامه على أنه أراد أنهم لطول البلاء عليهم وإبطاء النصر وشدة استنجاز من وعدوه به توهموا أن الذي جاءهم من الوحي كان حسبانًا من أنفسهم وظنوا عليها الغلط في تلقي ما ورد عليهم من ذلك، فيكون الذي بنى له الفعل أنفسهم لا الآتي بالوحي، والمراد بالكذب: الغلط لا حقيقة الكذب كما يقول القائل: كذبتك نفسك.
قلت: ويؤيده قراءة مجاهد: ﴿وظنوا أنهم قد كَذبوا﴾ بفتح أوله مع التخفيف أي: غلطوا، ويكون فاعل ﴿وظنوا﴾ الرسل، ويحتمل أن يكون أتباعهم، ويؤيده ما رواه الطبري بأسانيد متنوعة من طريق عمران بن الحارث وسعيد بن جبير وأبي الضحى وعلي بن أبي طلحة والعوفي كلهم عن ابن عباس في هذه الآية قال: أيس الرسل من إيمان قومهم، وظن قومهم أن الرسل كذبوا.
وقال الزمخشري: إن صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في النفس من الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية، وأما الظن وهو ترجيح أحد الطرفين فلا يظن بالمسلم فضلاً عن الرسول.
وقال أبو نصر القشيري: ولا يبعد أن المراد: خطر بقلب الرسل فصرفوه عن أنفسهم، أو المعنى: قربوا من الظن كما يقال: بلغت المنزل إذا قربت منه.
وقال الترمذي الحكيم: وجهه أن الرسل كانت تخاف بعد أن وعدهم الله النصر أن يتخلف النصر، لا من تهمة بوعد الله بل لتهمة النفوس أن تكون قد أحدثت حدثًا ينقض ذلك =

. . . .

= الشرط، فكان الأمر إذا طال واشتد البلاء عليهم دخلهم الظن من هذه الجهة.

قلت: ولا يظن بابن عباس أنه يجوز على الرسول أن نفسه تحدثه بأن الله يخلف وعده، بل الذي يظن بابن عباس أنه أراد بقوله: «كانوا بشراً» إلى آخر كلامه من آمن من أتباع الرسل لا نفس الرسل، وقول الراوي عنه: «ذهب بها هناك» أي: إلى السماء معناه أن أتباع الرسل ظنوا أن ما وعدهم به الرسل على لسان الملك تخلف، ولا مانع أن يقع ذلك في خواطر بعض الأتباع.

وعجب لابن الأنباريّ في جزمه بأنه لا يصح. ثم الزمخشري في توقفه عن صحة ذلك عن ابن عباس، فإنه صح عنه، لكن لم يأت عنه التصريح بأن الرسل هم الذين ظنوا ذلك، ولا يلزم ذلك من قراءة التخفيف، بل الضمير في ﴿وظنوا﴾ عائد على المرسل إليهم، وفي ﴿وكذبوا﴾ عائد على الرسل أي: وظن المرسل إليهم أن الرسل كذبوا، أو الضمائر للرسل والمعنى: يئس الرسل من النصر وتوهموا أن أنفسهم كذبتهم حين حدثتهم بقرب النصر، أو كذبهم رجاؤهم. أو الضمائر كلها للمرسل إليهم أي: يئس الرسل من إيمان من أرسلوا إليه، وظن المرسل إليهم أن الرسل كذبوهم في جميع ما ادعوه من النبوة والوعد بالنصر لمن أطاعهم والوعيد بالعذاب لمن لم يجبهم، وإذا كان ذلك محتملاً وجب تنزيه ابن عباس عن تجويزه ذلك على الرسل، ويحمل إنكار عائشة على ظاهر مساقهم من إطلاق المنقول عنه.

وقد روى الطبري أن سعيد بن جبير سئل عن هذه الآية فقال: يئس الرسل من قومهم أن يصدقوهم، وظن المرسل إليهم أن الرسل كذبوا. فقال الضحاك بن مزاحم لما سمعه: لو رحلت إلى اليمن في هذه الكلمة لكان قليلاً. فهذا سعيد بن جبير وهو من أكابر أصحاب ابن عباس العارفين بكلامه حمل الآية على الاحتمال الأخير الذي ذكرته.

وعن مسلم بن يسار أنه سأل سعيد بن جبير، فقال له: آية بلغت مني كل مبلغ، فقرأ هذه الآية بالتخفيف، قال: في هذا ألوت أن تظن الرسل ذلك، فأجابه بنحو ذلك، فقال: فرَّجْتَ عنّي فرَّجَ اللهُ عنك، وقام إليه فاعتنقه. وجاء ذلك من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس نفسه، فعند النسائي من طريق أخرى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿قد كذبوا﴾ قال: استيأس الرسل من إيمان قومهم، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم. وإسناده حسن.

فليكن هو المعتمد في تأويل ما جاء عن ابن عباس في ذلك، وهو أعلم بمراد نفسه من غيره.

فقال: قالت عائشة: معاذَ اللَّه، واللَّه ما وعدَ اللَّه رسوله من شيء قطُّ إلا علمَ أنهُ كائنٌ قبلَ أن يموت، ولكن لم يزَلِ البلاءُ بالرُّسُلِ حتىٰ خافوا أن يكون من معهم يكذبونهم. فكانت تقرؤها: ﴿وظنوا أنهم كُذِّبوا﴾ مُثقَّلة.

وأخرج البخاري[1] أيضًا من طريق ابن شهاب قال:

أخبرني عروة بن الزبير عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت له وهو يسألها عن قول اللَّه تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾ قال: قلت: أكُذِبوا أم كذِّبوا؟ قالت عائشة: كذِّبوا. قلتُ: فقد استيقنوا أنَّ قومهم كذَّبوهم، فما هو بالظنّ؟ قالت: أجل لعَمري، لقد استيقنوا بذلك. فقلتُ لها: وظنوا أنهم قد كُذبوا؟ قالت: معاذ اللَّه، لم تكن الرسلُ تظنُّ ذلك بربِّها. قلت: فما هذه الآية؟ قالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدَّقوهم، فطال عليهم البلاءُ واستأخَرَ عنهُم النصرُ، حتىٰ إذا استيأس الرسُل ممن كذَّبهم من قومِهم، وظنَّت الرُّسل أنَّ أتباعهم قد كذَّبوهم جاءهم نصر اللَّه عند ذلك.

وأخرج الطبري[2] من طريق مسروق:

أن رجلاً سأل عبد اللَّه بن مسعود: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾؟ قال: هو الذي تكره؛ مخففةً.

ثالثًا: بالنسبة لوجوه التأويل:

فمن قرأها (كُذِبوا) مخففةً فوجه التأويل عندهم حاصله: أن الرسل

---

(١) البخاري (٤٦٩٥).

(٢) الطبري (٢٠٠٢٦) وإسناده صحيح، إن كان أبو عامر (وهو أحد رجال الإسناد) هو العَقَدي.

صلوات اللَّه وسلامه عليهم أيسوا من إيمان قومهم ومن استجابتهم، وظنوا ـ أي ظن المرسلون ـ أنهم قد أُخلفوا ما وُعدوا به من النصر ومن هزيمة الكافرين، فالرسل عليهم الصلاة والسلام بشرٌ يجري فيهم ما يجري في البشر، فبلغ بهم عليهم الصلاة والسلام الكرب مبلغًا شديدًا كما قال تعالىٰ ﴿ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ﴾.

وهذا هو اختيار ابن عباس وابن مسعود وحاصل كلامهما رضي اللَّه عنهما ومعناه.

وقد كانت عائشة رضي اللَّه عنها تنكره أشد الإنكار.

ووجه آخر:

أن الأمم التي أرسل إليها المرسلون ظنوا أن المرسلين قد أُخلفوا ما وُعدوا به من النصر والتمكين.

وثم وجه ثالث لمن قرأها مخففة، لكن قرأها (كَذَبوا) بفتح الكاف: بفتح الكاف، وهذا الوجه حاصله أن الرسل أيست من إيمان قومها ومن استجابتهم وظنوا ـ أي ظن القوم الذين أرسلت إليهم الرسل ـ أن الرسل قد كَذبوا عليهم فيما أخبروهم به من نصر أهل الإيمان علىٰ أهل الكفر، ومن إنزال العذاب علىٰ الكافرين.

فعلىٰ ذلك قراءة (كَذَبوا) عند هؤلاء بفتح الكاف والذال.

أما قراءة من قرأها مشددة (كُذِّبوا) فوجه التأويل عندهم: حاصله أن الرسل عليهم الصلاة والسلام ظنوا أن أقوامهم قد كذَّبوهم.

وثم وجه آخر، وهو أن الظن هنا بمعنى اليقين:

والمعنى: وظنوا: أي: (علموا وأيقنوا، والذين علموا وأيقنوا هم الرسل) أن أممهم قد كذبتهم.

هذا حاصل الاختلاف في هذا الباب، وقد انتصر لكل قولٍ فريق من أهل العلم، واللَّه أعلم بوجه الصواب من تأويل كتابه، والأنبياء بشر عليهم الصلاة والسلام، وهم أفضل البشر علىٰ الإطلاق، وأعلمهم باللَّه، وأمره ونهيه، وحلاله وحرامه، وشرعه وأخباره صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين.

* * *

س: ما وجه الاعتبار بالقصص؟

ج: وجه ذلك: في النظر إلىٰ إنجاء اللَّه عز وجل للمؤمنين وبيان أن العاقبة للتقوىٰ.

ووجه أيضًا: ببيان ما حلَّ بالكافرين من أليم العذاب وشديد العقاب، وكما قال تعالىٰ في شأن قوم لوط وما حلَّ بهم: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

* * *

س: ما المراد بالحديث في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾؟

ج: المراد بالحديث هنا: القرآن، وذلك لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ﴾.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾؟

ج: المعنى والله أعلم: لقد كان في قصص المرسلين عبرة وعظة للمعتبرين والمتعظين من أصحاب العقول يعتبرون بها ويتعظون ويعلمون أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن العاقبة للتقوىٰ، وأن الله ينصر أهل التوحيد ويؤيدهم وينصر المظلومين، ويُنقذهم ويبرؤهم، وإن طالت الأيام ومرت السنون.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالىٰ ذكره: لقد كان في قصص يوسف وإخوته عبرة لأهل الحِجىٰ والعقول يعتبرون بها، وموعظة يتعظون بها؛ وذلك أن الله جل ثناؤه بعد أن أُلقي يوسف في الجب ليهلك، ثم بِيع بَيع العبيد بالخسيس من الثمن، وبعد الإسار والحبس الطويل، ملّكه مصر، ومكّن له في الأرض، وأعلاه علىٰ من بغاه سوءًا من إخوته، وجمع بينه وبين والديه وإخوته بقدرته، بعد المدة الطويلة، وجاء بهم إليه من الشُّقَّة النائية البعيدة، فقال جل ثناؤه للمشركين من قريش من قوم نبيِّه محمد ﷺ: لقد كان لكم، أيها القوم، في قصصهم عبرةٌ لو اعتبرتم به، أن الذي فعل ذلك بيوسف وإخوته لا يتعذَّر عليه فعل مثله بمحمدٍ ﷺ فيخرجه من بين أظهركم، ثم يظهره عليكم، ويمكن له في البلاد، ويؤيده بالجند والرجال من الأتباع والأصحاب، وإن مرَّت به شدائد وأتت دونه الأيام والليالي والدهور والأزمان.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾.

ج: المعنى، والله أعلم: لم يكن هذا القرآن الكريم حديثًا يُختلق ويُفترىٰ مثله بحالٍ من الأحوالِ.

* * *

س: ما المراد بـ﴿الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾؟

ج: المراد، والله أعلم: الكتب التي سبقته كالتوراة والإنجيل.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم: أن القرآن يصدق الحق[1] في الكتب التي قبله، وذلك من وجهين:

أحدهما: أن القرآن الكريم يُخبر بأخبار أخبرت بها الكتب التي قبله فمن ثمَّ فهو يصدقها.

الثاني: أن نزول القرآن الكريم تصديق للكتب التي قبله فالكتب التي قبله أخبرت به، وأنه سينزل فإذا لم ينزل فستكذب الكتب التي أخبرت بنزوله، فلما نزل كان نزوله دليلاً علىٰ صدقها، والله أعلم.

* * *

س: هل القرآن هدًى للمؤمنين فقط؟

ج: لما كان المؤمنون هم المنتفعون بالقرآن، كان القرآن هاديًا لهم وموفقًا

(١) وإلا فقد حرفوا في كتبهم وزادوا ونقصوا، فأبان الله بهذا القرآن أوجه الصواب من أوجه الخلل والعبث التي زادتها أيدي المث[illegible]

لهم.

أما كونه هدًىٰ: (من باب هداية الدلالة) فهو هدىٰ للجميع بمعنىٰ أنه يدل الجميع علىٰ طريق ربهم وطريق جنته، لكن بعد ذلك منهم من ينتفع بهداه ومنهم من لا ينتفع، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَى ﴾.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم: أن هذا القرآن يبين لأهل الإيمان المصدقين بالقرآن طريقهم إلىٰ جنة ربهم وإلىٰ رضوانه، ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه، ينقذه الله به من أليم عقابه وعظيم سخطه، ويورثه به جنة الخلد والنعيم المقيم.

* * *

أسئلة عامة حول هذه السورة المباركة

س: اذكر من السورة الكريمة ما يدل على البدء بالأهم.

ج: مما يدل على ذلك ما يلي:

* قول يعقوب عليه السلام لما فقد ولديه الآخرين: ﴿**يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ**﴾، فأنساه يوسف ولديه الآخرين.

* تعليم يوسف السجينين الذين معه في السجن التوحيد قبل تفسير الرؤيا لهما.

* * *

س: اذكر بعض الآداب المستفادة من سيرة نبي اللَّه يوسف ﷺ، والتي ينبغي أن يتحلى بها القائد والقائم على العمل عمومًا.

ج: من ذلك ما يلي:

* **الصدق**: فقد اتسمت سيرة نبي اللَّه يوسف عليه السلام بالصدق، ومن ثمَّ وصفه الفتى بالصدِّيق، إذ قال: ﴿**يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ**﴾.

* إكرام العشيرة: وهذا واضح من قوله ﴿**اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾، ومن قوله: ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ**﴾.

* ومن ذلك العفو عند المقدرة، وذلك من قوله: ﴿**لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾.

* العفة عن الحرام: وذلك من إبائه وإصراره على الامتناع عن المعصية والكبيرة وذلك مأخوذ من قوله: ﴿**مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ**

الظَّالِمُونَ ﴾، وقوله: ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾.

* الثقة في النفس: وذلك من قوله: ﴿ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ وقوله ﴿ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾.

* القوة والقدرة على العمل مع الأمانة فيه: وذلك مأخوذ من قوله: ﴿ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾.

* ومن ذلك: الرفق واللين عند الاحتياج إليهما، والحزم والشدة إذا احتاج الأمر إليهما أيضًا: وذلك من قوله: ﴿ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ ثم قوله: ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلا تَقْرَبُونِ ﴾.

* الحلم وضبط النفس وكظم الغيظ: وذلك من قوله تعالىٰ: ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾ مع ما اتهم به هو وأخوه.

* الصبر والتواضع والتذكير بفضل اللَّه: وهذا مأخوذ من قوله: ﴿ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

والصبر مأخوذ من عموم سيرته ومن قوله: ﴿ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾.

* المعرفة بالحيل وتدبير الأمور: وذلك مأخوذ من تدبيره لأخذ أخيه من جعل السقاية في رحل أخيه، والبدء برحل أخيه قبل رحال إخوته، وغير ذلك مما صدر عنه في هذا الباب.

* العلم بأمور الدين وأمور الدنيا.

* النزاهة والبراءة من التهم والرِّيب ودفع الشُّبه والشكوك عن النفس: وذلك مأخوذ من قوله: ﴿ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾.

* قوة البصيرة ونفاذها: وذلك من قوله: ﴿ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾.

* التماس المعاذير للناس وعدم إعانة الشيطان عليهم: وذلك مأخوذ من قوله: ﴿ مِنْ بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾.

* انتفاء الظلم وعدم أخذ شخص بجريرة غيره: وذلك مأخوذ من قوله: ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴾.

* الدعوة إلى اللَّه وإلى توحيده وعبادته والتحذير من الشرك وخطره: وذلك مأخوذ من دعوته للسجينين من قوله: ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾.

* مواساة من يحتاج إلى مواساة: وذلك مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

** الاعتراف بالضعف والقصور للَّه سبحانه وتعالى، وسؤاله العون: وذلك مأخوذ من قوله: ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾.

*** الاعتراف والإقرار الدائم بالفضل، والشكر والثناء على اللَّه: ذلك مأخوذ من قوله: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ

الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ .

* المداومة على الصلاح حتى الممات: وذلك مأخوذ من قوله : ﴿**تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾ .

وقد أورد القاسمي رحمه الله نحو هذا في «محاسن التأويل» فقال:

قال علماء الأخلاق والحكماء: لا ينتظم أمر الأمة إلا بمصلحين، ورجال أعمال قائمين، فضلاء مرشدين هادين لهم شروط معلومة وأخلاق معهودة، فإن كان القائم بالأعمال نبيًا فله أربعون خصلة ذكروها. كلها آداب وفضائل بها يسوس أمته. وإن كان رئيسًا فاضلاً لمدينة فاضلة، اكتفوا من الشروط الأربعين ببعضها. وسيدنا يوسف عليه السلام حاز من كمال المرسلين وجمال النبيين. ولقد جاء في سيرته هذه ما يتخذه عقلاء الأمم هدًى لاختيار الأكفاء في مهام الأعمال؛ إذ قد حاز الملك والنبوة، ونحن لا قبل لنا بالنبوة لانقطاعها، وإنما نذكر ما يليق بمقام رئاسة المدينة الفاضلة، ولنذكر منها ثلاث عشرة خصلة هي أهم خصال رئيس المدينة الفاضلة لتكون ذكرى لمن يتفكر في القرآن، وتنبيهًا للمتعلمين العاشقين للفضائل على نفائس الكتاب العظيم، وحبًا في نظرهم في القرآن، وليعلموا أن تلك القصص وقد أودعت ما لم يكن ليخطر على بال من سمعه للتغني به ومجرد اللّهو اللعب.

أهم ما شرطه الحكماء في رئيس المدينة الفاضلة:

١ ـ العفة عن الشهوات: ليضبط نفسه وتتوافر قوته النفسية : ﴿**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ .

٢ ـ الحلم عند الغضب؛ ليضبط نفسه: ﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾.

٣ ـ وضع اللين في موضعه، والشدة في موضعها: ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ۝٥٩ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلا تَقْرَبُونِ ﴾ والصدر للين والعجز للشدة.

٤ ـ ثقته بنفسه: ﴿ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾.

٥ ـ قوة الذاكرة: ليمكنه تذكر ما غاب ومضىٰ له سنون، ليضبط السياسات ويعرف للناس أعمالهم: ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾.

٦ ـ جودة المصوِّرة والقوة المخيِّلة: حتىٰ تأتي بالأشياء تامة الوضوح ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾.

٧ ـ استعداده للعلم وحبه له وتمكنه منه: ﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴾، ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾، ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ﴾.

٨ ـ شفقته على الضعفاء وتواضعه مع جلال قدره وعلو منصبه: فخاطب الفتيين المسجونين بالتواضع فقال: ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ... ﴾ الآية، وحادثهما في أمور دينهما ودنياهما، فالأول بقوله: ﴿ لا يَأْتِيكُمَا

طَعَامٌ تُرْزَقَانه إلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بتَأْويله﴾، والثاني بقوله: ﴿إنِّي تركْتُ ملَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمنُونَ باللَّه...﴾ الآية، وشهدا له بقولهما: ﴿إنَّا نرَاكَ منَ الْمُحْسنينَ﴾.

٩ ـ العفو مع القدرة: ﴿قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحمينَ﴾.

١٠ ـ إكرام العشيرة: ﴿وَأْتُوني بأَهْلكُمْ أَجْمَعينَ﴾.

١١ ـ قوة البيان والفصاحة: بتعبيره عن رؤيا الملك، واقتداره على الأخذ بأفئدة الراعي والرعية والسوقة، ما كان هذا إلا بالفصاحة المبنية على العلم والحكمة ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكينٌ أَمينٌ﴾.

١٢ ـ حسن التدبير: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ في سُنْبُله...﴾ الآية.

ثم تأمل في اقتدار يوسف عليه السلام على سياسة الملك، وكيف اجتذب إليه القلوب بالإحسان ﴿وَقَالَ لفتْيَانه اجْعَلُوا بضَاعَتَهُمْ...﴾ الآية، ودبر الحيلة العجيبة بمسألة الصواع والاتهام بالسرقة ليضم أخاه إليه ﴿فَبَدَأَ بأَوْعيَتهمْ...﴾ الآية، وعامل المحكومين بشرعهم ودينهم وملّتهم وعادتهم، كما عليه جميع الأمم الشرقية الحية من الرفق بالأمة المحكومة لهم، فيسوسونهم بدينهم وعادتهم وشرعهم وأخلاقهم وأموالهم اتباعًا لمن رسمته الشريعة الغرَّاء مما يناسب حكم سيدنا يوسف عليه السلام، وذلك أنه أمر أتباعه أن يسألوهم ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إن كُنتُمْ كَاذبينَ﴾ الآية، فكانت شريعة بني يعقوب أن يستعبدوا السارق سنة عند صاحب المتاع، فعاملهم بما هم عليه، ولذلك يقول اللَّه تعالى: ﴿مَا كَانَ ليَأْخُذَ أَخَاهُ في دين الْمَلك إلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذي علْمٍ عَليمٌ﴾، امتداح على

حسن خطته في السياسة، ومراعاته عادة أولئك القوم وهذه - وإن كانت مسألة بسيطة الظاهر - فهي أم السياسة ورأس علوم العمران، وأول ما يوصى به السواس والعقلاء.

تالله ما أجمل القرآن، وما أبهج العلم! وليت شعري كيف يقول الله بعدها: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾، ولولا ما فيها من مبدأ شريف وحكم عالية مع وضوحها وبساطتها لذوي النظر السطحيّ والبُلْه الغُفَّل، ما أعطاها هذا الجلال والإعظام ومدح العلم! فحيا الله العلم وأدام دولته.

* * *

س: اذكر من هذه السورة الكريمة ما يدل على فضل العلم على الجمال.

ج: إيضاح ذلك: أن جمال يوسف عليه السلام مع إصراره على البعد عن الفاحشة كان سببًا في دخوله السجن.

والعلم الذي أيد الله به يوسف عليه السلام كان سببًا في خروجه من السجن.

* * *

س: اذكر من السورة الكريمة ما يدل على جواز إجابة السائل بأكثر مما سأل.

ج: مما يدل على ذلك: قول يوسف عليه السلام للسجينين، وقد سألاه تفسير الرؤيا: ﴿لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا...﴾.

ومن ذلك أيضًا قوله لرسول الملك: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾.

وقوله أيضًا: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾، فلم يسألوه عن هذا.



س: فريق من الناس حظُّه من سورة يوسف سماع الصوت الحسن وجودة القراءة بغض النظر عما تحمله هذه السورة الكريمة من معانٍ. وضح ذلك.

ج: إيضاحه فيما ذكره القاسمي رحمه اللَّه حيث قال:

فتأمل، كيف كانت هذه السورة يقرؤها القارئون، ويسمعها الجاهلون وهم عن آياتها معرضون! فإذا سمعوا صوتًا حسنًا ظنوا أن هذا هو جمال القرآن، فقالوا للقارئ: سبحان من أعطاك! وفرحوا بما عندهم من العلم بظواهر ورونق القراءة أو مجرد التفسير ومعرفة القصة، ولم ينظروا إلىٰ الحكم المودعة فيها، فقُبح الجهل! يترك الرجل أعمىٰ وإن لبس الحلل وارتدىٰ ثياب الفخار الكاذب والسراب الخداع.. كم للإنسان من آيات وعبر في السموات والأرض فيعرض عنها! خلقت لنا الأبصار والأسماع والعقول لننظر ماذا في السموات والأرض مما ذرأ المبدع في الكون، وتلا القرآن ـ وهو كلام مبدع الكون ـ وتلطف في تصوير المعاني، وألبسها أجمل الثياب، فأعرض العقلاء فضلاً عن العامة، فما للعامة لا يتعلمون؟! وما لذوي البصائر لا ينصحون ولا يبينون؟! وما للناس لا يكادون يفقهون؟!

وذكرنا نموذجًا عن هذه السورة استنشاطًا لهمم العقلاء ، وحثًا لمن لهم ذكاء وفطن وعقول راجحة على الرجوع إلى كتابهم ونظرهم فيه ، وإزالة لشبه من ارتاب في هذه القصص فأعرض ، وجليّ أن قصص القرآن جميعها مملوءة بالحكم كهذه القصة ، وفي كل واحدة منها ما ليس في الأخرى كأنها ثمرات مختلف لونها ، أين من يفقه هذا ممن يقف مع ألفاظها وهم عن أياتها معرضون؟ ولا عجب فإن نفوس الأسافل تأخذ الحكمة فترجعها من أفق سمائها إلى أرض ضعتها ، كما يصير الماء في شجرة الحنظل مراً . فيقصدها هذا للنغمات ، وذلك لقصة بسيطة ، وآخر تسلية وتضييعًا للزمن ، وآخر يقف عند الألفاظ وإعرابها وصرفها وبلاغتها ، ولكن هذا أرقى مما قبله ؛ فقد سار في الطريق وهي الألفاظ ، ولكن هيهات أن يصل للمقصود والثمرات إلا إذا أعدَّ تلك القواعد مقدمة للمقصود وبحث فيه ، وآخرون يسمعون الآيات فيعرضونها على التاريخ ، والمؤرخون مختلفون كما قدمنا ، وما مثل هؤلاء في سيرهم إلا كمثل رجل أوتي آلة بخارية ليسقي بها الحرث من النهر ، فجلس بجانبها وترك استعمالها وأخذ يتفكر : من أين هذا الحديد؟ ولم يجلب الماء؟ وإلى أي مسافة يرتفع ، وما العلة فيه ، ومن أين يأتي الفحم الحجري ، وفي أي الطرق يسير إلى أن يصل إلينا؟ فيمر عليه شهر وشهران فيذبل زرعه وتبور أرضه ، ذلك مثل من يقرأ القرآن ويجعل جل عنايته تطبيقه على كلام المؤرخين أو قواعد النحويين أو الصرفيين وعلماء البلاغة فحسب ، اللَّهم إلا قدرًا يسيرًا للفهم ، وهذا ـ لعمر اللَّه ـ انتكاس على الرأس ، واتخاذ الوسيلة مقصدًا كمثل من أراد الحج فجعل همته إعداد الذخائر سنين فاختطفته المنون وفارق الحياة ولم يحج ، ذلك مثلهم . انتهى .

* * *

س: في سورة يوسف طائفة من المعجزات والكرامات. اذكر بعضها.

ج: **من ذلك:** أن يعقوب عليه السلام وجد ريح يوسف من مسافات شاسعة.

ومن ذلك: ارتداد بصر يعقوب إليه بعد العمىٰ لمّا ألقي القميص علىٰ وجهه.

ومن ذلك: تحقق الرؤىٰ كما أخبر يوسف عليه السلام.

ومن ذلك: الإخبار ببعض الأمور الغيبية بإذن اللَّه، وذلك في قوله: ﴿ **لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا** ﴾.

* * *

س: كما أن نبي اللَّه يوسف عليه السلام أوذي وابتلي فإن نبينا محمداً ﷺ قد أوذي إيذاءً أشد وابتلي ابتلاءً أشد. وضح ذلك.

ج: إيضاحه فيما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه حيث قال:

واختيار النبي ﷺ له ولأهله الاحتباس في شعب بني هاشم بضع سنين، لا يُبايَعون، ولا يُشارَون، وصبيانهم يتضاغون من الجوع، قد هجرهم وقلاهم قومُهم، وغيرُ قومهم. هذا أكمل من حال يوسف عليه السلام.

فإن هؤلاء كانوا يدعون الرسول إلىٰ الشرك، وأن يقول علىٰ اللَّه غير الحق يقول: ما أرسلني ولا نهىٰ عن الشرك. وقد قال تعالىٰ: ﴿ **وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً (٧٦) سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً** ﴾.

وكان كذب هؤلاء علىٰ النبي ﷺ أعظم من الكذب علىٰ يوسف؛ فإنهم قالوا: إنه ساحر، وإنه كاهن، وإنه مجنون، وإنه مفتر، وكل واحدة من

هؤلاء أعظم من الزنا والقذف، لا سيما الزنا المستور الذي لا يدري به أحد. فإن يوسف كذب عليه في أنه زنىٰ، وأنه قذفها وأشاع عنها الفاحشة، فكان الكذب علىٰ النبي ﷺ أعظم من الكذب علىٰ يوسف.

وكذلك الكذب علىٰ أولي العزم، مثل نوح وموسىٰ حيث يقال عن الواحد منهم: إنه مجنون، وإنه كذاب، يكذب علىٰ اللَّه، وما لقي النبي ﷺ وأصحابه من أذىٰ المشركين أعظم من مجرد الحبس، فإن يوسف حبس وسكت عنه، والنبي ﷺ وأصحابه كانوا يُؤذَون بالأقوال والأفعال مع منعهم من تصرفاتهم المعتادة.

وهذا معنىٰ الحبس، فإنه ليس المقصود بالحبس سُكْناه في السجن، بل المراد منعه من التصرف المعتاد والنبي ﷺ لم يكن له حبس، ولا لأبي بكر، بل أول من اتخذ السجن عمر، وكان النبي ﷺ يسلم الغريم إلىٰ غريمه، ويقول: «ما فعل أسيرك» فيجعله أسيراً معه، حتىٰ يقضيه حقه، وهذا هو المطلوب من الحبس.

والصحابة رضي اللَّه عنهم منعوهم من التصرف بمكة أذًىٰ لهم، حتىٰ خرج كثير منهم إلىٰ أرض الحبشة، فاختاروا السكنىٰ بين أولئك النصارىٰ عند ملك عادل علىٰ السكنىٰ بين قومهم، والباقون أخرجوا من ديارهم وأموالهم أيضًا مع ما آذوهم به، حتىٰ قتلوا بعضهم، وكانوا يضربون بعضهم ويمنعون بعضهم ما يحتاج إليه، ويضعون الصخرة علىٰ بطن أحدهم في رمضاء مكة، إلىٰ غير ذلك من أنواع الأذىٰ.

وكذلك المؤمن من أمة محمد ﷺ يختار الأذىٰ في طاعة اللَّه علىٰ الإكرام مع معصيته، كأحمد بن حنبل اختار القيد والحبس والضرب علىٰ موافقة

السلطان وجنده على أن يقول على اللَّه غير الحق في كلامه، وعلى أن يقول ما لا يعلم أيضًا، فإنهم كانوا يأتون بكلام يعرف أنه مخالف للكتاب والسنة، فهو باطل، وبكلام مجمل يحتاج إلى تفسير، فيقول لهم الإمام أحمد: ما أدري ما هذا؟ فلم يوافقهم على أن يقول على اللَّه غير الحق، ولا على أن يقول على اللَّه ما لا يعلم.

* * *

س: هذه السورة توضح أحوال هذه الحياة الدنيا، وأن أحوالها لا تثبت على حال، وكذلك فأيامها دولٌ يداولها اللَّه بين الناس، وأن مع العسر يسرًا، والمحنة تعقبها منحة، والإمامة تُنال بالصبر. وضح ذلك.

ج: إيضاح ذلك من وجوه:

منها: أن يوسف عليه السلام كان مستضعفًا في أيدي إخوته، فقدروا عليه وألقوه في غيابة الجب، فرفعه اللَّه درجات، ومرت الأيام والسنون، إلى أن جاءوه يطلبون الصدقة، ويشكون ما بهم من الضر، فقالوا: ﴿**يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ**﴾، ثم بعد ذلك يقولون له: ﴿**تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ**﴾ ثم بعد ذلك يخر الجميع سجدًا ليوسف ﷺ.

وأيضًا؛ فقد وقع يوسف في محنة السجن ثم خرج منه مكرمًا معززًا بريئًا.

وكذلك: يعقوب عليه السلام صاحَبَه الحزن حتى ابيضت عيناه فهو كظيم، ثم فرَّج اللَّه همه وجمع عليه شمله، وانقلب حزنه إلى سرورٍ، وقال لأهله: ﴿**أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾، ثم طلبوا منه

الاستغفار بقولهم: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾.

وامرأة العزيز كادت ليوسف عليه السلام بالذي كادت به وقذفته بالذي قذفته به ثم ها هي تقول: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

ويوسف عليه السلام ينتقل من حرٍ محبوب إلىٰ والده إلىٰ الرق والعبودية في بيت العزيز، ثم يودع في السجن، ثم يخرج ويصبح عزيزاً قائمًا علىٰ خزائن الأرض عليه الصلاة والسلام.

فهكذا الحياة الدنيا يداولها اللَّه بين الناس ولا تثبت علىٰ حال، كما قال تعالىٰ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾. وهكذا فالعاقبة للتقوىٰ.

وهكذا فالإمامة تُنال بالصبر، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾.

* * *

س: اذكر من السورة الكريمة ما يدل على أن المعلَّم من علمه اللَّه.

ج: من ذلك ما يلي:

* قول يعقوب عليه السلام ليوسف: ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾.

* وقول يوسف عليه السلام للفتيين في السجن: ﴿لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾.

* وقوله تعالىٰ في شأن يعقوب عليه السلام: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾.

* وقوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

* * *

س: اذكر من سورة يوسف ما يدل على أن المحفوظ من حفظه اللَّه.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قول يوسف عليه السلام: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

* وقوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.

* وقول يعقوب عليه السلام: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

* وقوله تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾.

* * *

س: اذكر من هذه السورة ما يدل على نبوة نبينا محمد ﷺ.

ج: من ذلك:

* إخبار النبي ﷺ بأمور لم يرها ولم يشاهدها مع كونه كان أُميًا لا يقرأ ولا يكتب كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾، ونحو قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾، وقوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾.

* وقوله ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلإِ الأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.

* فكل هذه أمور لم يكن للرسول ﷺ بها علم حتىٰ أعلمه اللَّه تعالىٰ.

* * *

س: بيِّن من هذه السورة الكريمة ما يدل على أن المعصية تجر إلى معصية أخرى، إذا لم يتب الشخص منها.

ج: مما يدل على ذلك: أن إخوة يوسف كذبوا علىٰ أبيهم فقالوا: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾، وجاءوا بدم كذب علىٰ القميص، وزوروا بكاءً، وزيَّفوه.

وأيضًا؛ امرأة العزيز راودت فتاها عن نفسه ثم ألصقت به التهمة قائلة: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

* * *

س: بيِّن من هذه السورة الكريمة ما يدل على اختيار أخف الضررين إذا تواردت المفاسد والمضار.

ج: من الأدلة على ذلك من هذه السورة المباركة:

* قول أحد إخوة يوسف: ﴿لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾.

* قول يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾.

* * *

س: ما مدى صحة المتناقل بين بعض المفسرين من أن يوسف عليه السلام زلت قدمه في ثلاث مواطن فعوقب بها، فمن ذلك همه بامرأة العزيز، ومن ثم قال بعد ذلك: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾، ومن ذلك قوله: ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾، فعوقب بقولهم: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾، ومن ذلك قوله: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾، ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾.

ج: على كل ذلك تعقيب: فالهم بامرأة العزيز قد أوضحنا بما فيه كفاية براءة يوسف عليه السلام من السوء والفحشاء تمامًا. أما قول: ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ فليس بواضح في أن قائله هو يوسف، وإن كان قاله أو قيل بأمره فقد سرقوا أخاهم يوسف في صغره، وفرقوا بينه وبين والده، وأيضًا إن كان فعل ذلك فإنما فعله بأمر اللَّه، إذ اللَّه قال: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

أما قوله: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ فهذا من باب الأخذ بالأسباب والأخذ بالأسباب مشروع في ديننا، واللَّه أعلم.

* * *

س: سوء الظن إذا دلت عليه قرائن غير ممنوع ولا محرم، اذكر ما يدل على ذلك.

ج: دلَّ علىٰ ذلك قول يعقوب عليه السلام لأبنائه: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾.

قال السعدي رحمه اللَّه في «تفسيره» في بيان بعض الفوائد المستنبطة من سورة يوسف:

ومنها: أن سوء الظن مع وجود القرائن الدالة عليه غير ممنوع ولا محرم، فإن يعقوب قال لأولاده بعدما امتنع من إرسال يوسف معهم حتىٰ عالجوه أشد المعالجة، ثم قال لهم بعد ما أتوه، وزعموا أن الذئب أكله: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾.

قال لهم في الأخ الآخر: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾.

ثم لما احتبسه يوسف عنده وجاء إخوته لأبيهم قال لهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ فهم في الأخيرة ـ وإن لم يكونوا مفرِّطين ـ فقد جرىٰ منهم ما أوجب لأبيهم أن قال ما قال من غير إثم عليه ولا حرج.

* * *

س: اذكر من سورة يوسف ما يدل على مشروعية الأخذ بالأسباب.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قول يوسف عليه السلام للذي ظن أنه ناجٍ: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾.
* قول يوسف عليه السلام: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾.

* قول يعقوب عليه السلام: ﴿يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾.

* وقوله عليه السلام: ﴿لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾.

* وقوله عليه السلام: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾.

* * *

س: اذكر من سورة يوسف ما يدل على جواز إخبار الإنسان بما فيه من صفات طيبة من الحسن والكمال إذا لم يكن في ذلك فتنة ولم يكن فيه رياء، وكان من وراء ذلك مصلحة.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قول يوسف عليه السلام: ﴿لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾.

* قول يوسف عليه السلام: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.

* قول يعقوب عليه السلام: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾.

* قول يوسف عليه السلام: ﴿أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾.

* * *

س: اذكر من سورة يوسف ما يدل على جواز السؤال والاستعانة بمن له قدرة على تخليص الشخص من الكروب.

ج: من الأدلة على ذلك:

* قول يوسف عليه السلام: ﴿ **اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ** ﴾.

* قول إخوة يوسف: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾.

* * *

س: اذكر من السورة الكريمة ما يدل على مشروعية الفرار من مواطن الفتن.

ج: من الأدلة على ذلك من هذه السورة: قوله تعالى: ﴿ **وَاسْتَبَقَا الْبَابَ** ﴾ فيوسف عليه السلام كان يريد الفرار من الوقوع في الفاحشة، وهي تطارده.

* * *

س: اذكر من سورة يوسف عليه السلام ما يدل على أن أعمال البر السابقة تكون سببًا في نجاة أصحابها من الوقوع في المعاصي.

ج: من الأدلة على ذلك: قوله تعالى: ﴿ **وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾؛ فصرف اللَّه عنه السوء والفحشاء لكونه من المخلَصين.

* * *

س: اذكر من سورة يوسف ما يدل على استحباب الضيافة.

ج: من الأدلة على ذلك: تمدح يوسف بقوله: ﴿ **أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ** ﴾.

* * *

س: اذكر من السورة الكريمة ما يدل على جواز استعمال المعاريض.

ج: من ذلك: قول يوسف عليه السلام: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ﴾، فلم يقل: معاذ اللَّه أن نأخذ إلا من سرق؛ وذلك لأن أخاه لم يسرق حقيقة.

* * *

س: اذكر من سورة يوسف ما يدل على خطورة الخلوة بالنساء.

ج: هذا واضح من كون امرأة العزيز لما خلت بيوسف عليه السلام وغلقت الأبواب بدأت في مراودته عن نفسه، وآل بها الأمر إلىٰ أن قدَّت قميصه من دُبر.

* * *

س: اذكر من سورة يوسف ما يدل على استحباب سؤال اللَّه حسن الختام.

ج: ذلك مأخوذ من قول نبي اللَّه يوسف عليه السلام، وهو ممن أُمرنا بالاقتداء به: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

* * *

الفهرست



القاهرة ٤ ش العرب من الاربعين جسر السويس
محطة الجراج خلف سنترال النزهة
ت: ٢٩٩٩٥٢٧ - ٠١٠٦٦٦٩٥٧٤٣/ فاكس: ٢٩٧٨٤٧٤